بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير وشرح

# الصحيفة السجادية

آية الله الشيخ حسين الأنصاريان

الجزء الثالث

تعريب: كمال السيّد

# تتمّة الدعاء الثاني

# في الصلاة على رسول الله

# وبيان صفاته ﷺ

[﴿٤﴾ كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ.

﴿٥﴾ وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ.

﴿٦﴾ وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَّتَهُ.

﴿٧﴾ وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أُسْرَتَهُ.

﴿٨﴾ وَقَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينكَ رَحِمَهُ.

﴿٩﴾ وَأَقْصَى الأَدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ.

﴿١٠﴾ وَقَرَّبَ الأَقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ.

﴿١١﴾ وَ وَالَى فِيكَ الأَبْعَدِينَ.

﴿١٢﴾ وَعَادَى فِيكَ الأَقْرَبِينَ].

## منزلة النبوّة ومقامها في الآيات

يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «**كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ**» وهي إشارة لاصطفاء النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وانتخابه لمقام النبوّة، وقد أشار القرآن الكريم لهذا الاصطفاء في قوله تعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللهِ ﴾.[١]

انّ مقام النبوّة تعيين إلهي واضافة إلى الشكل الظاهري والجمال والسلامة البدنيّة فانّه يتعيّن أن يكون الشخص المنتخب للنبوّة متوفّراً على الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة لكي يكون انساناً ممتازاً في المجتمع.

وقد امتاز سيّدنا محمّد ﷺ قبل البعثة بطهارة النفس ونقاء الروح والسموّ الأخلاقي، فكان صدوقاً في الحديث أميناً مؤتمناً حليماً شجاعاً حتّى عرف بـ «الصادق الأمين» في مطلع شبابه، وعندما بلغ الأربعين من عمره المبارك اصطفاه الله عزّوجلّ لحمل الرسالة الأخيرة للبشريّة فنهض صلوات الله عليه وآله بمسؤوليّة ابلاغ الرسالة وتغيير العالم.

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾.[٢]

فكان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين جميعاً، للمؤمنين والكافرين وخيراً وبركة:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾.[٣]

حتّى انّ رسول الله ﷺ سأل جبرئيل: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟! قال: نعم، إنّي كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لما أثنى عليّ بقوله:

﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾.[٤]

---

١. سورة الفتح (٤٨): ٢٩.
٢. سورة الأحزاب (٣٣): ٤٥ ـ ٤٦.
٣. سورة الأنبياء (٢١): ١٠٧.
٤. سورة التكوير (٨١): ٢٠.

وقد شهد الله عزّوجلّ على صدق رسول بقوله تعالى:

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾.[١]

وعلى أيّة حال فانّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله انتخب لأداء رسالة كبرى وهي هداية البشريّة.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾.[٢]

## مقام النبوّة في الروايات

يقول أوّل رجل آمن برسالة النبيّ صلى الله عليه وآله شاهداً على صدقه:

**وَاَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، والْـعَلَم الْـمَأثُورِ وَالْكِتابِ الْمَسْطُورِ وَ النُّورِ السّاطِعِ، وَ الضِّياء اللّامِعِ، وَ الْاَمْرِ الصّادِعِ.**[٣]

ويتطلّب أداء رسالة الله تعالى شخصيّة عظيمة، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

**اِنَّ اللهَ كَلَّفَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله مالَمْ يُكَلِّفْهُ أَحداً مِنْ خَلْقِهِ كَـلَّفَهُ أَنْ يَـخْرُجَ عَـلَى النّاسِ كُلِّهِمْ وَحْدَهُ بِنَفْسِهِ إِنْ لَمْ يَجِدْ فِئَةً تُقاتِلُ مَعَهُ وَلَمْ يُكَلِّفْ هٰذا اَحَدً مِنْ خَلْقِهِ قَبْلَهُ وَلا بَعْدَه.**[٤]

فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله المثل الأعلى في الأخلاق إذ بهر مجتمعه بسمو أخلاقه وخصاله الفريدة فلقد ورث طهره ونقاءه عن آبائه وأجداده.

---

١. سورة الرعد (١٣): ٤٣.
٢. سورة سبأ (٣٤): ٢٨.
٣. نهج البلاغة: الخطبة ٢.
٤. الكافي: ٨ / ٢٧٤؛ بحار الأنوار: ١٦ /٣٧٧.

يقول عمّه أبوطالب عليه السلام وهو يصف أبعاد شخصيّته صلى الله عليه وآله وكان في الخامسة والعشرين من عمره المبارك:

**إِنَّ ابْنَ أَخِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ لا يُوزَنُ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا رَجَحَ وَلا يُقَاسُ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلّا عَظُمَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ فَإِنَّ الْمَالَ رِزْقٌ حَائِلٌ وَظِلٌّ زَائِل.**[1]

وبلغ من سموه الأخلاقي انّه كان فريد عصره ووحيد دهره ولم يكن أحد مثله في عقله وحكمته وأمانته وصدقه.

يقول الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في توصيفه صلوات الله عليه وآله:

**حَتّىٰ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَهيداً وَبَشيراً وَنَذيراً. خَيْرَ البَرِيَّةِ طِفْلاً وَاَنْجَبَهَا كَهْلاً وَاَطْهَرَ الْمُطَهَّرينَ شِيمَةً وَأَجْوَدَ المُسْتَمْطَرينَ دِيمَةً.**[2]

أمضى طفولته في ظلال مرضعته السيّدة حلمية السعديّة وكانت الرعاية الالهيّة تغمره وتحوطه، أمضى زهاء خمس سنوات من عمره المبارك في أجواء نقيّة حيث الفلوات الممتدّة مدى البصر نهاراً وحيث السماء المرصعة بملايين النجوم ليلاً فتشرّب لغة العرب الفصحى ورح الحريّة والاستقلال النفسي.

يقول الإمام عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام يصف طفولة مربّيه ومعلّمه العظيم:

**وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ**

---

١. بحار الأنوار: ١٦ /١٦؛ من لايحضره الفقيه: ٣ /٣٩٨.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٤.

**الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَ نَهَارَه.**[١]

وفي شبابه وفي كلّ عام كان يمضي في جبال مكّة وتحديداً جبل حراء في غار على سفحه شهر رمضان يتأمّل ويفكّر، فتدفق النور في أعماق نفسه الكريمة وتجلّى الحقّ في قلبه، بينما كان شباب مكّة غارقين في اللهو والعبث والملذات.

جاء في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وآله:

**لَقَد هَبَطَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ السَّماء ما هَبَطَ عَلىٰ نَبِيٍّ قَبْلى وَلا يَهْبِطُ عَلىٰ أَحَدٍ بَعْدِى وَ هُوَ إسْرافيلَ وَ عِنْدِى جِبريلُ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيكَ يا مُحَمَّدُ! ثُمَّ قالَ: أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ إلَيْكَ، أَمَرَنِى أَنْ أُخَيِّرَ لَكَ إنْ شِئْتَ نَبِياً عَبْداً وَ إن شِئْتَ نَبياً مَلِكاً، فَنَظَرْتُ إلى جِبْريلَ فَأَوْمىٰ جِبْريلُ إلىٰ أَنْ تَواضَعْ، فَقُلْتُ: نَبِياً عَبْداً.**[٢]

## دور الأُسرة في الدين

يقول الامام السجاد عليه السلام في هذا المضمار:

**«وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أُسْرَتَهُ وَقَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينكَ رَحِمَهُ وَأَقْصَى الأَدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ وَقَرَّبَ الأَقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ وَ وَالَى فِيكَ الأَبْعَدِينَ وَعَادَى فِيكَ الأَقْرَبِينَ».**

ولما نزلت هذه الآية الكريمة اتّجه إلى جبل الصفا وراح ينادي بصوت جهوري: يا بني فهر، يا بني عبدالمطّلب! وبدأ رجال قريش يتوافدون حتّى ان بعضهم ممّن تعذّر عليه الحضور أرسل من ينوب عنه ليرى ما يريد؛ وكان بجميع

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

٢. كنز العمال: ١١/ ٤٣١؛ المعجم الكبير: ١٢/ ٢٦٧؛ مجمع الزوائد: ٩/ ١٩.

يتطلّع إليه باهتمام فقال النبي ﷺ:

ـ أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي؟!

فقالوا: بلى والله، لأنه ما جرّ بنا عليك كذباً.

فقال ﷺ: اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وهنا انبرى عمّه أبو لهب قائلاً:

ـ تبّاً لك سائر اليوم! ألهذا جمعتنا؟

فأنزل الله في شأنه:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَسَدٍ ﴾.[1]

وهكذا بدأت رحلة الدعوة إلى الاسلام فكانت رحلة شاقّة مليئة بالمعاناة.

فكانت بداية المواجهة انّ جبابرة قريش شجّعوا بعض الشعراء لانشاء القصائد في هجاء النبيّ والحطّ من شأنه ومنزلته، وكان من بين هؤلاء الشعراء: عمرو بن العاص، وأبو سفيان بن الحارث وعبدالله بن الزبعري.

غير انّ شخصيّة النبيّ ﷺ ومجده الأخلاقي كان أعظم ممّا كان يتفوّه به هؤلاء التافهون.

وكيف يمكن تغييب شمس الحقيقة أو التشويش على ضوئها وحجب أشعّتها بغرابيل الباطل؟

وعلى أيّة حال فقد أوكل الله سبحانه مهمّة هداية الأُسرة إلى الرجل في موقعه

---

١. سورة المسد بكامله.

كأب ورب للأُسرة أو الزوج الذي هو أيضاً ربّ الأُسرة، وهذا ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله على أكمل وجه:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾.[1]

روى سليمان بن خالد قال:

**قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام إِنَّ لِي أَهْلَ بَيْتٍ وَهُمْ يَسْمَعُونَ مِنِّي أَفَأَدْعُوهُمْ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ نَعَمْ إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾.**

يقول العلّامة محمّد باقر المجلسي رحمه الله في توضيحه هذه الرواية:

«بيان «قوا» أي احفظوا واحرسوا وامنعوا أنفسكم وأهليكم ناراً أي قوا أنفسكم النار وبالصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته وعن اتباع الشهوات، وقو أهليكم النار:

**١ ـ بِدُعائِهِم إلى طاعَةِ اللهِ؛**

**٢ ـ وَتَعْلِيمِهِمْ الفَرَائِضَ؛**

**٣ ـ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْقَبائِحِ؛**

**٤ ـ وَحثِّهم على أفعالِ الخَيْرِ.**

وتدلّ الآية والروايات على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن الأقارب من الزوجة والوالدين والأولاد وسائر القرابات مقدّمون في ذلك على الأجانب».[2]

---

١. سورة التحريم (٦٦): ٦.

٢ ـ بحار الأنوار: ٧١/ ٨٦.

### أُسرة النبيّ صلى الله عليه وآله في نهج البلاغة

يقول الإمام عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام بشأن شخصيّة النيّ وانّه كان خيراً عـميماً ونوراً مضيئاً:

**اِبتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضىءِ وَالْبُرهانِ الْجَلىِّ وَالْمِنْهاجِ الْبادى وَالْكِتابِ الْهادى. اُسْرَتُهُ خَيْرُ اُسْرَةٍ وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ اَغْصانُها مُعْتَدَلَةٌ وثِمارُها مُتَهَدِّلَةٌ.**[١]

ومع سمو هذه الشخصيّة العظيمة أخلاقيّاً وروحـيّاً إلّا أنّ قـريش تـصدّت له وحاربت دعوته وارادت اطفاء نور رسالته، يقول صلى الله عليه وآله:

**بِئْسَ عَشِيرَةُ الرَّجُلِ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ كَذَّبْتُمُونى وَصَدَّقَنِى النَّاسُ وَأَخْرَجْتُمُونِى وَآوَانِى النَّاسُ وَقٰاتَلْتُمُونِى وَنَصَرَنِي النَّاسُ ثُمَّ: قٰالَ هَلْ وَجَدْتُمْ مٰا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً؟ فَقَدْ وَجَدْتُ مٰا وَعَدَنِى رَبِّي حَقّاً.**[٢]

هكذا كان موقف أقاربه بينما قيض الله سبحانه وتعالى لرسوله من يـؤمن بـه اُناساً بعيدين من خارج مكّة بل ومن خارج الجزيرة العربيّة، فهذا صـهيب مـن الروم وبلال من الحبشة وسلمان من بلاد فارس يؤمنون به أشدّ الايمان ويقفون إلى جانبه، وقد وصل ببعضهم كما هو الحال في سلمان أن قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بشأنه:

**سَلْمانُ مِنّا اَهْلُ الْبَيْتِ.**[٣]

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.
٢. بحار الأنوار: ١٨ /١٨٨؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ١ /٦٠.
٣. بحار الأنوار: ٢٢ /٣٢٦؛ كشف الغمة: ١ /٣٨٩؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ١ /٨٥.

بينما باء عمّه أبو لهب بالخسران إذ نزلت بشأنه سورة من القرآن الكـريم إلى الأبد.

**النبيّ صلى الله عليه وآله يباهل بأهل بيته**

انّ قصّة المباهلة تكشف عن مجد أهل البيت الكرام، فقد أورد التاريخ ان وفداً من نصارى نجران في اليمن جاء إلى المدينة المنوّرة ودار بين الوفد والنبيّ صلى الله عليه وآله حوار حول طبيعة السيّد المسيح فسألوا النبيّ قائلين:

ـ هل رأيت ولداً بغير أب؟

فسكت النبيّ صلى الله عليه وآله، فنزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَـهُ كُـن فَيَكُونُ * ٱلْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكُن مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ * فَقُلْ تَعَالَوْا نَـدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَّعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ﴾[1]

فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المباهلة فوافقوا.

وفي اليوم التالي خرج النبيّ صلى الله عليه وآله ومعه أهل بيته؛ الحسـن والحسـين وعـلي وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين.

فلمّا رآهم الأسقف رئيس الوفد سأل: من هؤلاء الذين معه؟

فقيل له: علي بن أبي طالب ابن عمّه وزوّج ابنته فاطمة هذه وهذان ولداهما.

---

١. سورة آل عمران (٣): ٥٩ ـ ٦١.

فقال الاسقف لأصحابه: إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

ثمّ جاء الأسقف إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: يا أباالقاسم! إنّا لا نباهلك ولكن نصالحك.

روى عامر بن سعد عن أبيه قال: لمّا نزلت آية المباهلة دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال:

**اَللّٰهُمَّ هٰؤُلاءِ اَهْلي.**[1]

## العصر الجاهلي

تضمّن هذا المقطع من الدعاء إشارة إلى ما كانت عليه الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة في العصر الجاهلي وللتعرّف على الظروف التي عاصرها رسول الله صلى الله عليه وآله وما عاناه في دعوته.

في ذلك الوقت كان سكّان المدن في شبه الجزيرة العربيّة يشكّلون نسبة السدس من بين مجموع السكّان حيث يتركّز وجود المدن في الجنوب وتحديداً بلاد اليمن حيث مدينة عدن وصنعاء ونجران وحضرموت وفي الشمال والشمال الغربي دولة المناذرة ودولة الغساسنة.

أمّا الحجاز فهناك مدينة مكّة ويثرب والطائف فيما كان معظم سكّان شبه الجزيرة يسكنون في البوادي والفلوات وكان النظام القبيلي يسود الجميع سواء في البوادي أو المدن والحواضر.

---

١. بحار الأنوار: ٢١ / ١١؛ الأمالي، شيخ طوسي: ٣٠٧.

وقد عرفت شبه الجزيرة العربيّة انماطاً متعدّدة من اشكال الحكم بما في ذلك الحكم الملكي.

وفي مكّة كان يتولّى الادارة والقيادة مجلس مؤلف من زعماء قريش أمّا القبائل العربيّة فكانت تخضع لشيخ القبيلة يساعده بعض الزعماء من وجوهها.

وساد نظام الوراثة مسألة الحكم حيث يرث الابن الزعامة عن أبيه ولكن بشروط في طليعتها توفّر المواصفات المطلوبة في الزعامة والرئاسة.

ولم يكن للعرب يومئذٍ قضاء يحتكمون إليه أو شرطة لإقرار النظام وجيش للدفاع، فكان النظام القبلي هو السائد والقبيلة هي التي تحمي أفرادها وتثأر له إذا ما تعرّض للعدوان.

وهناك ثلاث طبقات في المجتمع العربي: عرب صرحاء وهم أبناء القبيلة الذين يرتبطون فيما بينهم بوشيجة الدم.

وطبقة أُخرى تتألّف من الحلفاء اللاجئين إلى قبائل أُخرى يساندون القبيلة الجديدة ويصبحون من أعضائها وطبقة الرقيق حيث يؤلّف الافارقة السود معظم هذه الطبقة إلى جانب أقليّة من البيض وكانت هذه الطبقة تعاني من الحرمان مهضومة الحقوق.

**المعارك والحروب**

كانت ظاهرة النزاع بين القبائل العربيّة هي السائدة وعادة ما كانت الحروب تنشب بسبب الصراع على الزعامة أو الاستيلاء على مصادر المياه والمراعي.

وقد نشبت معارك وحروب شعبية فيما بعد كما هو الحال في حرب داحس

والغبراء وحرب البسوس وقد وقعت الأولى بين قبيلتي عبس وذبيان ونشبت الثانية بين قبيلتي بكر وتغلب واستمرّت أربعين سنة، اريقت خلالها دماء غزيرة بسبب قتل ناقة لإمرأة عجوز تدعى «البسوس».

وتعد حرب الفجّار استثناء لأنّها حصلت لأسباب أخلاقيّة وقد شارك النبي ﷺ في هذه الحرب حيث وقف إلى جانبه عمّه أبي طالب الذي اشترط على كنانة الالتزام بميثاق أخلاقي يمنع العدوان على الآخرين ومصادرة حقوقهم.

وعموماً سادت حالة الثأر الحياة العربيّة فالدم لا يغسله إلّا الدم وهذا شعارهم.

وأشدّ ما يواجه العربي يومئذٍ أن يتعرّض للطرد من قبيلته، لأنّه سوف يكون عرضة للقتل والسلب والنهب والاستعباد، إذ يتعيّن عليه اللجوء إلى احدى القبائل واعلان ولاءه لها ليكسب حمايتها.

**الزواج في العصر الجاهلي**

كان للعرب نظام ثابت في الزواج وعادة ما يتمّ الاقتران بالمرأة بعد حصول الرضا من أهلها وكان كثيرون يستشيرون بناتهم في أمر الزواج ومع أن ظاهرة البغاء كانت موجودة إلّا انّها كانت مستهجنة.

والزواج المبكر هو الشائع لدى العرب فمن النادر أن ترى فتاة بلغت سنّ الزواج ولم تتزوّج، حتّى الأرامل الشابات أيضاً يتمّ تزويجهنّ.

وكان الطلاق موجوداً وهو بيد الرجل أيضاً مع وجود نساء كنّ يشترطن أن تكون العصمة بأيديهنّ.

وكان هناك عدد من القبائل من يقوم أفرادها بوأد بناتهنّ خشية العار وبعضها خشية الفقر والاملاق.

**الوثنيّة**

كانت عبادة الأوثان والأصنام هي الشائعة في شبه الجزيرة العربيّة فكانوا يعبدون صخوراً وتماثيل من الحجارة على شكل إنسان وكانوا يقدّمون لها القرابين.

ولم يكن «هبل» هو الصنم الوحيد فقد انتشرت الأصنام في أنحاء الجزيرة العربيّة واتّخذت اشكالاً متعدّدة من قبيل البيوت والأشجار والحجارة المنقوشة وغير المنقوشة، وتذكر المدوّنات التاريخيّة وجود ثلاثمئة وستّين صنماً كانت تحيط الكعبة الشريفة وقد حرص تجّار قريش وأثرياؤها على تقديس الوثنيّة لأسباب اقتصاديّة واجتذاب القبائل العربيّة لزيارة مكّة.

وكانت «مناة» أقدم الاصنام وهي الهة القدر وتحديداً الموت فكان العرب يسمّون أبناءهم عبد مناة وكان يقع علىٰ ساحل البحر الأحمر بين مكّة والمدينة المنوّرة وكانت معبود الأزد والأوس والخزرج وقد أمر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وصيّه الإمام عليّ عليه السلام بتحطيمها وهو في طريقه إلى فتح مكّة سنة ٨ هـ

وهناك صنم «اللات» في منطقة الطائف وهو عبارة عن صخرة مربعة الشكل، أُقيم عليها بناء وقد تولت قبيلة ثقيف سدانتها تقليداً لقريش في سدانة الكعبة.

كما كان العرب يعبدون صنم «العزّىٰ» وهو عبارة عن بضعة شجيرات في وادي نخلة تقع على يمين الذاهب من مكّة إلى العراق.

وفي الطواف قبل الإسلام كان القرشيّون الوثنيّون ينادون: واللّات والعزّى ومناة الثالثة الأُخرى فانهنّ الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهنّ لترتجىٰ، وكانوا يعتقدون قداستها.

اضافة إلى أصنام أُخرى من قبيل «سواع» في منطقة «ينبع» و«نسر» و«بعل» اله الينابيع والمياه الجوفيّة.

وشجرة «ذات أنواط» و«ذو الشرى» فكان العرب يقدّمون لها القرابين ويتبرّكون بزيارتها.

ومعظم الأصنام من الحجارة إلى جانب أصنام غير مشهورة من الخشب ومن التمر فقد كان لقبيلة حنيفة صنم من التمر تقدّسه وعندما دهمتها المجاعة عمدت إلى هذا الاله؛ فأكلته وإلى ذلك يشير الشاعر:

**أكلت حنيفة ربّها زمن التقحّم والمجاعة**

ولا ننسى أن نشير إلى أن عدداً من الأصوات بدأ يعلو في استهجان الوثنيّة وانتقاد ظاهرة عبادة الحجارة والصخور والتماثيل الحجريّة.

وما يدعو إلى التأمّل هو احتفاظ الكعبة بقداستها المطلقة وما يدلّ على وجود ايمان عميق واحترام للديانة الحنيفيّة ديانة إبراهيم الخليل عليه السلام.

وكان الاستقسام بالأزلام سائداً وعادة ما يجري تحت اشراف الكاهن أو الكاهنة حيث تفض النزاعات حول نسب الطفل المشكوك فى نسبه وقد يلجأ البعض إلى الاستقسام بالأزلام للتفأل كما فعل ذلك امرئ القيس الشاعر المعروف، فعندما أراد الثأر لوالده القتيل استقسم بالأزلام فخرج النهي ثلاث مرّات فأخذ الأزلام التي هي عبارة عن سهام ورمى بها وجه الصنم وشتمه قائلاً: لو كان القتيل أباك لم تنهني عن أخذ ثأره!

وتدلّ هذه الحادثة على أنّ روح الثأر لدى الانسان العربي آنذاك أقوى من تقديسه للأصنام.

**التقاليد الجاهليّة**

انّ أوضح صورة للمجتمع الجاهلي نجدها في كلمة الشهيد جعفر بن أبي طالب الطيّار وذلك في الحوار الذي جرى مع ملك الحبشة «النجاشي» وكان الأخير قد أمر بطرد المسلمين اللاجئين من أراضي الحبشة واعادتهم إلى مكّة! استجابة لمحاولات قريش التي أوفدت إليه عمرو بن العاص وكلّفته بهذه المهمّة، وقد قام الأخير بتقديم رشاوى إلى البطارقة المحيطين بالامبراطور على شكل هدايا حيث وعده البطارقة بالعمل على استصدار أمر بتسليمهم إليه:

وقد جاء في كلمة الشهيد جعفر الطيّار الدفاعيّة:

ـ أيّها الملك! كنّا قوماً أهل جاهليّة نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منّا الضعيف فكنّا على ذلك حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفّته، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة...».

وفي هكذا عصر وفي ظروف مأساوية حيث المجتمعات غارقة في ظلمات الجهل والظلم والانحطاط، أشرق النور الإلهي وبعث النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله رسولاً إلى البشريّة ورحمة للعالمين.

وعندما أعلن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله رسالته شعر طواغيت قريش وجبابرتها

واثرياؤها بالخطر وانضمّ إليهم أبولهب عمّه فسخّروا كلّ امكاناتهم للقضاء على رسالة الله واطفاء نورها؛ ذلك انّ الدين الجديد يساند المظلومين والمستضعفين ويحارب المستغلّين ويؤكّد للانسان حرّيته وكرامته ويتمنّى لجميع أفراد البشر حتّى أولئك الذين لا يؤمنون به حياة كريمة تسودها المحبّة والسعادة والسلام.

لهذا شعر سادة قريش بالخطر فسوف يلتف العبيد والفقراء والمظلومون والمحرومون حول محمّد ﷺ وسوف يقودهم إلى الحريّة والكرامة الانسانيّة.

وهكذا اصطف أبو جهل وأبو سفيان وأبو لهب والوليد وأبناؤهم لمواجهة النبيّ الأكرم ﷺ، بينما راح الفقراء والمستضعون يتوافدون على منزل الرسول ﷺ ويعلنون أمامه ايمانهم برسالته فكانت السيّدة خديجة الكبرى في طليعة النساء وكان علي بن أبي طالب في طليعة الرجال.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلاَلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.[1]

ومضى رسول الله ﷺ في طريقه يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالاسلوب الهادئ مبيّناً مبادئ الاسلام وشريعته السامية وعبرت دعوة الرسول حدود مكّه وراحت تجتذب إليها الأحرار من العرب فكان في الطليعة منهم أبوذر

١. سورة الأعراف (٧): ١٥٧.

الغفاري الذي كان يستهجن منذ البداية عبادة الأصنام[١].

وقد حاول سادة قريش الضغط على أبي طالب لردع ابن أخيه فأخفقوا ولما انتشر الاسلام جاء زعماء قريش إلى عمّه أبي طالب وكان لديهم اقتراح إذ قالوا له:

ـ يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد (شقيق خالد بن الوليد) انهد فتى في قريش وأجملهم، فخذه واتّخذه ولداً لك وسلّمنا ابن أخيك الذي خالف ديننا وفرّق جماعتنا وسفّه أحلامنا لنقتله، فانّما هو رجل برجل!

فقال أبوطالب عليه السلام:

ـ والله لبئس ما سمتموني! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم واعطيكم ابني لتقتلوه! هذا والله لا يكون أبداً.

وعلى عكس هذا العم العظيم انبرى عمّه الآخر أبو لهب فكان يطارد خطوات الرسول صلى الله عليه وآله وهو يدعو القبائل العربيّة الوافدة للحجّ فيحذّرهم من الاصغاء لابن أخيه واصفاً إيّاه بالسحر مرّة وبالجنون اُخرى.

وكانت زوجته اُمّ جميل اُخت أبي سفيان تضع الشوك في طريق الرسول من أجل ايذائه.

---

١. قدّم ذات يوم اناءً مليئاً بالحليب إلى صنم القبيلة «مناة» فرأى ثعلباً يتقدّم فيشرب الحليب ثمّ يبول على الصنم فقال:

أربّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب
فلو كان رباً كان يمنع نفسه ... ولا خير في رب نأته المطالب
برئت من الأصنام فالكلّ باطل ... وآمنت بالله الذي هو غالب

المترجم

وكان زعماء قريش قد فاوضوا أبا طالب ذات مرّة وعرضوا على النـبيّ ﷺ تنصيبه ملكاً مقابل الكفّ عن الدعوة إلى هذا الدين الخطير.

فكان جواب الرسول الأكرم):

ـ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه! وعندما أعلن حمزة بن عبدالمطّلب عمّ الرسول ﷺ ايمانه برسالة ابن أخيه محمّد ﷺ في مشهد مثير سارع أبوطالب إلى تمجيده قائلاً:

**فصبراً أبا يعلى على دين محمّد وكن مظهراً للدين وفقت صابرا**

**قد سرّني أن قـلت انّك مـؤمن فكن لرسول الله في الله نـاصرا**

**وباد قريش بـالذي قـد أتـيته جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا**

**فرض الحصار الشامل**

اجتمع زعماء قريش الوثنيّون للتداول في الخطر الذي راح يتفاقم يوماً بـعد آخر فالاسلام كان يزداد انتشاراً وأصبح المسلمون قوّة لا يمكن مواجـهتها إلّا بحرب أهلية، سيّما وقد امتدت الدعوة الإسـلاميّة إلى خـارج حـدود الحـجاز وأصبح لهم تواجد في أرض الحبشة وكسبوا مساندة امبراطورها.

وبعد تفكير طويل توصل المجتمعون إلى فكرة فرض الحصار الشامل وفـي طليعته الحصار الاقتصادي فاتّفقوا على ذلك ونظّموه في مجموعة قرارات ظالمة تضمّنت ما يلي:

ـ قطع العلاقات الاجتماعيّة وفي طليعتها حظر التزاوج مع بني هاشم فلا يحق التزوّج من هاشمية ولا تزويج الهاشمي.

ـ قطع كلّ اشكال العلاقات الاقتصاديّة وحظر التعامل مع بني هاشم، فلا يجوز ابرام صفقات البيع والشراء مع بني هاشم أبداً.

وحرّرت قرارات الحصار والمقاطعة في صحيفة وعلّقت في داخل الكعبة لتتّخذ صفة مقدّسة.

ونفّذ الحصار في مطلع محرّم الحرام في السنة السابعة من البعثة المباركة.

وقد اضطرّ بنوهاشم إلى اللجوء إلى الوادي المعروف بـ «شعب أبي طالب» وقام عمّ الرسول وناصره وبالرغم من شيخوخته باجراءات دفاعيّة وإقامة تحصينات على مدخل الوادي وحراسته على مدار الساعة ليلاً ونهاراً خوفاً من عمليّة تسلل قد يقوم بها البعض لاغتيال النبيّ صلى الله عليه وآله.

وكانت زعامات قريش تهدف إلى تجويع بني هاشم ودفعهم للتخلّي عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

وعانى المسلمون على مدى سنوات ثلاث الحرمان والجوع وشظف العيش يعدون الأيّام انتظاراً لموسم العمرة والحجّ، حيث يسمح لهم بالخروج.

ولقد كانت أيّاماً قاسية حتّى انّهم أكلوا خلالها الأعشاب وأوراق الأشجار وكان صراخ الأطفال من الجوع أشدّ ما كان يؤلم النبيّ صلى الله عليه وآله ويحزّ في قلبه الذي يتدفّق حناناً وعطفاً ومحبّة.

وقد بلغ الحقد بجبابرة قريش وفي طليعتهم أبوجهل انّهم كانوا يقومون بشراء المواد الغذائيّة المعروضة وسحبها من الأسواق حتّى لا يقوم بعض المتعاطفين مع بني هاشم إلى شرائها وايصالها إلى المحاصرين.

وكان همّ أبو طالب الاكبر حماية ابن أخيه النبيّ صلى الله عليه وآله من الاغتيال[١] فكان يفرش للنبيّ للنوم حتّى إذا دخل الظلام امر ابنه عليّاً أن ينام في فراش النبيّ فاذا تسلّل بعض المتآمرين المشركين لاغتيال النبيّ صلى الله عليه وآله فانّهم سوف يغتالون ابنه عليّاً وينجو النبيّ صلى الله عليه وآله من القتل!!

**الرحيل إلى الطائف**

ولمّا تصاعد الضغط على النبيّ صلى الله عليه وآله بعد وفاة عمّه وناصره أبي طالب ورحيل زوجته المخلصة المؤمنة عن الدنيا، غادر النبيّ صلى الله عليه وآله الأكرم صلى الله عليه وآله مدينة مكّة سرّاً في شوّال واصطحب معه زيد بن حارثة حيث اتّجه إلى مدينة الطائف.

ولمّا وصل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الطائف التقى بادئ الأمر سادتها وهم سادة قبيلة ثقيف وكانوا اخوة ثلاثة عبد يا ليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو فجلس عندهم ثمّ راح يدعوهم إلى كلمة الله ورسالته ومساندته في دعوته إلى الاسلام فكذّبوه وسخروا منه وقال أحدهم: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟!

---

١. انّ المرء لا يملك إلّا أن ينحني اجلالاً لهذا الشيخ الوقور الذي دافع عن النبيّ صلى الله عليه وآله وحماه حتّى النفس الأخير، وعلى مدى نصف قرن كان أبوطالب ظلالاً وارفة للنبيّ صلى الله عليه وآله منذ أن كان في الثامنة من عمره وحتّى أن وافاه الأجل قبيل هجرة الرسول إلى مدينة يثرب من أجل ذلك قال الشاعر:

ولولا أبو طالب وابنه ... لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكّة آوى وحامى ... وهذا بيثرب جس الحماما
وما ضر مجد أبي طالب ... جهول لغا أو بصير تعامى
كما لا يضرّ آيات الصباح ... من ظنّ ضوء النهار الظلاما

المترجم

فنهض النبيّ صلى الله عليه وآله وهو يشعر بالحزن.

مكث رسول الله صلى الله عليه وآله في منطقة الطائف المليئة بالبساتين عشرة أيّام يتجول بين احيائها ويلتقي أهلها داعياً إلى الايمان برسالة الله.

ولم يكتفوا بتكذيبه بل أمروا به سفهاءهم وعبيدهم وصبيانهم للسخريّة منه وايذائه، فتجمهروا عليه وراحوا يقذفونه بالحجارة فلجأ إلى بستان يملكه عتبة وشيبة ابنا ربيعة وكانت الدماء تسيل من قدميه وشجّوا رأس زيد بن حارثة ربيبه.

فجلس في احدى زوايا البستان في ظلّ شجرة من أشجاره وقد ملأ الأسى قلبه والحزن والشعور بالغربة! فاتّجه بكلّ كيانه إلى الله متضرّعاً داعياً:

**اَللّهُمَّ إنّى أشْكُو إلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتى، وَقِلَّةَ حيلَتى وَهَوانى عَلَى النّاسِ، أنْتَ أرَحمُ الرّاحِمينَ، أنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفينَ وَأنْتَ رَبّى، إلٰى مَنْ تَكِلُنى؟ إلٰى بَعيدٍ يَتَجَهَّمُنى، أوْ إلٰى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أمْرى؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَىَّ غَضَبٌ فَلا اُبالى ولٰكِنْ عافِيَتُكَ هِيَ أوْسَعُ لى. أعُوذُ بِنُورِ وجْهِكَ الَّذى أشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُماتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أمْرُ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ مِنْ أنْ يَنْزِلَ بى غَضَبُكَ أوْيَحُلَّ عَلَىَّ سَخَطُكَ، لٰكِنْ لَكَ الْعُتْبٰى حَتّى تَرْضٰى، وَلا قُوَّةَ إلّا بِكَ.**[1]

وصادف وصول النبيّ صلى الله عليه وآله إلى البستان وجود مالكيه عتبة وشيبة فراحا ينظران إليه، وكان غلامهما ويدعى عدّاس نصرانيّاً هو الآخر كان يحدّق فيه خاصّة بعد أن سمع دعاءه وكلماته.

وكان مشهد قدميه الداميتين قد حرّك عواطفه تجاه هذا الانسان الذي يتكلّم

---

١. بحار الأنوار: ١٩/ ٢٢؛ سيرة الرسول الأكرم ٩: ٤١٨.

بطريقة لا تنتمي لثقافة هذه المناطق! فاستأذن سيّده في أن يحمل له طبقاً من العنب.

ولمّا وضع عدّاس الطبق أمامه مدّ يده قائلاً بسم الله وكان عدّاس ما يزال يتأمّل في هذا الانسان الذي يتصرّف بأدب ورقّة.

قال له النبيّ صلى الله عليه وآله يحاوره: من أيّ البلاد أنت وما دينك؟

فأجاب عدّاس: أنا نصراني من أهل نينوى.

فقال النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى؟

واستغرب عداس أن يكون هذا الرجل الغريب الطريد يعرف أحوال الأُمم الغابرة والأنبياء السابقين فقال:

ـ وما يدريك بيونس بن متى؟

فقال النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله:

ـ ذاك أخي، انّه نبيّ وأنا نبيّ مثله.

وهنا شعر عدّاس بالانهيار فانكبّ عليه يقبّل رأسه ويديه وقدميه فيما كان شيبة وعتبة يراقبان بدهشة هذا المشهد وشعروا بالندم لسماحهما لعداس بالذهاب إلى النبيّ فقال أحدهما للآخر: لقد أفسده محمّد علينا!

ولما عاد عدّاس إليهما حذراه من الاصغاء للنبيّ صلى الله عليه وآله وقالا له: ان دينك خير من دينه!

فقال عدّاس: اني لا أعلم على وجه الأرض خيراً منه لقد أخبرني عن أمر لا يعلمه إلّا الأنبياء.

وكان النبي صلى الله عليه وآله يخشى أن تصل أنباء رحلته إلى الطائف وما جرى عليه إلى مكّة فيزداد زعماؤها الوثنيّين جرأة في ايذائه لذلك توقّف في وادي نخلة في الطريق إلى مكّة حتّى يتسنى له دخول المدينة بأمان.

هكذا كان يعاني رسول الله في سبيل ابلاغ رسالة ربّه وهكذا كان يحتمل الأذى البدني والروحي، فليس الأمر يسيراً أن يواجه الانسان كلّ هذا الهوان لا لشيء إلّا لأنّه يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد ونبذ الأوثان والاصنام.

أجل ليس سهلاً أن يطارد السفهاء والصبيان آخر الأنبياء وهم يقذفونه بالحجارة حتّى يدمى قدميه.

ومع كلّ هذا العذاب إذا به يتّجه إلى الله في دعائه قائلاً:

**إن لم يكن بك عَلَيّ غضب فلا أُبالي.**

سنلاحظ في المقطع التالي من دعاء السجّاد عليه السلام المزيد من الاصرار والصبر والمقاومة والثبات في طريق ابلاغ رسالات الله وكلماته.

**أيّ بشرى كست الدنيا بهاءا ... قم فهنّي الأرض فيها والسماءا**

**طبق الأرجاء منها أرج ... عطرت نفحة ريّاه الفضاءا**

**بعثة أعلن جبريل بها ... قبل ذا في الملأ الأعلى النداءا**

**قائلاً قد بعث النور الذي ... ليس يخشى أبد الدهر انطفاءا**

**فهنيئاً فتح الخير بمن ... ختم الرحمن فيه الأنبياءا**

**سيّد الرسل جميعاً أحمد ... من بعلياه أتى الذكر ثناءا**

[﴿١٣﴾ وَأَدْأَبَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ.

﴿١٤﴾ وَأَتْعَبَهَا بِالدُّعَاءِ إِلَى مِلَّتِكَ.

﴿١٥﴾ وَشَغَلَهَا بِالنُّصْحِ لِأَهْلِ دَعْوَتِكَ.

﴿١٦﴾ وَهَاجَرَ إِلَى بِلاَدِ الْغُرْبَةِ وَمَحَلِّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ إِرَادَةً مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ وَاسْتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِك.

﴿١٧﴾ حَتَّى اسْتَتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ.

﴿١٨﴾ وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيَائِكَ.

﴿١٩﴾ فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحاً بِعَوْنِكَ وَمُتَقَوِّياً عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ.

﴿٢٠﴾ فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ.

﴿٢١﴾ وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرَارِهِمْ.

﴿٢٢﴾ حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوَكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ].

**صعوبات الطريق**

قوله عليه السلام: «**وَأَدْأَبَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ**» إشارة إلى ماكان يعانيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في طريق ابلاغ الرسالة الالهيّة ولكي يبلغ الانسان درجات الكـمال

ويتحلّى بالأخلاق الرفيعة والصفات النبيلة فانّه يستلزم منه أن يجد طريقاً ومنهجاً، ولهذا فانّ الدين طريق إلى الغايات العليا حيث الدين يهتمّ بتعليم وارشاد بهداية الانسان.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾.[1]

يقول العلّامة الطباطبائي في مسألة فطريّة الدين:

إذا تأمّلنا هذه الأنواع الموجودة التي تتكوّن وتتكامل تدريجاً سواء كانت ذوات حياة وشعور كأنواع الحيوان أو ذات حياة فقط كأنواع النبات أو ميتة غير ذي حياة كسائر الأنواع الطبيعيّة ـ على ما يظهر لنا ـ وجدنا كلّ نوع منها يسير في وجوده سيراً تكوينيّاً معيّناً ذا مراحل مختلفة بعضها قبل بعض وبعضها بعد بعض يردّ النوع في كلّ منها بعد المرور بالبعض الّذي قبله وقبل الوصول إلى ما بعده ولا يزال يستكمل بطيّ هذه المنازل حتّى ينتهي إلى آخرها وهو نهاية كماله.

نجد هذه المراتب المطويّة بحركة النوع يلازم كلّ منها مقامه الخاصّ به لا يستقدم ولا يستأخر من لدن حركة النوع في وجوده إلى أن تنتهي إلى كماله فبينها رابطة تكوينيّة يرتبط بها بعض المراتب ببعض بحيث لا يتجافى ولا ينتقل إلى غير مكانه ومن هنا يستنتج أنّ للنوع غاية تكوينيّة يتوجّه إليها من أوّل وجوده حتّى يبلغها.

فالجوزة الواحدة مثلاً إذا استقرّت في الأرض استقراراً يهيّؤها للنموّ على

---

١. سورة الروم (٣٠): ٣٠.

اجتماع ممّا يتوقّف عليه النموّ من العلل والشرائط كالرطوبة والحرارة وغيرهما أخذ لبّها في النموّ وشقّ القشر وشرع في ازدياد من أقطار جسمه ولم يزل يزيد وينمو حتّى يصل إلى حدّ يعود فيه شجرة قويّة خضراء مثمرة ولا يختلف حالة في مسيره هذا التكوينيّ وهو في أوّل وجوده قاصد قصداً تكوينيّاً إلى غايته التكوينيّة الّتي هي مرتبة الشجرة الكاملة المثمرة.

وكذا الواحد من نوع الحيوان كالواحدة من الضأن مثلاً لا نشكّ في أنّها في أوّل تكوّنها جنيناً متوجّهة إلى غايتها النوعيّة الّتي هي مرتبة الضأنة الكاملة الّتي لها خواصّها فلا تضلّ عن سبيلها التكوينيّة الخاصّة بها إلى سبيل غيرها ولا تنسى غايتها يوماً فتسير إلى غير غايتها كغاية الفيلة مثلاً أو غاية شجرة الجوز مثلاً فكلّ نوع من الأنواع التكوينيّة له مسير خاصّ في استكمال الوجود ذو مراتب خاصّة مترتّبة بعضها على بعض تنتهي إلى مرتبة هي غاية النوع ذاتاً يطلبها طلباً تكوينيّاً بحركته التكوينيّة والنوع في وجوده متّجه بما هو وسيلة حركته وبلوغه إلى غايته.

وهذا التوجّه التكويني لاستناده إلى الله يسمّى هداية عامّة إلهيّة وهي كما عرفت لا تضلّ ولا تخطىء في تسيير كلّ نوع مسيره التكويني وسوقه إلى غايته الوجوديّة بالاستكمال التدريجيّ وبأعمال قواه وأدواته الّتي جهّز بها لتسهيل مسيره إلى غايته.

قال تعالى:

﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾.[1]

---

١. سورة طه (٢٠): ٥٠.

وقال:

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ * وَٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾.[1]

نوع الانسان غير مستثنى من كليّة الحكم المذكور أعني شمول الهداية العامّة له فنحن نعلم أنّ النطفة الانسانيّة من حين تشرع في التكوّن متوجّهة إلى مرتبة إنسان تامّ كامل له آثاره وخواصّة قد قطع في مسيره مراحل الجنينيّة والطفوليّة والمراهقة والشباب والكهولة والشيب.

غير أنّ الانسان يفارق سائر الأنواع الحيوانيّة والنباتيّة وغيرها فيما نعلم في أمر وهو أنّه لسعة حاجته التكوينيّة وكثرة نواقصه الوجوديّة لا يقدر على تتميم نواقصه الوجوديّة ورفع حوائجه الحيويّة وحده بمعنى أنّ الواحد من الإنسان لا تتمّ له حياته الإنسانيّة وهو وحده بل يحتاج إلى اجتماع منزليّ ثمّ اجتماع مدنيّ يجتمع فيه مع غيره بالازدواج والتعاون والتعاضد فيسعى الكلّ بجميع قواهم الّتي جهّزوا بها للكلّ ثمّ يقسّم الحاصل من عملهم بين الكلّ فيذهب كلّ بنصيبه على قدر زنته الاجتماعيّة.

وقد عرفت في سابق مباحث هذا الكتاب أنّ المدنيّة ليست بطبيعيّة للانسان بمعنى أن ينبعث إليه من ناحية طبيعيّة الانسانيّة ابتداء بل له طبيعة مستخدمة لغيره لنفع نفسه ما وجد إليه سبيلاً فهو يستخدمم الأُمور الطبيعيّة ثمّ أقسام النبات والحيوان في سبيل مقاصده الحيويّة فهو باستخدام فرد مثله أو أفراد أمثاله أجرء لكنّه يجد سائر الأفراد أمثاله في الأميال والمقاصد وفي الجهازات والقوى

١. سورة الأعلى (٨٧): ٢ ـ ٥.

فيضطرّ إلى المسالمة وأن يسلّم لهم حقوقاً مثل ما يراه لنفسه.

وينتهي هذا التضارب بين المنافع أن يشارك البعض البعض في العمل التعاونيّ ثمّ يقسّم الحاصل من الأعمال بين الجميع ويعطي منه لكلّ ما يستحقّه.

وكيف كان فالمجتمع الإنساني لا يتمّ انعقاده ولا يعمّر إلّا بأُصول علميّة وقوانين اجتماعيّة يحترمها الكلّ وحافظ يحفظها من الضيعة ويجريها في المجتمع وعند ذلك تطيب لهم العيشة وتشرف عليهم السعادة.

أمّا الأُصول العلميّة فهي معرفته إجمالاً بما عليه نشأة الوجود من الحقيقة وما عليه الإنسان من حيث البداية والنهاية فإنّ المذاهب المختلفة مؤثّرة في خصوص السنن المعمول بها في المجتمعات فالمعتقدون في الانسان أنّه مادّيّ محض ليس له من الحياة إلّا الحياة المعجّلة المؤجّلة بالموت وأن ليس في دار الوجود إلّا السبب المادّي الكائن الفاسد ينظمون سنن اجتماعهم بحيث تؤدّيهم إلى اللذائذ المحسوسة والكمالات الماديّة ما وراءها شيء.

والمعتقدون بصانع وراء المادّة كالوثنيّة يبنون سننهم وقوانينهم على ارشاء الآلهة ليسعدوهم في حياتهم الدنيويّة والمعتقدون بالمبدأ والمعاد يبنون حياتهم على أساس يسعدهم في الحياة الدنيويّة ثمّ في الحياة المؤبّدة التي بعد الموت فصور الحياة الاجتماعيّة تختلف باختلاف الأُصول الاعتقاديّة في حقيقة العالم والانسان الذي هو جزء من أجزائه.

وأمّا القوانين والسنن الاجتماعيّة فلو لا وجود قوانين وسنن مشتركة يحترمها المجتمعون جميعهم أو أكثرهم ويتسلّمونها تفرّق الجمع وانحلّ المجتمع.

وهذه السنن والقوانين قضايا كلّيّة عمليّة صورها: يجب أن يفعل كذا عند كذا أو

يحرم أو يجوز وهي أيّاً ما كانت معتبرة في العمل لغايات مصلحة للاجتماع والمجتمع تترتّب عليها تسمّى مصالح الأعمال ومفاسدها.

قد عرفت أنّ الانسان إنّما ينال ما قدّر له من كمال وسعادة بعقد مجتمع صالح يحكم فيه سنن وقوانين صالحة تضمن بلوغه ونيله سعادته الّتي تليق به وهذه السعادة أمر أو اُمور كماليّة تكوينيّة تلحق الانسان الناقص الذي هو أيضاً موجود تكوينيّ فتجعله إنساناً كاملاً في نوعه تامّاً في وجوده.

فهذه السنن والقوانين ـ وهي قضايا عمليّة اعتباريّة ـ واقعة بين نقص الانسان وكماله متوسّطة كالعبرة بين المنزلتين وهي كما عرفت تابعة للمصالح الّتي كمال أو كمالات إنسانيّة، وهذه الكمالات اُمور حقيقيّة مسانخة ملائمة للنواقص التي هي مصاديق حوائج الانسان الحقيقيّة.

فحوائج الانسان الحقيقيّة هي التي وضعت هذه القضايا العمليّة واعتبرت هذه النواميس الاعتباريّة، والمراد بالحوائج هي ما تطلبه النفس الانسانيّة بأميالها وعزائمها ويصدّقه العقل الذي هو القوّة الوحيدة التي تميّز بين الخير والنافع وبين الشرّ والضارّ دون ما تطلبه الأهواء النفسانيّة ممّا لا يصدّقه العقل فإنّه كمال حيواني غير انساني.

فاُصول هذه السنن والقوانين يجب أن تكون الحوائج الحقيقيّة التي هي بحسب الواقع حوائج لا بحسب تشخيص الأهواء النفسانيّة.

وقد عرفت أنّ الصنع والايجاد قد جهّز كلّ نوع من الأنواع ـ ومنها الانسان ـ القوي والأدوات بما يرتفع بفعاليّته حوائجه ويسلك به سبيل الكمال ومنه يستنتج أنّ للجهازات التكوينيّة التي جهّز بها الانسان اقتضاءات للقضايا العمليّة المسمّاة

بالسنن والقوانين التي بالعمل بها يستقرّ الانسان في مقرّ كماله مثل السنن والقوانين الراجعة إلى التغذّي المعتبرة بما أنّ الانسان مجهّز بجهاز التغذّي والراجعة إلى النكاح بما أنّ الإنسان مجهّز بجهاز التوالد والتناسل.

فتبيّن أنّ من الواجب أن يتّخذ الدين ـ أي الأُصول العمليّة والسنن والقوانين العمليّة التي تضمن باتّخاذها والعمل بها سعادة الانسان الحقيقيّة ـ من اقتضاءات الخلقة الانسانيّة وينطبق التشريع على الفطرة والتكوين، وهذا هو المراد بكون الدين فطريّاً وهو قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.[1]

قد عرفت معنى كون الدين فطريّاً فالاسلام يسمّى دين الفطرة لما أنّ الفطرة الانسانيّة تقتضيه وتهدي إليه.

ويسمّى إسلاماً لما أنّ فيه تسليم العبد لارادة الله سبحانه منه، ومصداق الارادة وهي صفة الفعل تجمّع العلل المؤلّفة من خصوص خلقة الانسان وما يحتفّ به من مقتضيات الكون العام على اقتضاء الفعل أو الترك.

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللهِ ٱلْإِسْلاَمُ﴾.[2]

ويسمّى دين الله لأنّه الذي يريده الله من عباده من فعل أو ترك بما مرّ من معنى الإرادة.

---

١. سورة الروم (٣٠): ٣٠.
٢. سورة آل عمران (٣): ١٩.

ويسمّى سبيل الله لما أنّه السبيل التي أرادها الله أن يسلكها الانسان لتنتهي به إلى كماله وسعادته.

قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ وَيَبْغَونَهَا عِوَجاً﴾[1].[2]

وحتّى إذا كان الهدف من الحياة الوصول إلى الجنّة فانّ الحاجة إلى الأنبياء قائمة، ذلك انّه لا يمكن لأحد الدخول في الجنّة إلّا من خلال هداية الأنبياء والرسل والأولياء وحجج الله على عباده بالحق واذن فانّ امتلاك المنهج والطريق والفطرة من جذور المعرفة الدينيّة هي التي تمكّن الانسان من انتخاب طريق الصواب.

### تحمّل العذاب البدني والروحي

ما إن أعلن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله رسالته الالهيّة رسميّاً حتّى تصدّى له جبابرة قريش الوثنيّون وحاولوا اخماد صوت الدعوة الاسلاميّة بكلّ وسيلة، بدأوا برسائل الاغراء حتّى اقترحوا تنصيب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ملكاً على مكّة وتوفير كافّة مستلزمات الحياة ليعيش في ترف ورفاه وعندما أخفقوا في مساعيهم، عمدوا إلى اتّهامه بالجنون والسحر ومارسوا اسلوب الاستهزاء السخريّة في محاولة لتسقيطه اجتماعيّاً وافقاده التأثير في مخاطبيه، فتارة قالوا عنه انّه ساحر وكاهن وقالوا انّه كذّاب وقالوا انّه مجنون.

ومرّة وقد كان يتلو القرآن في المسجد الحرام جاء أحد عتاة قريش فوضع

---

١. سورة الأعراف (٧): ٤٥.
٢. الميزان: ١٦/ ١٩٨ ـ ٢٠٣

على رأسه أحشاء خروف، وكنّا أشرنا آنفاً إلى جانب ممّا جرى عليه في الطائف وما جرى عليه في الحصار داخل الوادي واستمرّ مسلسل المعاناة والعذاب إلى أن اضطرّ بعض أتباعه للهجرة للحبشة وبعدها إلى يثرب حيث هاجر صلى الله عليه وآله.

لقد تحمّل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله صنوف العذاب ومع ذلك كان آية كبرى في الصبر والثبات والمقاومة.

﴿ فَلِذٰلِكَ فَادْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾.[1]

كان الاسلام يمثّل تهديداً لمصالح جبابرة قريش الوثنيّين الذين كانوا سادة مكّة من خلال ثرواتهم وتعاطيهم الربا واستغلالهم الفقراء والبؤساء؛ من أجل ذلك حاربوا الاسلام بكلّ ما اوتوا من امكانات وفي المقابل كان الوحي الالهي لا ينفكّ يطلب من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الصبر والثبات.

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾.[2]

فكانت مسيرته مسيرة شاقّة مليئة بالتضحيات.

يقول صلوات الله عليه وآله:

**إنْ عَرَضَ لَكَ بَلاءٌ فَاجْعَلْ مالَكَ دُونَ دَمِكَ فَإنْ تَجاوَزْكَ البَلاءُ فَاجْعَلْ مالَكَ وَدَمَكَ دُوْنَ دينِكَ، فَإنَّ المَسْلُوبَ مَنْ سَلَبَ دينُهُ وَالمَخْرُوبَ مَنْ خَرِبَ دينُه.**[3]

كان النبيّ صلى الله عليه وآله يتحمّل الكثير وغايته رضا الله عزّوجلّ.

يروي طارق المحاربي قائلاً:

---

١. سورة الشورى (٤٢): ١٥. ٢. سورة القلم (٦٨): ٤٨.

٣ـ كنز العمال: ١٥/٩٣٣، حديث ٤٣٦٠١؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٦/٤١٧.

رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في سويقة ذي المجاز عليه حلّة حمراء وهو يقول يا أيّها الناس قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا وأبو لهب يتبعه ويرميه بالحجارة وقد أدمى كعبه وعرقوبيه وهو يقول يا أيّها الناس لا تطيعوه فانّه كذّاب.[١]

يقول «يونس ويليبه»:

لقد جاء محمّد صلى الله عليه وآله بدين مهذّب إلى العالم وهو يمثل عناية الله الذي اصطفاه لهداية المسيحيّين الضالّين.

انّ الدين المحمّدي بلغ من العقلانيّة بحيث لا يحتاج إلى التوسّل بقوّة السيف في نشره يكفي أن تبيّن للناس اسسه وأُصوله فيعتنقوه باخلاص.[٢]

### الاعراض عن حياة الدعة

يقول الإمام السجّاد عليه السلام: **«وَأَتْعَبَهَا بِالدُّعَاءِ إِلَى مِلَّتِكَ»** ولقد كانت حياة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بعد البعثة الشريفة عبارة عن مسلسل من المعاناة والآلام وكان طريقه محفوفاً بالاخطار والمصاعب والتحدّيات من أجل ابلاغ رسالة الله إلى العالم، فأعرض عن حياة الدعة والراحة والعيش الرغيد وسلك طريق الجهاد والمقاومة من أجل ارساء دعائم الدين الحق فكان صلوات الله عليه بمثابة الطبيب الميداني الخبير بالأوجاع والآلام والعلل يدور بطبّه وخبرته لمعالجة العلل والأمراض الاجتماعيّة والنفسيّة المتفشية في المجتمعات.

وقد تطلّب ذلك منه أن يجهد نفسه ويتعبها ويحملها على تحمّل المشاق

---

١. بحار الأنوار: ١٨/ ٢٠٢؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ١/ ٥٦.

٢. زندگاني محمّد صلى الله عليه وآله (حياة محمّد صلى الله عليه وآله بالفارسيّة): ١٧٧.

والصعوبات من أجل تنبيه الغافلين وايقاظ النائمين وبعث الروح في نسغ الحياة ما اضطره ﷺ إلى مغادرة موطنه والهجرة إلى بلاد أُخرى من أجل نشر الدين، عندما تعذّر عليه ذلك في وطنه وكلّفه الكثير الكثير من التضحيات والمعاناة والآلام قال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

كلّ ذلك من أجل انقاذ البشر وهدايتهم إلى طريق الحياة الانسانيّة المفعمة بالايمان والطمأنينة والسلام.

وعندما كان يواجه عناد الجبابرة وأتباعهم من الجهّال والبسطاء، كانت نفسه تمتلأ حسرة وألماً.

قال تعالى:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ ٱللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.[2]

**الاعداد النفسي**

انّ المهمّة التي نهض بها رسول الله ﷺ تتطلّب منه اعداداً نفسيّاً وروحيّاً عظيماً وهذا لا يتأتّى إلّا من خلال العبادة وتعزيز العلاقة بالله عزّوجلّ.

يقول الإمام علي أميرالمؤمنين عليه السلام في هذا المضمار:

---

١. سورة التوبه (٩): ١٢٨.
٢. سورة فاطر (٣٥): ٨.

**وَلَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللهِ عليه السلام عَشْرَ سِنِينَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ يَقُومُ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتَّى عُوتِبَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ طه مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ ﴾ بَلْ لِتَسْعَدَ بِه.**[1]

يروي العلّامة الطباطبائي في تفسير الآية الكريمة أعلاه عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قوله: لمّا نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾[2] قام الليل كلّه حتّى تورّمت قدماه، فجعل يرفع رجلاً ويضع رجلاً فهبط عليه جبرئيل فقال: «طه» يعني الأرض بقدميك يا محمّد «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى».[3] هكذا كان يصلّي رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ تمرّ ساعات الليل وهو صلى الله عليه وآله واقف على أطراف قدميه يعبد الله سبحانه حتّى أن قدميه كانت تتورّمان من شدّة التعب فأمره الله سبحانه أن يخفّف عن نفسه والّا يرهقها بكثرة العبادة، ذلك ان القرآن لم ينزل عليه ليشقى ويتعب وإنّما ليسعد به وينال الكرامة في الدنيا والآخرة.

### مصاعب الطريق

واجه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في طريق إبلاغ الرسالة ونشر الدين الحقّ الكثير من المشكلات والمصاعب نجملها بما يلي:

١ ـ اندلاع الحروب مع قومه وعشيرته ومشركي مكّة المكرّمة وكفّارها حيث تحمّل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في ذلك الكثير من المشكلات فقد تقطّعت علاقاته مع

---

١. بحار الأنوار: ٦٨ /٢٦؛ تفسير القمي: ٢ /٥٧، ذيل آية ٢ سورة طه.
٢. سورة المزمّل (٧٣): ١ ـ ٢.
٣. تفسير الميزان ٤ /١٢٦؛ الدرّ المنثور: ٤ /٢٨٨.

قومه وعشرته في سبيل إرساء دعائم الدين ووصلت الأُمور إلى اندلاع الحروب والمعارك الدامية.

يقوم الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

**وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خٰاضَ إِلىٰ رِضْوانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ وَتَجَرَّعَ فيهِ كُلَّ غُصَّةٍ وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ.**[1]

٢ ـ سعيه الحثيث في مخاطبة العقول والأذهان وذوي الادراك الساذج وكان تهمّه هدايتهم وادراكهم الحقيقة ولهذا كان يعاني روحيّاً معاناة شديدة عندما يواجهه اعراضهم ونفورهم من الحقّ.

**﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِم إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾.**[2]

ولقد كانت غاية النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أن يهفو الجميع إلى النور الإلهي ليستضيئوا به ويسلكوا الطريق اللاحب المضيء الذي يقودهم إلى التكامل الانساني والرقي الأخلاقي.

فكان صلوات الله عليه وآله في جهد دائب يحمل هموم الدعوة وينوء بحمل الرسالة الالهيّة وقد بلغ من العطف والرحمة أن ضحى براحته الشخصيّة من أجل اسعاد الآخرين.

سأل أحدهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن طريق الراحة فقال عليه السلام: **في خلاف الهوى.**

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥؛ بحار الأنوار: ١٨ / ٢٢٤.

٢. سورة الكهف (١٨): ٦.

فقال السائل: فمتىٰ يجد الراحة؟

فقال عليه السلام: **عند أوّل يوم يصير في الجنّة.**[١]

٣ ـ كان النبيّ صلى الله عليه وآله يأخذ بنظر الاعتبار مستويات الادراك لمن يخاطبهم ويدعوهم إلى الاسلام فكان يتحدّث مع الناس على قدر ادراكاهم ومستوياتهم الفكريّة.

يقول صلوات الله عليه وآله:

**إنّا مَعَاشِرَ الأَنْبياءِ أُمِرْنا اَنْ نُكَلِّمَ النّاسَ عَلىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ.**[٢]

وهذا أمر ليس باليسير ويتطلّب مهارات خاصّة.

٤ ـ وبسبب احتكاك النبيّ صلى الله عليه وآله المستمر بالناس وارتباطه الوثيق بالحياة الاجتماعيّة فانّه صلى الله عليه وآله كان يشعر ببعض التراجع وبحالة من الانحسار في الذكر الالهي، وهو الذي بلغ الذروة من الكمال فكان قاب قوسين أو أدنى، من أجل ذلك كان يشعر بتساقط بعض ذرّات الغبار الدنيوي على فؤاده المشرق صفاءً فيلجأ إلى الاستغفار نافضاً ذرّات الغبار بطلب العفو والمغفرة من الله عزّوجلّ.

يقول النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله:

**إنَّهُ لَيُغانُ عَلىٰ قَلْبِي وَإنّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةٍ.**[٣]

يعني انّ الاحتكاك المستمرّ في الحياة اليوميّة تسبّب له صلى الله عليه وآله بحالة الانحسار في الحالة الروحيّة الرفيعة لذا كان صلى الله عليه وآله يضاعف من عبادته ومناجاته.

---

١. بحار الأنوار: ٧٥ / ٢٥٤؛ تحف العقول: ٣٧٠.

٢. الكافي: ١ / ٢٣؛ بحار الأنوار: ١٦ / ٢٨٠.

٣. مستدرك الوسائل ٥ / ٣٢٠.

**تأثير الموعظة في الهداية ونشر الوعي**

يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «**وَشَغَلَهَا بِالنُّصْحِ لِأَهْلِ دَعْوَتِكَ**» لقد كرّس النبيّ صلى الله عليه وآله كلّ وجوده وانصرف إلى الدعوة للإسلام دين الله الحق بالحكمة والموعظة فكانت أحاديثه غاية في البلاغة والتأثير في نفوس مخاطبيه وكانت توقظ فطرتهم وتنبّه ضمائرهم، وكان هذا أُسلوب دعوته.

قال تعالى:

﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾.[1]

فكانت كلماته صلى الله عليه وآله دواءً وعلاجاً للأمراض النفسيّة المتفشية في المجتمع.

﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾.[2]

لقد كان صلى الله عليه وآله لا ينفك يدعو الناس إلى رسالة الله في كلّ الظروف والمنعطفات الخطيرة لم يتوقّف لحظة واحدة ولم يفقد الأمل في هداية ألدّ خصومه وأعدائه، انه رسول الله تعالى الذي أرسل رحمة للعالمين:

﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ** ﴾.[3]

وتعني كلمة «النصح» الاخلاص والخالصيّة وهي مقترنة بنشدان الخير للآخرين ولا يقتصر النصح على الموعظة الكلاميّة وإنّما يتّسع المفهوم إلى العمل

---

١. سورة النحل (١٦): ١٢٥.
٢. سورة يونس (١٠): ٥٧.
٣. سورة الأعراف (٧): ٦٨.

المخلص الذي يهدف إلى تحقيق الخير والصلاح.

ونصيحة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله لقومه تتجلّى في مواعظه البليغة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ودعوتهم إلى كلّ ما من شأنه خير الدنيا والآخرة وتحذيرهم من كلّ ما يتسبّب لهم في شقاء الدنيا وعذاب الآخرة.

## الهداية وصول وإيصال

تتوقّف الهداية لدى كلّ انسان على ما يكمن في أعماقه من نزعات وميول وارادة وعلى العموم فان الهداية على نحوين:

ـ هداية وصول.

ـ وهداية ايصال.

وهداية الوصول هي قيام الدليل والهادي بهداية شخص عن بعد أمّا هداية الايصال فتعني قيام الهادي بالاشراف على هداية الشخص عن قرب وفي أُسلوب مفعم باللطف والمحبّة والرفق إلى أن يصل إلى الهدف المنشود.

والنوع الثاني هو الأرقى والأفضل بسبب ندرة ما يقع من اخطاء محتملة.

## الهداية في الروايات

امتاز الأنبياء عليهم السلام بصفات أخلاقيّة رفيعة منحتهم القداسة لدى الناس والتأثير في نفوسهم، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يمتاز بشخصيّة أخلاقيّة فريدة، وكان صلى الله عليه وآله يمجّد الجانب الأخلاقي لدى الانسان ويعدّه وهجاً من أنوار النبوّة.

يقول صلى الله عليه وآله:

**الإقْتِصادُ وَحُسْنُ السَّمْتِ وَالهَدْىُ الصالِحُ جُزْءٌ مِنْ بِضعٍ وَعِشرينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّهِ.**(١)

أمّا الرسالة الالهيّة التي حملها النبيّ ﷺ فهي الدعوة إلى طريق التوحيد من خلال الابتعاد عن كلّ ما يلوّث النفس من رذائل أخلاقيّة.

جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ:

**الدِّينُ النَّصيحَةُ. قُلْنا لِمَنْ؟ قَالَ: لِلّهِ ولِكِتابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئَمَّةِ المُسْلِمينَ وعامَّتِهِم.**(٢)

ولم يكن الأنبياء في أداء رسالات الله يطلبون أجراً.

﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهَ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.(٣)

﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللهَ ﴾.(٤)

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾.(٥)

يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

**أيُّها النّاسُ اِنَّ لى عَلَيْكُمْ حَقّاً وَلَكُمْ عَلَىَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَىَّ: فَالنَّصيحَةُ لَكُمْ وَ تَوْفيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ وَ تَعْليمُكُمْ كَيْلا تَجْهَلُوا، وَ تَأْديبُكُمْ كَيْما تَعْلَمُوا. وَاَمّا حَقّى عَلَيْكُمْ: فَالْوفَاءُ بِالبَيْعَةِ وَالنَّصيحَةُ فِى المَشْهَدِ والْمَغيبِ وَالْاِجابَةُ حينَ**

---

١. مجموعة ورّام: ١/١٦٧.
٢. صحيح مسلم: ١/٥٣، كتاب الأيمان؛ كنز العمال: ٣/٤١٢؛ المسند، للشافعي: ٢٣٣.
٣. سورة يونس (١٠): ٧٢. ٤. سورة هود (١١): ٢٩.
٥. سورة الشعراء (٢٦): ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

**أَدْعُوكُمْ وَالطّاعَةُ حِيْنَ آمُرُكُمْ.**[١]

ويقول عليه السلام في بيان واجبات الأئمّة الأطهار عليهم السلام:

**اِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الإمامِ اِلّا ما حُمِّلَ مِنْ اَمْرِ رَبِّهِ: اَلْاِبلاغُ فِى المَوْعِظَةِ وَالإِجْتِهادُ فِى النَّصيحَةِ وَ الْإحياءُ لِلسُّنَّةِ.**[٢]

**الاستنصار بالله**

يقول الإمام السجاد في هذا المقطع من الدعاء: «**وَاسْتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِك**» والاستنصار يعني طلب المعونة والنصرة من الله تعالى فلقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله يستمدّ عزمه من الله العليّ القدير ويطلب منه النصر على أهل الباطل والكفر على اختلاف مذاهبهم وفرقهم وتوجّهاتهم الفكريّة بدءً من وثني قريش في كفرهم المعلن والسرّي؛ وحتّى الذين يحاولون ابتداع أشياء ليست من الدين وادخالها في الدين ولقد وعد الله سبحانه أنبياءه بالنصر:

﴿ **فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ** ﴾.[٣]

ولقد نهض رسول الله يواجه الوثنيّة والوثنيّين واتبعه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فساندوه ونصروه وكان الله عزّوجلّ من ورائهم يمدّهم بالقوى الغيبيّة لنصرة رسوله في صراعه مع الوثنيّين.

﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن**

١. نهج البلاغة: الخطبة ٣٤.
٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٤.
٣. سورة إبراهيم (١٤): ٤٧.

﴿ يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ ٱللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.[١]

ومن الواضح انّ النصر الإلهي يعني انتصار الدين والانتصار للرسول ﷺ في نشر الشريعة والتعاليم الالهيّة، قال تعالى:

﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾.[٢]

ويتجلّى النصر الإلهي في تعزيز روح الإيمان في قلوب المؤمنين ومدّهم بالعزيمة والارادة ومن جهة أُخرى مدّهم بالملائكة تقاتل معهم وحسم المعركة لصالح دين الله

**النصر الإلهي في معركة بدر**

ولقد أمدّ الله سبحانه رسوله ومن معه من جنود الإسلام بآلاف الملائكة:

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾.[٣]

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾.[٤]

جاء في تفسير «الأمثل» حول شأن نزول الآية أعلاه:

«بعد انتهاء معركة أُحد» عاد المشركون المنتصرون إلى مكّة بسرعة ولكنّهم بدا لهم في أثناء الطريق أن لا يتركوا هذه الانتصار دون أن يكملوه ويجعلوه ساحقاً أليس من الأحسن أن يعودوا إلى المدينة وينهبوها، ويلحقوا بالمسلمين المزيد من الضربات القاضية وأن يقتلوا محمّداً ﷺ إذا كان لا يزال حيّاً ليتخلّصوا من

١. سورة الحديد (٥٧): ٢٥.
٢. سورة الحشر (٥٩): ٨.
٣. سورة آل عمران (٣): ١٢٦.
٤. سورة آل عمران (٣): ١٢٣.

الاسلام والمسلمين ويطمئنّ بالهم من ناحيتهم بالمرّة.

لهذا صدر قرار بالعود إلى المدينة ولا ريب أنه كان أخطر مراحل معركة «أُحد» بالنظر إلى ما كان قد لحق بالمسلمين من القتل والجراحة والخسائر الذي كان قد سلب منهم كلّ طاقة للدخول في معركة جديدة أو لاستئناف القتال فيما كان العدو في ذروة القوّة والروحيّة العسكريّة التي كانت تمكن العدو من تحقيق انتصارات جديدة واحراز النتيجة لصالحه، فنهاية هذا العودة ونتيجتها كانت معروفة سلفاً.

وقد بلغ خبر العودة هذه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ولو لا شهامته البالغة وقدرته المكتسبة من الوحي على الأخذ بزمام المبادرة لانتهى تاريخ الاسلام وحياته عند تلك النقطة.

في هذه المرحلة الحسّاسة بالذات نزلت الآيات الحاضرة لتقوي روحيّة المسلمين وتصعد من معنويّاتهم وفي أعقاب ذلك صدر أمر من النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المسلمين بالتهيّؤ لمقابلة المشركين فاستعدّ جميع المسلمين حتّى المجروحين.

(منهم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي كان يحمل في جسمه أكثر من ستّين جراحة لمقابلة المشركين وخرجوا بأجمعهم من المدينة لذلك. فبلغ هذا الخبر مسامع زعماء قريش، فأرعبتهم هذه المعنويّة العالية التي يتمتّع بها المسلمون، وظنّوا أن عناصر جديدة التحقت بالمسلمين، وأن هذا يمكن أن يغيّر نتائج المواجهة الجديدة لصالح المسلمين، ولذلك فكروا في العدول عن قرارهم بمهاجمة المدينة حفاظاً على قواهم، وهكذا قفلوا راجعين إلى مكّة بسرعة وانتهت القضيّة عند هذا الحد.

فقد بدأت هذه الآيات بتذكير المسلمين بما تحقّق من نصر ساحق بتأييد الله لهم في «بدر».

فقد نصرهم الله وهم على درجة كبيرة من الضعف وقلّة العدد وضآلة العدّة.

ثمّ تتعرّض الآية لذكر بعض التفاصيل حول ما جرى في بدر حيث كان النبيّ يعبئ المسلمين للحرب والقتال:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾.[1]،[2]

والنصر الإلهي الذي يتحقّق على أيدي عباده وملائكته إنّما يحصل بفعل ارادة الله عزّوجلّ بعد أن يمتاز الأخيار عن الأشرار وتظهر النوايا إلى دائرة الفعل وتتحدّد المواقف بين مطيع مستسلم لارادته سبحانه وبين عاص معاند.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً إِنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[3]،[4]

وقد أورد صاحب البحار حول ما جرى في معركة «بدر» قوله:

**ذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ كَابْنِ عَبَّاسٍ وَ غَيْرِهِ أَنَّ جَبْرَئِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله يَوْمَ بَدْرٍ خُذْ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَارْمِهِمْ بِهَا فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: لَمَّا الْتَقَى الْجَمْعَانِ لِعَلِيٍّ عليه السلام أَعْطِنِي قَبْضَةً مِنْ حَصْبَاءِ الْوَادِي فَنَاوَلَهُ كَفّاً مِنْ حَصىً عَلَيْهِ تُرَابٌ فَرَمَى بِهِ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلّا دَخَلَ فِي**

---

١. سورة آل عمران (٣): ١٢٤.
٢. التفسير الأمثل: ٢ /٦٧٦ ـ ٦٧٨.
٣. سورة الأنفال (٨): ١٧.
٤. التفسير الأمثل ذيل الآية ١٢٣ من سورة آل عمران.

**عَيْنِهِ وَفَمِهِ وَمَنْخِرِيهِ مِنْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ رَدِفَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ وَكَانَتْ تِلْكَ الرَّمْيَةُ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْقَوْمِ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَأَنَسٌ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله أَخَذَ يَوْمَ بَدْرٍ ثَلاثَ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِحَصَاةٍ فِي مَيْمَنَةِ الْقَوْمِ وَحَصَاةٍ فِي مَيْسَرَةِ الْقَوْمِ وَحَصَاةٍ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَانْهَزَمُوا فَعَلَى هَذَا إِنَّمَا أَضَافَ الرَّمْيَ إِلَى نَفْسِهِ لأَنَّهُ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ غَيْرَهُ عَلَى مِثْلِهِ فَإِنَّهُ مِنْ عَجَائِبِ الْمُعْجِزَاتِ.**[1]

وفي كلّ الأحوال فان هذه الحوادث إنّما هي امتحانات واختبارات لصدق الايمان الذي يجب تمتد جذوره في أعماق القلب والروح.

وخلال مسار الرسالة والدعوة إلى الله ورسالاته تعرض الجميع للاختبار وتحدّدت المواقف بين مؤمن وكافر ومصدق ومكذب.

وقد وقفت قريش موقفاً سلبيّاً ورفضت الايمان بالاسلام بل وتصدّت للقضاء على الدعوة الإسلاميّة وسخّرت كلّ إمكاناتها من أجل ذلك.

فيما نرى أُناساً قدموا من يثرب للحجّ والعمرة من قبيلتي الأوس والخزرج فيؤمنون بالنبيّ صلى الله عليه وآله ويصدّقون رسالته ويبايعونه على مساندته والتضحية في سبيل الله.

يقول الإمام عليّ عليه السلام:

**مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ، أُتيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ.**[2]

---

١. بحار الأنوار: ١٩/ ٢٩٩.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ١٤.

## عفوه عند القدرة

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

**نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ تَحْتَ شَجَرَةٍ عَلَى شَفِيرِ وَادٍ فَأَقْبَلَ سَيْلٌ فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ فَرَآهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُسْلِمُونَ قِيَامٌ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي يَنْتَظِرُونَ مَتَى يَنْقَطِعُ السَّيْلُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِقَوْمِهِ: أَنَا أَقْتُلُ مُحَمَّداً، فَجَاءَ وَشَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالسَّيْفِ ثُمَّ قَالَ: مَنْ يُنْجِيكَ مِنِّي يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ، فَنَسَفَهُ جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ فَرَسِهِ فَسَقَطَ عَلَى ظَهْرِهِ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ فَأَخَذَ السَّيْفَ وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: مَنْ يُنْجِيكَ مِنِّي يَا غَوْرَثُ؟ فَقَالَ: جُودُكَ وَ كَرَمُكَ يَا مُحَمَّدُ، فَتَرَكَهُ وَقَامَ وَهُوَ يَقُولُ وَاللهِ لأَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي وَأَكْرَمُ.**[1]

---

١. بحار الأنوار: ٢٠ /١٧٩.

**[﴿٢٣﴾ اَللَّهُمَّ فَارْفَعْهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ.**

**﴿٢٤﴾ حَتَّى لاَ يُسَاوَىٰ فِي مَنْزِلَةٍ وَلاَ يُكَافَأُ فِي مَرْتَبَةٍ وَلاَ يُوَازِيَهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.**

**﴿٢٥﴾ وَعَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلَّ مَا وَعَدْتَهُ.**

**﴿٢٦﴾ يَا نَافِذَ الْعِدَةِ يَا وَافِيَ الْقَوْلِ يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ إِنَّكَ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ].**

### منزلة النبيّ صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة

وفي هذا المقطع من الدعاء يتضرّع الإمام السجّاد عليه السلام إلى الله عزّوجلّ أن يرفع من درجات النبيّ صلى الله عليه وآله ومنزلته لتكون فريدة في علوّها حتّى لا يدانيه أحد من الملائكة ولا من الرسل والأنبياء ومكافأة له صلى الله عليه وآله على كدحه وجهوده وجهاده الطويل في سبيل الله عزّوجلّ وابلاغ رسالاته.

### درجات الانسان في القرآن الكريم

انّ احدى صفات الله عزّوجلّ التي أشار إليها القرآن الكريم هي في قوله تعالى:

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ ﴾.[١]

وترتبط الدرجات الالهيّة بالاخلاص لله عزّوجلّ، فهو سبحانه يرفع الانسان إلى درجات رفيعة عالية بحسب ايمانه وعبادته واخلاصه في ظلال من رحمته تبارك وتعالى:

﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ ٱلصَّالِحَاتِ فَأُولٰئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَاتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾.[٢]

وفيما يخصّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله فقد حاز صلى الله عليه وآله أعلى الدرجات، والله سبحانه يمدّ الناس بعطائه وفيض فضله، حيث يتفاوت هذا العطاء في الدنيا ويتضاعف في الآخرة.

﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلَآءِ وَهَـٰؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * ٱنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾.[٣]

وهذه الدرجات الالهيّة يمنحها الله عزّوجلّ للمؤمنين به والمجاهدين في سبيله الذين يتحمّلون صنوف الأذى والعذاب في سبيله.

﴿ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ﴾.[٤]

وتتجلّى الدرجات الالهيّة للفائزين يوم القيامة فتبدو واضحة متألّقة حيث يحصل الانسان المؤمن على موقع فريد وحياة طيّبة وعيش رغيد.

---

١. سورة غافر (٤٠): ١٥.
٢. سورة طه (٢٠): ٧٥.
٣. سورة الإسراء (١٧): ٢٠ ـ ٢١.
٤. سورة التوبة (٩): ٢٠.

﴿أُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

## درجات الانسان في الروايات

يقول النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بشأن ما يحصل عليه الانسان المؤمن:

**اِنَّ اللهَ يَقُولُ اَعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصّالِحِينَ، مٰا لٰا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلٰا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ بَلْهَ مٰا اَطْلَعْتُكُمْ عَلَيْهِ.**[2]

وكما انّ مستويات العيش وما يحصل عليه الانسان في الدنيا يتوقّف على مدى سعيه ومثابرته، فان ما يحصل عليه في عالم الآخرة يتوقّف أيضاً على مدى عمله الصالح وايمانه الواضح؛ مع الاشارة إلى الفرق بين ما يحصل عليه الانسان في الدنيا مع ما يحصل عليه في الآخرة، ففي عالم الدنيا يحصل الانسان على أشياء محدودة ولفترة محدودة زمنيّاً في حين ان ما يحصل عليه الانسان المؤمن في عالم الآخرة لا تحدّه حدود، كما لا يوجد زمن محدّد لذلك لأنّه زمن مفتوح بلا حدود.

يقول الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام في توصيفه للجنّة:

**دَرَجٰاتٌ مُتَفٰاضِلٰاتٌ، وَمَنٰازِلُ مُتَفٰاوِتٰاتٌ، لٰا يَنْقَطِعُ نَعيمُهٰا، وَلٰا يَظْعَنُ مُقيمُهٰا وَلٰايَهْرَم خالِدُها، وَ لايَبْأَسُ ساكِنُها.**[3]

وقد اقتضت حكمة الله تعالى ان من ينتخب لحمل رسالاته هو من يتحمّل ثقل

---

١. سورة الأنفال (٨): ٤.
٢. بحار الأنوار: ٨/ ٩٢؛ كنز العمال: ١٥/ ٧٧٨.
٣. نهج البلاغة: الخطبة ٨٤.

هذه المسؤوليّة، حيث ينبغي أن يتمتّع بصفات فريدة من الفضائل الأخلاقيّة الرفيعة والروح العظيم والنفس الكريمة.

ورد في السيرة المشرقة لرسول الله صلى الله عليه وآله:

**لَقَدْ جَاءَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله ابْنُ خَوَلِيٍّ بِإِنَاءٍ فِيهِ عَسَلٌ وَلَبَنٌ فَأَبَى أَنْ يَشْرَبَهُ فَقَالَ: شَرْبَتَانِ فِي شَرْبَةٍ وَإِنَاءَانِ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ فَأَبَى أَنْ يَشْرَبَهُ ثُمَّ قَالَ: مَا أُحَرِّمُهُ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْفَخْرَ وَالْحِسَابَ بِفُضُولِ الدُّنْيَا غَداً وَأُحِبُّ التَّوَاضُعَ فَإِنَّ مَنْ تَوَاضَعَ لِلّٰهِ رَفَعَهُ الله.**[1]

ودعاء الأمة أن يمنح الله عزّوجلّ رسوله المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله الوسيلة والدرجات الرفيعة إنّما يأتي شكراناً له على أن أدّى رسالات ربّه في هدايتها.

يقول الإمام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

**اَللّٰهُمَّ اَعْطِ مُحَمَّداً الْوَسيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالْفَضيلَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الْكَريمَةَ،**

**اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ اَعْظَمَ الْخَلائِقِ كُلِّهِمْ شَرَفاً يَوْمَ القِيامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْكَ مَقْعَداً وَاَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ جاهاً وَاَفْضَلَهُمْ عِنْدَكَ مَنْزِلَةً وَنَصيباً، اللّٰهُمَّ اَعْطِ مُحَمَّداً اَشْرَفَ الْمَقامِ وَجِباءَ السَّلامِ وَشَفاعَةَ الْإِسْلامِ.**[2]

---

١. بحار الأنوار: ٦٣ / ٣٢٤.
٢. بحار الأنوار: ٧٤ / ٣٥٤؛ الكافي: ٨ / ١٧٥.

# الدعاء الثالث

# الصلاة علىٰ الملائكة

﴿١﴾ اَللَّهُمَّ وَحَمَلَةُ عَرْشِك الَّـذِينَ لاَ يَـفْتُرُونَ مِـنْ تَسْـبِيحِك وَلاَ يَسْـأَمُونَ مِـنْ تَقْدِيسِك وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِك وَلاَ يُؤْثِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِك وَلاَ يَغْفُلُونَ عَنِ الْوَلَهِ إِلَيْك .

﴿٢﴾ وَإِسْرَافِيلُ صَاحِبُ الصُّورِ الشَّاخِصُ الَّذِي يَنْتَظِرُ مِنْك الْإِذْنَ وَحُـلُولَ الْأَمْـرِ فَيُنَبِّهُ بِالنَّفْخَةِ صَرْعَى رَهَائِنِ الْقُبُورِ .

﴿٣﴾ وَمِيكَائِيلُ ذُوالْجَاهِ عِنْدَك وَالْمَكَانِ الرَّفِيعِ مِنْ طَاعَتِك .

﴿٤﴾ وَجِبْرِيلُ الْأَمِينُ عَلَى وَحْيِك الْمُطَاعُ فِي أَهْلِ سَمَاوَاتِك الْمَكِينُ لَدَيْك الْمُقَرَّبُ عِنْدَك .

﴿٥﴾ وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ عَلَى مَلَائِكَةِ الْحُجُبِ .

﴿٦﴾ وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِك فَصَلِّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْمَلاَئِكَةِ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ: مِنْ سُكَّانِ سَمَاوَاتِك وَأَهْلِ الْأَمَانَةِ عَلَى رِسَالاَتِك .

﴿٧﴾ وَالَّذِينَ لاَ تَدْخُلُهُمْ سَأْمَةٌ مِنْ دُؤُوبٍ وَلاَ إِعْيَاءٌ مِنْ لُغُوبٍ وَلاَ فُتُورٌ وَلاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْ تَسْبِيحِك الشَّهَوَاتُ وَلاَ يَقْطَعُهُمْ عَنْ تَعْظِيمِك سَهْوٌ .

﴿٨﴾ الْغَفَلاَتِ اَلْخُشَّعُ الْأَبْصَارِ فَلاَ يَرُومُونَ النَّظَرَ إِلَيْك النَّوَاكِسُ الْأَذْقَانِ الَّذِينَ قَدْ طَالَتْ رَغْبَتُهُمْ فِيمَا لَـدَيْك الْـمُسْتَهْتَرُونَ بِـذِكْرِ آلاَئِك وَالْـمُتَوَاضِـعُونَ دُونَ

عَـــــــــظَمَتِك

وَجَلاَلِ كِبْرِيَائِك .

﴿٩﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِذَا نَظَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ تَزْفِرُ عَلَى أَهْلِ مَعْصِيَتِك «سُبْحَانَك مَـا عَبَدْنَاك حَقَّ عِبَادَتِك» .

﴿١٠﴾ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الرَّوْحَانِيِّينَ مِنْ مَلاَئِكَتِك وَأَهْلِ الزُّلْفَةِ عِـنْدَك وَحُـمَّالِ الْغَيْبِ إِلَى رُسُلِك وَالْمُؤْتَمِنِينَ عَلَى وَحْيِك .

﴿١١﴾ وَقَبَائِلِ الْمَلاَئِكَةِ الَّذِينَ اخْتَصَصْتَهُمْ لِنَفْسِك وَأَغْنَيْتَهُمْ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ بِتَقْدِيسِك وَأَسْكَنْتَهُمْ بُطُونَ أَطْبَاقِ سَمَاوَاتِك .

﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهَا إِذَا نَزَلَ الأَمْرُ بِتَمَامِ وَعْدِك .

﴿١٣﴾ وَخُزَّانِ الْمَطَرِ وَزَوَاجِرِ السَّحَابِ .

﴿١٤﴾ وَالَّذِي بِصَوْتِ زَجْرِهِ يُسْمَعُ زَجَلُ الرُّعُودِ وَإِذَا سَبَحَتْ بِهِ حَفِيفَةُ السَّـحَابِ الْتَمَعَتْ صَوَاعِقُ الْبُرُوقِ .

﴿١٥﴾ وَمُشَيِّعِي الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْهَابِطِينَ مَعَ قَطْرِ الْمَطَرِ إِذَا نَزَلَ وَالْقُوَّامِ عَلَى خَزَائِنِ الرِّيَاحِ وَالْمُوَكَّلِينَ بِالْجِبَالِ فَلاَ تَزُولُ .

﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ عَرَّفْتَهُمْ مَثَاقِيلَ الْمِيَاهِ وَكَيْلَ مَا تَحْوِيهِ لَوَاعِجُ الأَمْطَارِ وَعَوَالِجُهَا .

﴿١٧﴾ وَرُسُلِك مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ بِمَكْرُوهِ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْبَلاَءِ وَمَحْبُوبِ الرَّخَاءِ .

﴿١٨﴾ وَالسَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالْحَفَظَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ وَمَلَكِ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِـهِ وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَرُومَانَ فَتَّانِ الْقُبُورِ وَالطَّائِفِينَ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَمَالِك وَالْخَزَنَةِ

وَرِضْوَانَ وَسَدَنَةِ الْجِنَانِ.

﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[١]

﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.[٢]

﴿٢١﴾ وَالزَّبَانِيَةِ الَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَـهُمْ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْـجَحِيمَ صَـلُّوهُ﴾[٣].

﴿٢٢﴾ ابْتَدَرُوهُ سِرَاعاً وَلَمْ يُنْظِرُوهُ وَمَنْ أَوْهَمْنَا ذِكْرَهُ وَلَمْ نَعْلَمْ مَكَانَهُ مِنْك وَبِأَيِّ أَمْرٍ وَكَّلْتَهُ.

﴿٢٣﴾ وَسُكَّانِ الْهَوَاءِ وَالأَرْضِ وَالْمَاءِ وَمَنْ مِنْهُمْ عَلَى الْخَلْقِ.

﴿٢٤﴾ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ يَومَ يَأْتِي ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.[٤]

﴿٢٥﴾ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ صَلاَةً تَزِيدُهُمْ كَرَامَةً عَلَى كَرَامَتِهِمْ وَطَهَارَةً عَلَى طَهَارَتِهِمْ.

﴿٢٦﴾ اَللَّهُمَّ وَإِذَا صَلَّيْتَ عَلَى مَلاَئِكَتِك وَرُسُلِك وَبَلَّغْتَهُمْ صَلاَتَنَا عَلَيْهِمْ فَصَلِّ عَلَيْنَا بِمَا فَتَحْتَ لَنَا مِنْ حُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِمْ إِنَّك جَوَادٌ كَرِيمٌ.

---

١. سورة التحريم (٦٦): ٦.
٢. سورة الرعد (١٣): ٢٤.
٣. سورة الحاقّه (٦٩): ٣٠ ـ ٣١.
٤. سورة ق (٥٠): ٢١.

**[﴿١﴾ اَللَّهُمَّ وَحَمَلَةُ عَرْشِك الَّذِينَ لاَ يَفْتُرُونَ مِنْ تَسْبِيحِك وَلاَ يَسْأَمُونَ مِنْ تَقْدِيسِك وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِك وَلاَ يُؤْثِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِك وَلاَ يَغْفُلُونَ عَنِ الْوَلَهِ إِلَيْك]**

**حقيقة الملائكة**

وفي هذا المقطع من الدعاء يصلّي الامام السجّاد عليه السلام على الملائكة من حملة العرش وكلّ ملك مقرّب، هذه الكائنات النورانيّة الغيبيّة التي ذكرها الله سبحانه في كتبه ورسالاته والتي أشار إليها القرآن الكريم في زهاء تسعين آية من آياته.

**الملائكة في القرآن الكريم**

**١ ـ عناصر الايمان الخمسة**

يحدّد القرآن الكريم عناصر خمسة للايمان الحقيقي يتشرّبها الانسان المؤمن حقّاً؛ حتّى انّ الايمان يختل في حالة اهتزاز عقيدة الانسان بواحد من هذه العناصر وعندها يخرج من دائرة الايمان الحقيقي ليكون في مصاف المشركين والكافرين وهذه العناصر الخمسة تتمثّل في الايمان:

ـ بالله الواحد الأحد؛

ـ بيوم القيامة والمعاد والنشور؛

ـ بالملائكة؛

ـ بالكتاب؛

ـ بالأنبياء والمرسلين.

﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَٱلْيَومِ ٱلآخِرِ وَٱلْمَلاَئِكَةِ وَٱلْكِتَابِ وَٱلنَّبِيِّينَ﴾.[1]

وقد تمّت كلمة الله في الايمان وتمّت حجّته على عباده بعد أن بيّن القرآن الكريم بآياته والحديث الشريف عن النبيّ ﷺ وأهل بيته وروايا ته، فلم يبق لأحد عذر في ذلك.

ومن يتأمّل في أعماق ومكنونات هذه الآية الكريمة فانّه يدرك أنّ المَلَك احدى الحقائق الغيبيّة التي يكتمل بها إيمان الإنسان المؤمن؛ ذلك ان انكار الملائكة بل انكار ملك واحد من الملائكة يؤدّي بالانسان إلى الكفر والكفر يلقي بالانسان في سواء الجحيم والعذاب الأليم.

**الكفر بالملائكة**

ندّد القرآن الكريم باليهود بسبب نصبهم العداء للملائكة وقد ورد في السيرة الشريفة للنبيّ ﷺ انّهم صرّحوا بحقدهم على الملك الأمين جبرئيل مع أنّه من أعظم ملائكة الله.

---

١. سورة البقرة (٢): ١٧٧.

ولهذا فان من يكفر بأيّ من ملائكة الله فهو كافر وهو عدوّ لله.

﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ ٱللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾.[1]

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾.[2]

**الايمان بالملائكة**

وفي المقابل فانّ القرآن الكريم يعتبر الايمان بالملائكة من العناصر الأساسيّة في الايمان الحقيقي للانسان المؤمن.

﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾.[3]

## ٢ ـ الملائكة والشهادة بالتوحيد

الملائكة كائنات نورانيّة مؤمنة موحّدة تتمتّع بالعقل النافذ والادراك البعيد والوعي المشرق ولذا فهي طليعة من يشهد لله عزّوجلّ بالوحدانيّة.

﴿ شَهِدَ ٱللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَٱلْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.[4]

المراد من أولي العلم في الآية الكريمة أعلاه هم كما جاء في رواية عن الإمام

---

١. سورة البقرة (٢): ٩٨.
٢. سورة النساء (٤): ١٣٦.
٣. سورة البقرة (٢): ٢٨٥.
٤. سورة آل عمران (٣): ١٨.

محمّد الباقر عليه السلام الأنبياء والأوصياء[1] ومن استلهم من معارفهم وترسّم خطاهم وتشرّب أخلاقهم وتزيّن بفضائلهم وخصالهم.

**التوحيد لدى علماء الطبيعة**

انّ مسألة وجود الله عزّوجلّ الواحد الأحد خالق الوجود أمست من بديهيّات العلم التي لا يمكن انكارها أبداً ولعلّ في طليعة العلوم الماديّة يبرز علماء الطبيعة في الطليعة في مسألة الايمان بالله الواحد وقد اضحت الطبيعيّات وهذا العالم الواسع الزاخر بالدلائل والبراهين محراباً للايمان الراسخ بالله.

انّ عناصر الطبيعة بكلّ تفاصيلها وتنوّعها والتشابك فيما بينهما والتناغم في حركتها؛ ما بين شمس وقمر وأرض وبحر وما بين غيوم ومطر وجبال وصخر ونباتات وشجر وبحار ونهر وحيوانات وبشر وما بين ليل داج وسماء ذات أبراج وفصول متعاقبة يتبع بعضها بعضاً من ربيع مفعم بالنسائم وصيف بليله حالم وخريف ناعس وشتاء قارس وما يسود مظاهر الطبيعة من تجانس إنّما هو دليل ناطق على وجود البارئ الخالق تبارك وتعالى.

وفيما يلي طائفة من شهادات بعض علماء الطبيعيّات:

---

١. عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قٰائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَشْهَدُ بِهَا لِنَفْسِهِ وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ فَإِنَّهُ أَكْرَمَ الْمَلائِكَةَ بِالتَّسْلِيمِ لِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوا وَشَهِدُوا كَمَا شَهِدَ لِنَفْسِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَأُولُوا الْعِلْمِ قٰائِماً بِالْقِسْطِ ﴾ فَإِنَّ أُولِي الْعِلْمِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ وَهُمْ قِيَامٌ بِالْقِسْطِ وَالْقِسْطُ هُوَ الْعَدْلُ فِي الظَّاهِرِ وَالْعَدْلُ فِي الْبَاطِنِ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

يقول هرشل العالم الفلكي:

«كلّما اتّسعت دائرة علومنا تضاعفت البراهين والأدلّة على وجود الله».

ويقول مونت نول:

«لدى دراستنا الأذن ندرك ان خالق القوانين الصوتيّة هو ذاته خالق العين قوانين الضوء وهو نفسه خالق النظام الفلكي بكل محاسباته الدقيقة».

ويقول الفيلسوف المعروف والرياضي باسكال:

«لا توجد عقيدة سوى الايمان بالله يمكنها أن تطفئ الغليل الذي يستعر في أعماقنا ويروي ظمأ الروح».

ويقول ادوارد لوتركيل المسؤول عن قسم علم البيئة في جامعة «سانفرانسيسكو»:

«انّ نتائج الدراسات العلميّة أضافت أدلّة جديدة على وجود الخالق تعزز الأدلّة الفلسفيّة السابقة».

ويقول پردون المنظّر الاجتماعي:

«قبل أن تدرك عقولنا وجود الخالق فانّ قلوبنا تشهد بوجوده».

ويقول والتر وسكار لندبرگ:

«لقد أضاف علماء الطبيعة ونتيجة لدراساتهم الظواهر الطبيعيّة أدلّة علميّة إلى جانب الأدلّة الروحيّة حول ادراك وجود الله».

ويقول داروين:

«من غير الممكن أبداً أن يقول العقل الرشيد الذي يرى هذا النظام المتناسق

للوجود ان العالم لا خالق له».

ويقول جردن:

«انّ الله هو الناموس الذي تستمد منه جميع الكائنات وجودها وتكاملها».

ويقول أنشتاين:

«في عالم المجهول توجد قوّة ذكيّة قادرة وعليمة».[١]

### ٣ ـ شهادة الملائكة

الملائكة تشهد على نزول القرآن الكريم:

﴿لٰكِنِ ٱللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَٱلْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً﴾.[٢]

أجل انّ القرآن الكريم هذا الكتاب العظيم الذي يزخر بالعلم والحكمة والمعرفة والأحكام والتعاليم الأخلاقيّة الحقة والتاريخ الحقيقي للأنبياء والأُمم قد نزل على قلب نبي أُمّي وانّ الملائكة تشهد على هذه الحقيقة وهي نزول هذا الكتاب السماوي العظيم من عالم الغيب والملكوت إلى عالم الملك الظاهر وغداً في عالم الحشر ستشهد الملائكة أمام جميع المنكرين والكافرين للحقائق الالهيّة وفي مقدمتها القرآن المجيد.

---

١. تفسير الكاشف: ٢ /٢٧، استناداً إلى كتاب اثبات وجود الله.

٢. سورة النساء (٤): ١٦٦.

### ٤ ـ عبادة الملائكة

الملائكة تسبّح لله عزّوجلّ وتسجد له وتسلّم له خاضعين خاشعين مخلصين في العبادة.

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَٱلْمَلاَئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.[١]

﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.[٢]

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَٱلْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾.[٣]

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾.[٤]

﴿ وَٱلْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلاَ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.[٥]

﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلاَئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمٰنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوْا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾.[٦]

---

١. سورة النحل (١٦): ٤٩ ـ ٥٠.
٢. سورة التحريم (٦٦): ٦.
٣. سورة الرعد (١٣): ١٣.
٤. سورة ص (٣٨): ٧١ ـ ٧٣.
٥. سورة الشورى (٤٢): ٥.
٦. سورة الزخرف (٤٣): ١٩.

### ٥ ـ دعاء الملائكة

والملائكة يدعون للناس من أجل أن يخرجوا من ظلمات الكفر إلى نور الايمان.

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾.[١]

وفي نفس الوقت يلعن الملائكة الذين يكفرون بالله وآياته وتنتهي حياتهم بالكفر.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللهِ وَٱلْمَلاَئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.[٢]

وما أسعدهم أُولئك الذين يشملهم دعاء الملائكة بالمغفرة والرحمة ويا لبؤس الذين يلعنهم الملائكة.

وطوبى لمن استثمر فترة العمر القصيرة في طاعة الله والاستجابة لأمره وطاعته والعمل بشريعته سبحانه والايمان بأنبيائه ورسله وكتبه.

أجل ما أسعد الذين آمنوا بشريعة الاسلام وأطاعوا رسول الله محمّد ﷺ وأوصيائه الذين اختارهم الله خلفاء من بعد نبيّه لهداية عباده.

**لبيك لبيك أنت مولاه فارحم عُبيداً إليك ملجاه**

**ياذاالمعالي عليك معتمدي طوبى لمن كنت مولاه**

---

١. سورة الأحزاب (٣٣): ٤٣.
٢. سورة البقرة (٢): ١٦١.

طوبى لمن كان نادماً ارقاً يشكو إلى ذي الجلال بلواه
وما به علّة ولا سقم أكثر من حبّه لمولاه
إذا خلا في الظلام مبتهلاً أجابه الله ثمّ لبّاه
سألت عبي وأنت في كنفي وكلّ ما قلت قد سمعناه
صوتك تشتاقه ملائكتي فذنبك الآن قد غفرناه
في جنّة الخلد ما تمنّاه طوباه طوباه ثمّ طوباه

## ٦ ـ المدد الملائكي

والملائكة ينزلون لنجدة الانسان المؤمن خاصّة في المنعطفات الخطيرة والحوادث المصيريّة:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ ٱللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.[1]

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.[2]

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي

١. سورة آل عمران (٣): ١٢٤ ـ ١٢٦. ٢. سورة الأنفال (٨): ٩.

﴿ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾.[١]

## ٧ ـ الملائكة والوحي

والله سبحانه وتعالى يرسل ملائكته يحملون وحيه إلى قلوب الأنبياء:

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾.[٢]

انّ عالم الوجود يزخر بالملائكة هذه الكائنات النورانيّة المدركة التي لا تعرف سوى الطاعة لله والعمل بأمره فهي تسبّح بحمد ربّها وتقدّس له لا تفتر أبداً.

## ٨ ـ الملائكة تستقبل الانسان المؤمن

انّ ملائكة الله تستقبل الانسان في اللحظات التي يغادر فيها الدنيا تطمئنه على مستقبله في عالم الآخرة وتبشّره بالاقامة في جنّات الله الزاخرة بالنعيم الأبدي والسعادة الخالدة.

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾.[٣]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي

---

١. سورة الأنفال (٨): ١٢.
٢. سورة النحل (١٦): ٢.
٣. سورة النحل (١٦): ٣٢.

ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾.[١]

## ٩ ـ الملائكة تستقبل الظالمين أيضاً

عند ما تنتزع أرواح الظالمين من أبدانهم وتشخص أبصارهم تستقبلهم الملائكة وتسوقهم إلى الجحيم والعذاب الأبدي.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فيهَا فَأُولٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾.[٢]

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.[٣]

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ * ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾.[٤]

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾.[٥]

---

١. سورة فصّلت (٤١): ٣٠ ـ ٣٢.
٢. سورة النساء (٤): ٩٧.
٣. سورة الأنعام (٦): ٩٣.
٤. سورة الأنفال (٨): ٥٠ ـ ٥١.
٥. سورة النحل (١٦): ٢٨.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ ٱللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾.[1]

ويا له من مشهد رهيب شهد الملائكة وهم ينهالون على الانسان الظالم بالضرب الشديد على وجوههم وظهورهم وادبارهم ويسوقونهم مهانين إلى هاوية الجحيم والعذاب الأليم.

## ١٠ ـ المهام الملائكية في عالم الوجود

الله سبحانه خلق الملائكة وجعل منهم رسلاً وأوكل إلى بعض ملائكته مهام حمل رسالاته هذه الرسالات التي يتّسع مفهومها إلى ما هو أوسع من الرسائل التشريعيّة إلى الرسائل التكوينيّة.

وقد خلقهم ذوي أجنحة فهم كائنات نورانيّة لطيفة وبعض ملائكة الله جعلهم سبحانه خزاناً لجناته وآخرين خزنة لناره وبعضهم يكتبون أعمال عباده.

وقد جاء في الحديث عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قوله:

**اَلْمَلائِكَةُ لا يَأكُلُونَ، وَلايَشْرَبُونَ، وَلايَنْكِحُونَ، وَإِنَّما يَعيشُونَ بِنَسيمِ الْعَرْشِ.**[2]

---

١. سورة محمّد (٤٧): ٢٧ ـ ٢٨.

٢. تفسير نور الثقلين: ٣٤٩/٣٤؛ تفسيرنمونه: ١٦٩/١٨؛ بحار الأنوار: ١٧٤/٥٦؛ تفسير القمي: ٢٠٦/٢، ذيل آية ٣٥ سورة فاطر.

**خصائص الملائكة في الآيات والروايات**

ورد في آيات القرآن الكريم والروايات ما يشير إلى خصائص الملائكة الذين هم جزء من الغيب الالهي الذي لا يطلع عليه الانسان إلّا من وفّقه الله سبحانه إلى ذلك فاطلعه على غيبه.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض خصائص الملائكة:

١ ـ ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾.[١]

٢ ـ ﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾.[٢]

٣ ـ ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾.[٣]

﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً ﴾.[٤]

﴿ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾.[٥]

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾.[٦]

﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَيُفَرِّطُونَ ﴾.[٧]

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾.[٨]

---

١. سورة الأنبياء (٢١): ٢٦.
٢. سورة الأنبياء (٢١): ٢٧.
٣. سورة الحاقّه (٦٩): ١٧.
٤. سورة النازعات (٧٩): ٥.
٥. سورة الأعراف (٧): ٣٧.
٦. سورة الانفطار (٨٣): ١٠ ـ ١٢.
٧. سورة الأنعام (٦): ٦١.
٨. سورة هود (١١): ٧٧.

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾.[١]

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾.[٢]

٤ ـ ﴿ وَٱلْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلأَرْضِ أَلاَ إِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.[٣]

٥ ـ ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾.[٤]

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ * وَٱمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هٰذَا لَشَيءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ رَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ * وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾.[٥]

---

١. سورة الأحزاب (٣٣): ٩.
٢. سورة النحل (١٦): ٢.
٣. سورة الشورى (٤٢): ٥.
٤. سورة مريم (١٩): ١٧.
٥. سورة هود (١١): ٦٩ ـ ٧٧.

٦ ـ وقد ذكرت الروايات والأخبار العديد من خصائص الملائكة فعلى سبيل المثال:

**أَنَّهُ سُئِلَ هَلِ الْمَلائِكَةُ أَكْثَرُ أَمْ بَنُو آدَمَ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَلائِكَةُ اللهِ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ التُّرَابِ فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي السَّمَاءِ مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلّا وَفِيهَا مَلَكٌ يُسَبِّحُهُ وَيُقَدِّسُهُ وَلا فِي الْأَرْضِ شَجَرٌ وَلا مَدَرٌ إِلّا وَفِيهَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا يَأْتِي اللهُ كُلَّ يَوْمٍ بِعَمَلِهَا وَاللهُ أَعْلَمُ بِهَا.**[١]

٧ ـ انهم في عبادة دائمة لا يفترون ولا تعرف عيونهم النوم ولا تغشاهم الغفلة عن العبادة والذكر والتقديس لله سبحانه ولا يعصون ربّهم أبداً وقد ورد في الحديث عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قوله:

**فَلَيْسَ فيهِمْ فَتْرَةٌ، وَلا عِنْدَهُمْ غَفْلَةٌ، وَلا فيهِمْ مَعْصِيَةٌ، لايَغْشاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلاسَهْوُ الْعُقُولِ، وَلا فَتْرَةُ الْأَبْدانِ، لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلابَ، وَلَمْ تَضُمَّهُمُ الْأَرْحامُ.**[٢]

٨ ـ ولهم درجات ومقامات مختلفة معلومة بعضهم في حالة ركوع دائم وآخرون في حالة سجود دائم وهم صافّون مسبّحون:

**﴿وَ ما مِنّا إِلّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنّا لَنَحْنُ الصّافُّونَ * وَإِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.**[٣]

انّ ملائكة الله عزّوجلّ هم عباد الله وهم مكلّفون مأمورون لا يقدرون إلّا على

---

١. بحار الأنوار: ٥٦ /١٧٦.

٢. بحار الأنوار: ٥٦ /١٧٥؛ تفسير القمي: ٢ /٢٠٧، كلام اميرالمؤمنين عليه السلام في خلقة الملائكة.

٣. سورة الصافّات (٣٧): ١٦٤ ـ ١٦٦.

ما أقدرهم الله عزّوجلّ وهم معصومون عن الخطأ ولذّتهم بذكر الله وحياتهم بمعرفته وطاعته.

والايمان بهم واجب كالايمان بالأنبياء والرسالات الالهيّة.

## ادوار الملائكة في ضوء الروايات

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام في توضيح معنى الآية الكريمة:

**﴿لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾.**[1]

**ثُمَّ قَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ إِلّا وَمَعَهُ مَلَكَانِ يَحْفَظَانِهِ فَإِذَا جَاءَ الْأَمْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أَمْرِ اللهِ.**[2]

وجاء عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قوله:

**لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلّا وَمَعَهُ مَلائِكَةٌ حَفَظَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَنْ يَتَرَدَّى فِي بِئْرٍ أَوْ يَقَعَ عَلَيْهِ حَائِطٌ أَوْ يُصِيبَهُ سُوءٌ فَإِذَا حَانَ أَجَلُهُ خَلَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُصِيبُه.**[3]

وجاء في بحار الأنوار:

**الملائكة يتعاقبون تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار ملائكة الليل وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله وقال الحسن هم أربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر وهو معنى قوله إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً وقد روي ذلك أيضا عن أئمتنا عليهم السلام.**

---

١. سورة الرعد (١٣): ١١.
٢. بحار الأنوار: ٥٦ /١٨٦، تفسير العياشي: ٢ /٢٠٥.
٣. بحار الأنوار: ٥٦ /١٨٤.

والثاني أنهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحولون بينه وبين المقادير عن عليعليه السلام وقيل هم عشرة أملاك على كل آدمي يحفظونه من بين يديه ومن خلفه يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ أي يطوفون به كما يطوف الملك الموكل بالحفظ وقيل يحفظون ما تقدم من عمله وما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه وقيل يحفظونه من وجوه المهالك والمعاطب ومن الجن والإنس والهوام وقال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فإذا جاء المقدر بطل الحفظ وقيل من أمر الله أي بأمر الله وقيل يحفظونه عن خلق الله فتكون من بمعنى عن قال كعب لو لا أن الله وكل بكم ملائكته يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم ليخطفنكم الجن.

وقال الرازي في تفسيره:

رُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الْعَبْدِ كَمْ مَعَهُ مِنْ مَلَكٍ فَقَالَ ع مَلَكٌ عَنْ يَمِينِكَ لِلْحَسَنَاتِ هُوَ أَمِينٌ عَلَى الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ فَإِذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً كَتَبَ عَشْراً وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً قَالَ الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ لِصَاحِبِ الْيَمِينِ أَكْتُبُ قَالَ لا لَعَلَّهُ يَتُوبُ فَإِذَا قَالَ ثَلاثاً قَالَ نَعَمْ اكْتُبْ أَرَاحَنَا اللهُ مِنْهُ فَبِئْسَ الْقَرِينُ مَا أَقَلَّ مُرَاقَبَتَهُ لِلهِ وَاسْتِحْيَاءَهُ مِنَّا وَمَلَكَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَمَلَكٌ قَابِضٌ عَلَى نَاصِيَتِكَ فَإِذَا تَوَاضَعْتَ لِرَبِّكَ رَفَعَكَ وَإِنْ تَجَبَّرْتَ قَصَمَكَ وَمَلَكَانِ عَلَى شَفَتَيْكَ يَحْفَظَانِ عَلَيْكَ الصَّلاةَ وَمَلَكٌ عَلَى فِيكَ لا يَدَعُ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَّةُ فِي فِيكَ وَمَلَكٌ عَلَى عَيْنَيْكَ فَهَؤُلاءِ عَشَرَةُ أَمْلاكٍ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهَارِ فَهُمْ عِشْرُونَ مَلَكاً عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ.[1]

---

١. بحار الأنوار: ٥٦ / ١٥٠ ـ ١٥٢.

يقول العلّامة المجلسي في هذا المضمار:

فإن قيل ما الفائدة في اختصاص هؤلاء الملائكة مع بني آدم وتسليطهم عليهم قلنا فيه وجوه:

الأول: أن الشياطين يدعون إلى الشرور والمعاصي وهؤلاء الملائكة يدعون إلى الخيرات والطاعات.

الثاني: قال مجاهد: ما من عبد إلا ومعه ملك موكل يحفظه من الجن والإنس والهوام في نومه و يقظته.

الثالث: إنّا نرى أن الإنسان قد يقع في قلبه داع قوي من غير سبب ثم يظهر بالأخرة أن وقوع تلك الداعية في قلبه كان سببا من أسباب مصلحته وخيراته وقد ينكشف أيضا بالأخرة أنه كان سببا لوقوعه في آفة أو معصية ومفسدة؛ فظهر أن الداعي إلى الأمر الأول كان مريدا للخير والراحة وإلى الأمر الثاني كان مريدا للفساد والمحنة والأول هو الملك الهادي والثاني هو الشيطان المغوي.

الرابع: إن الإنسان إذا علم أن الملائكة تحصي عليه أعماله كان إلى الحذر من المعاصي أقرب، لأن من آمن يعتقد جلالة الملائكة وعلو مراتبهم فإذا حاول الإقدام على معصية واعتقد أنهم يشاهدونها زجره الحياء منهم عن الإقدام عليها كما يزجره إذا حضر من يعظمه من البشر؛ وإذا علم أن الملائكة يكتبونها كان الردع أكمل.[1]

---

١. بحار الأنوار: ٥٦ /١٥٣.

**صفوف الملائكة**

يقول العلّامة المرحوم محمّد باقر المجلسي في موسوعته الكبرى «بحار الأنوار» في شرحه للآيات المباركة:

﴿وَٱلصَّافَّاتِ صَفّاً * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً﴾ الآيات هذه الأشياء الثلاثة المقسم بها يحتمل أن تكون صفات ثلاثة لموصوف واحد ويحتمل أن تكون أشياء ثلاثة متباينة أما على التقدير الأول ففيه وجوه:

الأول: أنها صفات الملائكة وتقريره أن الملائكة يقفون صفوفا إما في السماوات لأداء العبادات كما أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ وقيل إنهم يصفون أجنحتهم في الهواء ويقفون منتظرين وصول أمر الله إليهم ويحتمل أيضا أن يقال معنى كونهم صفوفا أن لكل واحد منهم مرتبة ودرجة معينة في الشرف والفضيلة أو في الذات والعلية.

وتلك الدرجات المترتبة باقية غير متغيرة وذلك نسبة الصفوف وأما قوله تعالى: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً﴾ فقال الليث: زجرت البعير أزجره زجرا إذا حثثته ليمضي وزجرت فلانا عن سوء فانزجر أي نهيته فانتهى فعلى هذا الزجر للبعير كالحث وللإنسان كالنهي.

فنقول في وصف الملائكة بالزجر وجوه:

الأول: قال ابن عباس يريد الملائكة الذين وكلوا بالسحاب يزجرونها بمعنى

---

١. سورة الصافّات (٣٧): ١ ـ ٣.

أنهم يأتون بها من موضع إلى موضع.

الثاني: المراد منه أن الملائكة لهم تأثيرات في قلوب بني آدم على سبيل الإلهامات فهم يزجرونهم عن المعاصي زجرا.

الثالث: لعل الملائكة أيضا يزجرون الشياطين عن التعرض لبني آدم بالشر والإيذاء.

وأقول قد ثبت في العلوم العقلية أن الموجودات على ثلاثة أقسام مؤثر لا يقبل الأثر وهو الله سبحانه وهو أشرف الموجودات ومتأثر لا يؤثر وهو عالم الأجسام وهو أخس الموجودات وموجود يؤثر في شيء ويتأثر عن شيء آخر وهو عالم الأرواح وذلك لأنها تقبل الأثر عن عالم كبرياء الله ثم إنها تؤثر في عالم الأجسام.

واعلم أن الجهة التي باعتبارها تقبل الأثر من عالم كبرياء الله غير الجهة التي باعتبارها تستولي على عالم الأجسام وتقدر على التصرف فيها وقوله: ﴿ **فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً** ﴾ إشارة إلى الأشرف من الجهة التي باعتبارها يقوى على التأثير في عالم الأجسام.

إذا عرفت هذا فقوله: ﴿ **وَالصَّافَّاتِ صَفّاً** ﴾ إشارة إلى وقوفها صفا صفا في مقام العبودية والطاعة والخضوع والخشوع وهو الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية أصناف الأنوار الإلهية والكمالات الصمدية وقوله تعالى: ﴿ **فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً** ﴾ إشارة إلى تأثير الجواهر الملكية في تنوير الأرواح القدسية البشرية وإخراجها من القوة إلى الفعل وذلك أنه كالقطرة بالنسبة إلى البحر وكالشعلة بالنسبة إلى الشمس وأن هذه الأرواح البشرية إنما تنتقل من القوة إلى

الفعل في المعارف الإلهية والكمالات الروحانية بتأثيرات جواهر الملائكة ونظيره قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ ﴾ وقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلىٰ قَلْبِكَ ﴾ وقوله: ﴿ فَالْمُلْقِيٰاتِ ذِكْراً ﴾.

إذا عرفت هذا فنقول في هذه الآية دقيقة أخرى وهي أن الكمال المطلق للشيء إنما يحصل إذا كان تاما وفوق التام والمراد بكونه تاما أن تحصل الكمالات اللائقة به حصولا بالفعل والمراد بكونه فوق التام أن يفيض منه أصناف الكمالات والنوالات على غيره ومن المعلوم أن كونه كاملا في ذاته مقدم على كونه مكملا لغيره.

إذا عرفت هذا فقوله: ﴿ وَالصّٰافّٰاتِ صَفّاً ﴾ إشارة إلى استكمال جواهر الملائكة في ذواتها وقت وقوفها في مواقف العبودية وصفوف الخدمة والطاعة وقوله تعالى: ﴿ فَالزّٰاجِرٰاتِ زَجْراً ﴾ إشارة إلى كيفية تأثيراتها في إزالة ما لا ينبغي عن جواهر الأرواح البشرية وقوله تعالى: ﴿ فَالتّٰالِيٰاتِ ذِكْراً ﴾ إشارة إلى كيفية تأثيراتها في إفاضة الجلايا القدسية والأنوار الإلهية على الأنوار الناطقة البشرية فهذه مناسبات عقلية واعتبارات دقيقة تنطبق عليها هذه الألفاظ الثلاثة.

الثاني: أن تحمل هذه الصفات على النفوس البشرية الطاهرة المقدسة المقبلة على عبودية الله تعالى الذين هم ملائكة الأرض وبيانه من وجهين الأول أن قوله: ﴿ وَالصّٰافّٰاتِ صَفّاً ﴾ المراد به الصفوف الحاصلة عند أداء الصلاة بالجماعة وقوله: ﴿ فَالزّٰاجِرٰاتِ زَجْراً ﴾ إشارة إلى قراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كأنهم بسبب قراءة هذه الكلمة يزجرون الشياطين عن إلقاء الوساوس في قلوبهم في أثناء الصلاة وقوله: ﴿ فَالتّٰالِيٰاتِ ذِكْراً ﴾ إشارة إلى قراءة القرآن في الصلاة وقيل إلى رفع

الصوت بالقراءة كأنه يزجر الشيطان بواسطة رفع الصوت.[١]

**الملائكة في كلام الإمام علي عليه السلام**

قوله تعالى:

﴿وَالنّازِعاتِ غَرْقاً﴾.[٢]

يقول الإمام عليّ عليه السلام:

**الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفّار.**

روي ذلك عن علي عليه السلام وغيره وقال مسروق: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم وقيل: هو الموت ينزع النفوس عن مجاهد وروي ذلك عن الصادق عليه السلام.

وثانيها: أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق أي تطلع، ثم تغيب قال: أبو عبيدة تنزع من مطالعها وتغرق في مغاربها.

وثالثها: النازعات القسي تنزع بالسهم والناشطات الأوهاق فالقسم بفاعلها وهم المجاهدون.

﴿وَالنّاشِطاتِ نَشْطاً﴾ فيه أيضا أقوال:

أحدها: ما ذكرناه.

وثانيها: أنها الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أجوافهم بالكرب والغم عن علي عليه السلام والنشط الجذب يقال: نشطت الدلو نشطا نزعته.

---

١. بحار الأنوار: ٥٦ /١٥٦ ـ ١٥٨.
٢. سورة النازعات (٧٩): ١.

وثالثها: أنها الملائكة تنشط أنفس المؤمنين فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنها عن ابن عباس.

ورابعها: أنها أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج عند رؤية موضعه من الجنة عن ابن عباس أيضا.

وخامسها: أنها النجوم تنشط من أفق إلى أفق أي تذهب يقال حمار ناشط.

﴿ **وَالسّابِحٰاتِ سَبْحاً** ﴾ فيه أقوال أيضا:

أحدها: أنها الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرمى به عن علي عليه السلام.

وثانيها: أنها الملائكة ينزلون عن السماء مسرعين وهذا كما يقال للفرس الجواد سابح إذا أسرع في جريه.

وثالثها أنها النجوم تسبح في فلكها وقيل هي خيل الغزاة تسبح في عدوها كقوله: ﴿ **وَالْعٰادِيٰاتِ ضَبْحاً** ﴾ وقيل: هي السفن تسبح في الماء.

﴿ **فَالسّابِقٰاتِ سَبْقاً** ﴾ فيه أيضا أقوال:

أحدها: أنها الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح وقيل: إنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، وقيل: إنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة عن علي عليه السلام.

وثانيها: أنها أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا إلى رحمة الله ولقاء ثوابه وكرامته.

وثالثها أنها النجوم يسبق بعضها بعضا في السير.

ورابعها: أنها الخيل يسبق بعضها بعضا في الحرب.

﴿ فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْراً ﴾ فيها أيضا أقوال:

أحدها: أنها الملائكة تدبر أمر العباد من السنة إلى السنة عن علي عليه السلام.

وثانيها: أن المراد بذلك جبرئيل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل عليهم السلام يدبرون أمور الدنيا، فأما جبرئيل عليه السلام فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو يتنزل بالأمر عليهم.

وثالثها: أنها الأفلاك يقع فيها أمر الله تعالى فيجري بها القضاء في الدنيا.[1]

وقال الإمام عليّ عليه السلام في خلق الملائكة:

**وَمَلائِكَةٌ خَلَقْتَهُمْ وَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ فَلَيْسَ فِيهِمْ فَتْرَةٌ وَلا عِنْدَهُمْ غَفْلَةٌ وَلا فِيهِمْ مَعْصِيَةٌ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ وَأَخْوَفُ خَلْقِكَ مِنْكَ وَأَقْرَبُ خَلْقِكَ إِلَيْكَ وَأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِكَ وَلا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلا سَهْوُ الْعُقُولِ وَلا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلابَ وَلَمْ تَضُمَّهُمُ الْأَرْحَامُ وَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ أَنْشَأْتَهُمْ إِنْشَاءً فَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ وَأَكْرَمْتَهُمْ بِجِوَارِكَ وَائْتَمَنْتَهُمْ عَلَى وَحْيِكَ وَجَنَّبْتَهُمُ الآفَاتِ وَوَقَيْتَهُمُ الْبَلِيَّاتِ وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَوْ لا تَقْوِيَتُكَ لَمْ يَقْوَوْا وَلَوْ لا تَثْبِيتُكَ لَمْ يَثْبُتُوا وَلَوْ لا رَحْمَتُكَ لَمْ يُطِيعُوا وَلَوْ لا أَنْتَ لَمْ يَكُونُوا أَمَا إِنَّهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ مِنْكَ وَطَوَاعِيَتِهِمْ إِيَّاكَ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ لَوْ عَايَنُوا مَا خَفِيَ عَنْهُمْ مِنْكَ لاحْتَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ وَلَأَزْرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ**

---

١. بحار الأنوار: ٥٦ /١٦٨ ـ ١٧٠.

**وَلَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً مَا أَحْسَنَ بَلاءَكَ عِنْدَ خَلْقِكَ.**(١)

## الملائكة في حديث الإمام الصادق عليه السلام

روى عليّ بن إبراهيم بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه سئل هل الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال عليه السلام:

**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَلائِكَةُ اللهِ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ التُّرَابِ فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي السَّمَاءِ مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلّا وَفِيهَا مَلَكٌ يُسَبِّحُهُ وَيُقَدِّسُهُ وَلا فِي الْأَرْضِ شَجَرٌ وَلا مَدَرٌ إِلّا وَفِيهَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا يَأْتِي اللهُ كُلَّ يَوْمٍ بِعَمَلِهَا وَاللهُ أَعْلَمُ بِهَا وَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلّا وَيَتَقَرَّبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى اللهِ بِوَلايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَسْتَغْفِرُ لِمُحِبِّينَا وَيَلْعَنُ أَعْدَاءَنَا وَيَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ إِرْسَالاً.**(٢)

وروى هشام بن الحكم حواراً طويلاً بين زنديق يسأل الإمام الصادق عليه السلام والإمام يجيب عن أسئلته فكان من بين أسئلته:

قَالَ فَمَا عِلَّةُ الْمَلائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِعِبَادِهِ يَكْتُبُونَ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ وَاللهُ عَالِمُ السِّرِّ وَمَا هُوَ أَخْفَى؟ قَالَ:

**اسْتَعْبَدَهُمْ بِذَلِكَ وَجَعَلَهُمْ شُهُوداً عَلَى خَلْقِهِ لِيَكُونَ الْعِبَادُ لِمُلازَمَتِهِمْ إِيَّاهُمْ أَشَدَّ عَلَى طَاعَةِ اللهِ مُوَاظَبَةً وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ أَشَدَّ انْقِبَاضاً وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ يَهُمُّ بِمَعْصِيَةٍ فَيَذْكُرُ مَكَانَهَا فَارْعَوَى وَكَفَّ فَيَقُولُ رَبِّي يَرَانِي وَحَفِظَتِي عَلَيَّ بِذَلِكَ تَشْهَدُ وَإِنَّ اللهَ بِرَأْفَتِهِ وَلُطْفِهِ أَيْضاً وَكَّلَهُمْ بِعِبَادِهِ يَذُبُّونَ عَنْهُ مَرَدَةَ الشَّيَاطِينِ**

---

١. بحار الأنوار: ٥٦ /١٧٥.
٢. بحار الأنوار: ٥٦ /١٧٦.

**وَهَوَامَّ الْأَرْضِ وَآفَاتٍ كَثِيرَةً مِنْ حَيْثُ لا يَرَوْنَ بِإِذْنِ اللهِ إِلَى أَنْ يَجِيءَ أَمْرُ اللهِ عَزَّ وَجَل.**(١)

وجاء في تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى:

﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ**﴾.(٢)

قال الإمام الباقر عليه السلام:

**مِنْ أَمْرِ اللهِ يَقُولُ بِأَمْرِ اللهِ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي رَكِيٍّ أَوْ يَقَعَ عَلَيْهِ حَائِطٌ أَوْ يُصِيبَهُ شَيْءٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ يَدْفَعُونَهُ إِلَى الْمَقَادِيرِ وَهُمَا مَلَكَانِ يَحْفَظَانِهِ بِاللَّيْلِ وَمَلَكَانِ يَحْفَظَانِهِ بِالنَّهَارِ يَتَعَاقَبَانِهِ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ ع فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُغِيرِيَّةِ عَنْ شَيْءٍ مِنَ السُّنَنِ فَقَالَ مَا شَيْءٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ وُلْدِ آدَمَ إِلّا وَقَدْ جَرَتْ فِيهِ مِنَ اللهِ وَمِنْ رَسُولِهِ سُنَّةٌ عَرَفَهَا مَنْ عَرَفَهَا وَأَنْكَرَهَا مَنْ أَنْكَرَهَا فَقَالَ فَمَا السُّنَّةُ فِي دُخُولِ الْخَلاءِ قَالَ تَذْكُرُ اللهَ وَتَتَعَوَّذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِذَا فَرَغْتَ قُلْتَ الْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى مَا أَخْرَجَ مِنِّي مِنَ الْأَذَى فِي يُسْرٍ مِنْهُ وَعَافِيَةٍ قَالَ الرَّجُلُ فَالْإِنْسَانُ يَكُونُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ وَلا يَصْبِرُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهُ فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ آدَمِيٌّ إِلّا وَمَعَهُ مَلَكَانِ مُوَكَّلانِ بِهِ فَإِذَا كَانَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ثَنَيَا رَقَبَتَهُ ثُمَّ قَالا يَا ابْنَ آدَمَ انْظُرْ إِلَى مَا كُنْتَ تَكْدَحُ لَهُ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَا هُوَ صَائِرٌ.**(٣)

وروى رحمه الله بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

**من عاد مريضاً من المسلمين وكّل الله به أبداً سبعين ألفاً من الملائكة**

---

١. بحار الأنوار: ١٠/ ١٨٣.
٢. سورة الرعد (١٣): ١١.
٣. بحار الأنوار: ٧٧/ ١٦٤ ـ ١٦٥.

**يغشون رحله ويسبّحون فيه ويقدّسون ويهلّلون ويكبّرون إلى يوم القيامة نصف صدقهم لعائد المريض.**[١]

وروى أبو غرّة قال:

سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

**وَالْمَلائِكَةَ كَثِيرَةٌ يُشَيِّعُونَهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ.**

ويشتمل الجزء السادس والخمسون من موسوعة البحار على أحاديث وأخبار في موضوع الملائكة استوعبت الجزء كلّه يمكن أن يجد القارئ فيه تفاصيل كثيرة جدّاً عن هذه الكائنات النورانيّة التي يزخر بها الوجود.

## حقيقة وعظمة الملائكة في نهج البلاغة

قال الإمام عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبه حول خلق العالم:

**ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلا فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلائِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لايَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لا يَنْتَصِبُونَ وَصَافُّونَ لا يَتَزَايَلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ لايَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلا سَهْوُ الْعُقُولِ وَلا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ لا**

---

١. الكافي: ٣ / ١٢٠؛ وسائل الشيعة: ٢ / ٤١٤.

**يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ وَلا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ وَلا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَلا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.**[1]

وقال عليه السلام في الخطبة ٩١ وهو يصف الملائكة:

**ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلائِكَتِهِ مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ وَسُتُرَاتِ الْحُجُبِ وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلالَ عِزَّتِهِ لا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ وَلا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ ﴿بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ جَعَلَهُمْ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً إِلَى تَمَاجِيدِهِ وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلامِ تَوْحِيدِهِ لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُؤْصِرَاتُ الْآثَامِ وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ وَلا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَلا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ وَسَكَنَ بِعَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلالِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ**

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١.

فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ وَفِي قُتْرَةِ الظَّلامِ الْأَيْهَمِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ وَوَسَّلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَقَطَعَهُمُ الْإِيقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ قَدْ ذَاقُوا حَلاوَةَ مَعْرِفَتِهِ وَشَرِبُوا مِنْ كَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ وَلا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ وَلا تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ الْإِجْلالِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُءُوبِهِمْ وَلَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلاتُ أَلْسِنَتِهِمْ وَلا مَلَكَتْهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ وَلا تَعْدُوا عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلادَةُ الْغَفَلاتِ وَلا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ لا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ وَلا يَرْجِعُ بِهِمُ الِاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ إِلّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ

**أَعْمَالِهِمْ وَلَوِ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ وَلا تَوَلّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ وَلا شَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ وَلا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلا عُدُولٌ وَلا وَنًى وَلا فُتُورٌ وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً.**[1]

## حقيقة الملائكة في شرح الحكيم العلّامة محمّد تقي الجعفري

يقول الحكيم الكبير العلّامة الشيخ محمّد تقي الجعفري ﷺ في شرحه الخطبة الأُولى من نهج البلاغة:

انّ موضوع الملائكة تطرّقت إليه الأديان السابقة وبحثته في اطار اصطلاحات متعدّدة وتعريفات مختلفة.

وفي الدين الإسلامي وفي ضوء القرآن الكريم والأحاديث المعتبرة فانّه لا يوجد أدنى ترديد في مسألة وجود الملائكة وقد وردت مفردة «ملك» في القرآن الكريم ثلاثة عشرة مرّة و«ملكين» مرّتين» و«ملائكة» ثلاث وسبعون مرّة.

وقد سعى بعض العلماء المعاصرين أن يطرح مسألة الملائكة على انّها نوع من القوى الطبيعيّة الخفيّة في محاولة لاقناع الأفراد الذين لا يمكنهم استيعاب وجود حقائق في الطبيعة غير محسوسة، غير انّ هذه النظرة السطحيّة في المعرفة ناجمة عن تفسير خاطئ للعلم والطبيعة.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٩١.

أفلم يكن الذين يحصرون الطبيعة وبالعناصر الأربعة من المحسوبين على العلماء؟ ألم يكن هؤلاء يعتبرون الصوت ظاهرة عرضيّة وهي غير قابلة للانتقال.

أجل انّهم كانوا من المدافعين عن العلم وينفون بشدّة بقاء الأعراض واستمرارها بعد الظهور من قبيل الصوت؛ لقد كانوا مفكّرين يدافعون عن العلم مع انّهم كانوا يجهلون أبسط المعلومات عمّا يجري في الذرّات الأساسيّة في الطبيعة.

ولو ألقينا نظرة على التاريخ فانّنا سنواجه هذه الظاهرة وهي أنّ العلم في كلّ فصل من فصول هذا التاريخ الطويل وفي كلّ مجتمع إنّما يتمثّل في وجود بعض الحقائق لدى العلماء في تلك المرحلة التاريخيّة وهم في الغالب ينتمون إلى فريقين:

الأوّل: مجموعة من الناس المحدودي الادراك الذين يتصوّرون ان ما بحوزتهم من الحقائق العلميّة تستوعب كلّ العالم وما عدا ذلك فلا أساس علمي له وهؤلاء لم يتوقفوا عن التقدّم في مضمار الكشف والبحث والتنقيب فحسب وإنّما يتصدّون لكلّ من يحاول التقدّم في الكشف عن الحقائق العلميّة المستورة واكتشاف المزيد من الحقائق.

الثاني: وهم العلماء الواعون الذين أدركوا ان ما لديهم من الحقائق العلميّة إنّما يمثل قطرة من بحر المجهول ولهذا فانّهم فتحوا باب البحث والدراسة والتحقيق على مصراعيه لهم ودعوا غيرهم إلى الحركة والسعي والمثابرة في مسار التقدّم والانطلاق في آفاق المعرفة.

يقول العالم الشهير نيوتن على سبيل المثال:

«اشعر كما لو كنت طفلاً صغيراً يقف على ساحل محيط هائل قد ركّز نظره على

عدد من الحصيات الملوّنة تحت مياه الشاطئ بينما يشتمل هذا المحيط اللانهائي على المجهول».

وهؤلاء العلماء الواعون إنّما يدركون عظمة الوجود وفي نفس الوقت عظمة العقل البشري.

وعلى أيّة حال فان هذا منهج تأسيسي خاطئ عندما نحدّد أوّلاً العلم وعالم الوجود ثمّ نسقط في بحر من الاضطراب والخوف.

ألا يسألنا سائل بأيّ دليل تعرضون صفحاً عن كلّ المشاهدات الجمّة على امتداد التاريخ وما حفلت به المعرفة البشريّة من مسائل علميّة حول عدم محدوديّة الأواصر والاجزاء.

الطبيعيّة وارتباطها بالمنظومة التي تنفتح على ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا بمعناها العام) وتسمحون لأنفسكم في وضع حدود اللعلم وعالم الوجود وتقفون موقفاً متشنّجاً ازاء المفاهيم العالية والبالغة الأهميّة فتسقطون نتيجة لذلك فريسة «العبثيّة»[1].

إلى أيّ دليل استندتم لتلفّوا على أنفسكم خيوط قضايا محدودة واهنة كخيوط العنكبوت؟ ثمّ قلتم: هذا هو العالم وهذه هي مفاهيمه وقضاياه التي من خلالها نرتبط به؟!

يجب أن نقول لهؤلاء: ما أسعدهم! لقد أراحوا أنفسهم؟

---

١. مذهب سياسي ظهر في أُوربا في القرن التاسع عشر ينكر العقائد الدينيّة والنظم الاجتماعيّة ويدعو إلى الفوضويّة والقضاء على الأديان والأنظمة الاجتماعيّة.

انّنا نقول بوجود الملائكة وعندما لا نشعر بوجودهم فهذا لا يدلّ على عدم وجودهم لأن هذا يقودنا إلى أن ننكر نصف الحقائق العلميّة لأنّنا لا نحس بها ولا يوجد مفكّر يحترم نفسه يعتمد هذه القاعدة: «كلّ ما لا أراه فليس موجوداً».

لأن هذا يفضي إلى أن نشطب على وجود الحقائق العلميّة التي تقع خارج الحواس.

وجميعنا يعرف ان الاذن البشريّة لا تسمع سوى عدد معيّن من الذبذبات الصوتيّة وهكذا بالنسبة لألوان واشكال الأجسام وحتّى الآن لم يتمكّن الانسان من رؤية الالكترون والطاقة والجاذبيّة فهي الأُخرى لا نشعر بها.

وهذه القوى التي في أعماق وجودنا من قبيل الفكر والخيال والارادة و«الانا».

انّ الملائكة ليست من عناصر عالم الطبيعة وإنّما هي كائنات مقدّسة ولها ماهيّة خاصّة.

وأن توصيفاتنا للملائكة إنّما تستند إلى مصدر وحياني أو من خلال ما ورد في القرآن الكريم من آيات أو عن طريق غير مباشر أي من خلال وليّ الله الأعظم وأميرالمؤمنين وسائر المعصومين عليهم السلام.[1]

### حملة العرش

يشير القرآن الكريم إلى الملائكة من حملة العرش في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ

١. ترجمة و تفسير نهج البلاغة: ١ /١١٦.

﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾.[١]

﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾.[٢]

وإلى الملائكة الذين يحفون بالعرش:

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.[٣]

وفي «١٨» آية في سور الأعراف (٥٤) والتوبة (١٢٩) ويونس (٣) والرعد (٢) والإسراء (٤٢) وطه (٥) والأنبياء (٢٢) والمؤمنون (٨٦ و١١٦) والفرقان (٢٥٩) والنمل (٢٢٦) والسجدة (٤) وغافر (١٥) والزخرف (٨٢) والحديد (٤) والتكوير (٢٠) والبروج (١٥) وهود (٧) حيث تتحدّث عن عرش الحقّ تعالى وصفاته من قبيل: العظيم والكريم والمجيد:

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾.[٤]

﴿ لٰا إِلٰهَ إِلّا هُوَ ربُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾.[٥]

﴿ ذُوالْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾.[٦]

---

١. سورة غافر (٤٠): ٧.
٢. سورة الحاقّة (٦٩): ١٧.
٣. سورة الزمر (٣٩): ٧٥.
٤. سورة المؤمنون (٢٣): ٨٦.
٥. سورة المؤمنون (٢٣): ١١٦.
٦. سورة البروج (٨٥): ١٥؛ كلمة «مجيد» في هذه الآية تقرء بشكلين مرفوع و مجرور، فالموصوف وصف «الله» والمجرور وصف «العرش».

**معنى ومفهوم العرش**

وردت مفردة العرش وكذا مفردة الكرسي في العديد من آيات القرآن الكريم وكذلك في الأخبار والروايات، حيث كلّ منهما حقيقة من حقائق الوجود وخلق من مخلوقاته عزّوجلّ ونلاحظ في القرآن الكريم صمتاً حول هذين المخلوقين والكائنين وفي ضوء الروايات المعتبرة والأخبار الموثّقة وما ورد فيها من مفاهيم ومصاديق لكلّ منهما نستنتج أن هاتين الكلمتين تمتلكان طاقة التحمّل لكلّ المعاني الملكوتيّة والباطنيّة والظاهريّة.

جاء في الحديث النبويّ الشريف قول رسول الله ﷺ لأبي ذرّ الغفاري:

**يَا أَبَا ذَرٍّ مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلاةٍ وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ.**(١)

روي عن الإمام الصادق عليه السلام انّه سئل لِمَ سمّيت الكعبة؟ قال:

**قَالَ لِأَنَّهَا مُرَبَّعَةٌ فَقِيلَ لَهُ وَلِمَ صَارَتْ مُرَبَّعَةً قَالَ لِأَنَّهَا بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَهُوَ مُرَبَّعٌ فَقِيلَ لَهُ وَلِمَ صَارَ بَيْتُ الْمَعْمُورِ مُرَبَّعاً قَالَ لِأَنَّهُ بِحِذَاءِ الْعَرْشِ وَهُوَ مُرَبَّعٌ فَقِيلَ لَهُ وَلِمَ صَارَ الْعَرْشُ مُرَبَّعاً قَالَ لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الْإِسْلامُ أَرْبَعٌ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلّهِ وَلا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ.**(٢)

وأورد العلّامة المجلسي عن الشيخ الصدوق رحمه الله قوله:

اعْتِقَادُنَا فِي الْعَرْشِ أَنَّهُ جُمْلَةُ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَالْعَرْشُ فِي وَجْهٍ آخَرَ هُوَ الْعِلْمُ.

---

١. بحار الأنوار: ٥ / ٥٥.
٢. بحار الأنوار: ٩٦ / ٥٧.

وَسُئِلَ الصَّادِقُ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ فَقَالَ اسْتَوَى** ﴾:

**مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ مِنْهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَمَّا الْعَرْشُ الَّذِي هُوَ جُمْلَةُ جَمِيعِ الْخَلْقِ فَحَمَلَتْهُ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمَلائِكَة.**[1]

وقال الشيخ المفيد رحمه الله:

العرش في اللغة هو المُلك وقال الله تعالى مخبراً عن واصفي ملك ملكة سبأ: ﴿ **وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴾ يريدون لها ملك عظيم، فرش الله هو ملكه واستواؤه على الملك.[2]

وروي عن هشام بن الحكم أنّه قال: كان من سؤال الزنديق الذي أتى أبا عبدالله عليه السلام قال:

**مَا الدَّلِيلُ عَلَى صَانِعِ الْعَالَمِ؟**

**فَقَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام:**

**وُجُودُ الْأَفَاعِيلِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى أَنَّ صَانِعَهَا صَنَعَهَا أَلا تَرَى أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى بِنَاءٍ مُشَيَّدٍ مَبْنِيٍّ عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ بَانِياً وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَرَ الْبَانِيَ وَلَمْ تُشَاهِدْهُ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ هُوَ شَيْءٌ بِخِلافِ الْأَشْيَاءِ ارْجِعْ بِقَوْلِي شَيْءٌ إِلَى إِثْبَاتِهِ وَأَنَّهُ شَيْءٌ بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ غَيْرَ أَنَّهُ لا جِسْمٌ وَلا صُورَةٌ وَلا يُحَسُّ وَلا يُجَسُّ وَلا**

---

١. بحار الأنوار: ٥٥ /٧.

٢. تصحيح الاعتقادات للشيخ المفيد: ٧٥ ـ ٧٦.

يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ لا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَلا تَنْقُصُهُ الدُّهُورُ وَلا يُغَيِّرُهُ الزَّمَانُ.

قَالَ السَّائِلُ:

فَإِنَّا لَمْ نَجِدْ مَوْهُوماً إِلّا مَخْلُوقاً.

قَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام:

لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَمَا تَقُولُ لَكَانَ التَّوْحِيدُ مِنَّا مُرْتَفِعاً فَإِنَّا لَمْ نُكَلَّفْ أَنْ نَعْتَقِدَ غَيْرَ مَوْهُومٍ لَكِنَّا نَقُولُ كُلُّ مَوْهُومٍ بِالْحَوَاسِّ مُدْرَكٌ بِهَا تَحُدُّهُ الْحَوَاسُّ مُمَثَّلاً فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَلا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ صَانِعِ الْأَشْيَاءِ خَارِجاً مِنَ الْجِهَتَيْنِ الْمَذْمُومَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا النَّفْيُ إِذْ كَانَ النَّفْيُ هُوَ الْإِبْطَالَ وَالْعَدَمَ وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ التَّشْبِيهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ الظَّاهِرِ التَّرْكِيبِ وَالتَّأْلِيفِ فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ لِوُجُودِ الْمَصْنُوعِينَ وَالاضْطِرَارِ مِنْهُمْ إِلَيْهِ أَنَّهُمْ مَصْنُوعُونَ وَأَنَّ صَانِعَهُمْ غَيْرُهُمْ وَلَيْسَ مِثْلَهُمْ إِذْ كَانَ مِثْلُهُمْ شَبِيهاً بِهِمْ فِي ظَاهِرِ التَّرْكِيبِ وَالتَّأْلِيفِ وَفِيمَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ حُدُوثِهِمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا وَتَنَقُّلِهِمْ مِنْ صِغَرٍ إِلَى كِبَرٍ وَسَوَادٍ إِلَى بَيَاضٍ وَقُوَّةٍ إِلَى ضَعْفٍ وَأَحْوَالٍ مَوْجُودَةٍ لا حَاجَةَ بِنَا إِلَى تَفْسِيرِهَا لِثَبَاتِهَا وَوُجُودِهَا.

قَالَ السَّائِلُ:

فَأَنْتَ قَدْ حَدَدْتَهُ إِذْ أَثْبَتَّ وُجُودَهُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام:

لَمْ أَحُدَّهُ وَلَكِنْ أَثْبَتُّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ مَنْزِلَةٌ.

**قَالَ السَّائِلُ:**

**فَقَوْلُهُ: الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ؟**

**قَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام:**

**بِذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ وَكَذَلِكَ هُوَ مُسْتَوْلٍ عَلَى الْعَرْشِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ حَامِلاً لَهُ وَلا أَنَّ الْعَرْشَ مَحَلٌّ لَهُ لَكِنَّا نَقُولُ هُوَ حَامِلٌ لِـلْعَرْشِ وَمُمْسِكٌ لِلْعَرْشِ وَنَقُولُ فِي ذَلِكَ مَا قَالَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضَ فَثَبَّتْنَا مِنَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ مَا ثَبَّتَهُ وَنَفَيْنَا أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَاوِياً لَهُ وَأَنْ يَكُونَ عَزَّوَجَلَّ مُحْتَاجاً إِلَى مَكَانٍ أَوْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ بَلْ خَلْقُهُ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.**

**قَالَ السَّائِلُ:**

**فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ أَنْ تَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَبَيْنَ أَنْ تَخْفِضُوهَا نَحْوَ الْأَرْضِ؟**

**قَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام:**

**ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ وَقُدْرَتِهِ سَوَاءٌ وَلَكِنَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَمَرَ أَوْلِيَاءَهُ وَعِبَادَهُ بِرَفْعِ أَيْدِيهِمْ إِلَى السَّمَاءِ نَحْوَ الْعَرْشِ لأَنَّهُ جَعَلَهُ مَعْدِنَ الرِّزْقِ فَثَبَّتْنَا مَا ثَبَّتَهُ الْقُرْآنُ وَالْأَخْبَارُ عَنِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله حِينَ قَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَهَذَا تُجْمِعُ عَلَيْهِ فِرَقُ الْأُمَّةِ كُلُّهَا.**[1]

وروى الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن المفضّل بن عمر قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام (الصادق) عن العرش والكرسي ما هما؟

---

١. بحار الأنوار: ٣/ ٢٩.

فقال: العرش في وجه هو جملة الخلق والكرسي وعاؤه وفي وجه آخر العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه والكرسي هو العلم الذي لم يطلع الله عليه أحداً من أنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام.[١]

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه «التوحيد» بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.[٢]

فقال: السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره».[٣]

وروى الامام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام عن جدّه عليه السلام أنّه قال: «في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البرّ والبحر وهذا تأويل قوله تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾.[٤]

وإن بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسيرة ألف عام والعرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله والأشياء كلّها في العرش كحلقة في فلاة.

وان لله ملكاً يقال حزقائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمئة عام.

فخطر له خاطر هل فوق العرش شيء؟ فزاده الله مثلها أجنحة أُخرى، فكان له

---

١. معاني الأخبار: ٢٩.
٢. سورة البقرة (٢): ٢٥٥.
٣. التوحيد: ٣٢٧؛ بحار الأنوار: ٤/ ٨٩.
٤. سورة الحجر (١٥): ٢١.

ست وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمئة عام، ثمّ أوحى الله: أيّها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش ثمّ ضاعف الله له في الجناح والقوّة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام، ولم ينل أيضاً فأوحى الله إليه: أيّها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوّتك لم تبلغ إلى ساق العرش، فقال الملك: «سبحان ربّي الأعلى»، فأنزل الله عزّوجلّ:

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾.[1]

فقال النبي صلى الله عليه وآله اجعلوها في سجودكم».[2]

**معاني العرش والكرسي في بحار العلّامة المجلسي**

قال العلّامة المجلسي في تعليق له على بعض الأحاديث بشأن العرش والكرسي:

اعلم أن ملوك الدنيا لمّا كان ظهورهم وإجراء أحكامهم على رعيّتهم إنّما يكون عند صعودهم على كرسي الملك وعروجهم على عرش السلطنة ومنهما تظهر آثارهم وتتبين أسرارهم والله سبحانه لتقدّسه عن المكان لا يوصف بمحل ولا مقر وليس له عرش ولا كرسي يستقر عليهما بل يطلقان على أشياء من مخلوقاته أوصفاته الكمالية على وجه المناسبة فالكرسي والعرش يطلقان على معان أحدها جسمان عظيمان خلقهما الله تعالى فوق سبع سماوات وظاهر أكثر الأخبار أن العرش أرفع وأعظم من الكرسي ويلوح من بعضها العكس والحكماء يزعمون أن

---

١. سورة الأعلى (٨٧): ١.

٢. من لايحضره الفقيه: ١/ ٣١٥؛ تهذيب الاحكام: ٢/ ٣١٣.

الكرسي هو الفلك الثامن والعرش هو الفلك التاسع وظواهر الأخبار تدل على خلاف ذلك من كونهما مربعين ذاتي قوائم وأركان وربما يؤولان بالجهات والحدود والصفات التي بها استحقا التعظيم والتكريم ولا حاجة لنا إلى هذه التكلفات وإنما سميا بالاسمين لبروز أحكامه وتقديراته من عندهما وإحاطة الكروبيين والمقربين وأرواح النبيين والأوصياء بهما وعروج من قربه من جنابه إليهما كما أن أوامر الملوك وأحكامهم وآثار سلطنتهم وعظمتهم تبدو منهما وتطيف مقربوا جنابهم وخواص ملكهم بهما وأيضا لما كانا أعظم مخلوقاته الجسمانية وفيهما من الأنوار العجيبة والآثار الغريبة ما ليس في غيرهما من الأجسام فدلالتهما على وجوده وعلمه وقدرته وحكمته سبحانه أكثر من سائر الأجسام فلذا خصا بهذين الاسمين من بينهما وحملتهما في الدنيا جماعة من الملائكة كما عرفت وفي الآخرة إما الملائكة أوأولو العزم من الأنبياء مع صفوة الأوصياء عليهم السلام كما عرفت ويمكن أن يكون نسبة الحمل إليهم مجازا لقيام العرش بهم في القيامة وكونهم الحكام عنده والمقربين لديه.

وثانيها: العلم كما عرفت إطلاقهما في كثير من الأخبار عليه وقد مر الفرق بينهما في خبر معاني الأخبار وغيره وذلك أيضا لأن منشأ ظهوره سبحانه على خلقه العلم والمعرفة وبه يتجلى على العباد فكأنه عرشه وكرسيه سبحانه وحملتهما نبينا وأئمتنا عليهم السلام لأنهم خزان علم الله في سمائه وأرضه لا سيما ما يتعلق بمعرفته سبحانه.

وثالثها: الملك وقد مر إطلاقهما عليه في خبر حنان والوجه ما مر أيضا.

ورابعها: الجسم المحيط وجميع ما في جوفه أوجميع خلق الله كما ذكره

الصدوق رحمه الله ويستفاد من بعض الأخبار إذ ما من شيء في الأرض ولا في السماء وما فوقها إلا وهي من آيات وجوده وعلامات قدرته وآثار وجوده وفيضه وحكمته فجميع المخلوقات عرش عظمته وجلاله وبها تجلى على العارفين بصفات كماله وهذا أحد المعاني التي خطرت ببالي الفاتر في قولهم عليهم السلام وارتفع فوق كل منظر فتدبر.

وخامسها: إطلاق العرش على كل صفة من صفاته الكمالية والجلالية إذ كل منها مستقر لعظمته وجلاله وبها يظهر لعباده على قدر قابليتهم ومعرفتهم فله عرش العلم وعرش القدرة وعرش الرحمانية وعرش الرحيمية وعرش الوحدانية وعرش التنزه كما مر في خبر حنان وغيره وقد أول الوالد ره الخبر الذي ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ** ﴾ أن المعنى استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء أن المراد بالعرش هنا عرش الرحمانية والظرف حال أي الرب سبحانه حال كونه على عرش الرحمانية استوى من كل شيء إذ بالنظر إلى الرحيمية التي هي عبارة عن الهدايات والرحمات الخاصة بالمؤمنين أقرب أوالمراد أنه تعالى بسبب صفة الرحمانية حال كونه على عرش الملك والعظمة والجلال استوى نسبته إلى كل شيء وحينئذ فائدة التقييد بالحال نفي توهم أن هذا الاستواء مما ينقص من عظمته وجلاله شيئا. وسادسها إطلاق العرش على قلب الأنبياء والأوصياء ع وكمل المؤمنين فإن قلوبهم مستقر محبته ومعرفته سبحانه.

كَمَا رُوِيَ أَنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ

وَرُوِيَ أَيْضاً فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ لَمْ يَسَعْنِي سَمَائِي وَلا أَرْضِي وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ.

ثم اعلم أن إطلاقهما على بعض المعاني عند التصريح به أوإقامة القرائن عليه لا ينافي وجوب الإذعان بالمعنى الأول الذي هو الظاهر من أكثر الآيات والأخبار والله المطلع على الأسرار.[١]

**العرش وحملته في كلام العلّامة الطباطبائي**

يقول العلّامة المرحوم السيّد محمّد حسين الطباطبائي في تفسيره «الميزان».

«مثل الأسباب والعوامل المتخالفة المتزاحمة في الوجود إلّا كمثل كفّتي الميزان تتعاركان بالارتفاع والانخفاض والثقل والخفة لكن اختلافهما بعينه اتّفاق منهما في اعانة صاحب الميزان في تشخيص ما يريد تشخيصه من الوزن.

فلا مدبّر غيره تعالى:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾.[٢]

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.[٣]

اشارة إلى كون العرش مقاماً تنتشئ فيه التدابير العامّة وتصدر عنه الأوامر التكوينيّة.

---

١. بحار الأنوار: ٥٥ /٣٧ ـ ٣٩.
٢. سورة السجدة (٣٢): ٤.
٣. سورة يونس (١٠): ٣.

﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾.[١]

وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى:

﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حافّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾.[٢]

فانّ الملائكة هم الوسائط الحاملون لحكمه والمجرون لأمره العاملون بتدبيره فليكونوا حافين حول عرشه.

وكذا قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾[٣]

وفي الآية مضافاً إلى ذكر احتفافهم بالعرش شيء آخر وهو أن هناك حملة يحملون العرش، وهم لا محالة أشخاص يقوم بهم هذا المقام الرفيع والخلق العظيم الذي هو مركز التدابير الالهيّة ومصدرها ويؤيّد ذلك ما في آية أُخرى وهي قوله:

﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حافّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾.[٤]

وموجود في هذا العالم المشهود كما يدلّ عليه آيات خلق السماوات والأرض وموجود قبل هذه الخلقة كما يدلّ عليه قوله:

﴿ وَهُوَ الَّذى خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فى سِتَّةِ أَيّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ ﴾.[٥]

---

١. سورة البروج (٨٥): ١٥ ـ ١٦.
٢. سورة الزمر (٣٩): ٧٥.
٣. سورة غافر (٤٠): ٧.
٤. سورة الزمر (٣٩): ٧٥.
٥. سورة هود (١١): ٧.

**[﴿٢﴾ وَإِسْرَافِيلُ صَاحِبُ الصُّورِ الشَّاخِصُ الَّذِي يَنْتَظِرُ مِنْك الْإِذْنَ وَحُلُولَ الْأَمْرِ فَيُنَبِّهُ بِالنَّفْخَةِ صَرْعَى رَهَائِنِ الْقُبُورِ]**

## حقيقة صور إسرافيل

تعني كلمة «ايل» باللغة العبريّة لفظ الجلالة «الله» واضيف لهاكلمة «اسراف».

وقد جاء في الحديث الشريف عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله:

**كلّ شيء رجع إلى إيل فهو عبدالله عزّوجلّ.**[1]

وعليه فانّ «إسرافيل» هو عبدالله وقد ورت الإشارة فيما مضى حول مفهوم وحقيقة الملائكة بأنّهم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُون﴾[2] كما ورد في توصيفهم في القرآن الكريم.

## الصور في القرآن الكريم

١ ـ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.[3]

---

١. رياض السالكين: ٧٧.
٢. سورة الأنبياء (٢١): ٢٦
٣. سورة الأنعام (٦): ٧٣.

٢ ـ ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً ﴾.[١]

٣ ـ ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرمينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾.[٢]

٤ ـ ﴿ فَإِذا نُفِخَ فِى الصُّور فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسائَلُونَ ﴾.[٣]

٥ ـ ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّماوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شاءَ ٱللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾.[٤]

٦ ـ ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾.[٥]

٧ ـ ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّماوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ ٱللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.[٦]

٨ ـ ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذٰلِكَ يَوْمُ الْوَعيد ﴾.[٧]

٩ ـ ﴿ فَإِذا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ ﴾.[٨]

١٠ ـ ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً ﴾.[٩]

وعندما ينفخ هذا الملك العظيم «إسرافيل» في الصور تحدث صيحة عظيمة يصعق لها سكّان السموات والأرض إلّا من شاء الله عزّوجلّ.

ثمّ ينفخ الملك في الصور مرّة أُخرى فيهب المصعقون قياماً ينظرون قد انتشروا فوق أرض المحشر.

---

١. سورة الكهف (١٨): ٩٩.
٢. سورة طه (٢٠): ١٠٢.
٣. سورة مؤمنون (٢٣): ١٠١.
٤. سورة النمل (٢٧): ٨٧.
٥. سورة يس (٣٦): ٥١.
٦. سورة الزمر (٣٩): ٦٨.
٧. سورة ق (٥٠): ٢٠.
٨. سورة الحاقّة (٦٩): ١٣.
٩. سورة النبأ (٧٨): ١٨.

**الصيحة في القرآن الكريم**

ورد ذكر الصيحة في القرآن الكريم أربع مرّات:

١ ـ ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾.[١]

٢ ـ ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾.[٢]

٣ ـ ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾.[٣]

٤ ـ ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾.[٤]

إذن هما صيحتان صيحة موت وصيحة حياة والسؤال كيف تحدث الصيحة فعلين مختلفين والأجوبة متعدّدة في هذا الموضوع:

يقول محي الدين عربي:

اَلنَّفْخَةُ نَفْخَتانِ: نَفْخَةٌ تُطْفِى النّارَ، وَنَفْخَةٌ تَشْعَلُها.[٥]

وعندما يحدث هذا الفعل من الانسان بواسطة الفم إذ هو ينفخ فيضرم النار ويزيد أوراها، فانه من غير المستبعد أن يقوم إسرافيل في نفخته الأُولى باطفاء شعلة الحياة في كلّ مخلوق حي، ثمّ يشعل الحياة في المخلوقات المستعدّة للحياة.

ونحن نلاحظ اليوم كيف تحدث أصوات الانفجار دويّاً وتتولّد عنها أمواج صوتيّة تؤدّي إلى موت الانسان.

---

١. سورة يس (٣٦): ٢٩.
٢. سورة يس (٣٦): ٥٣.
٣. سورة ص (٣٨): ١٥.
٤. سورة ق (٥٠): ٤٢.
٥. فتوحات مكية: ١/٣١٣، باب ٦٤.

ومن المؤكّد انّ الصيحة التي تحدث في يوم القيامة هي صوت عظيم جدّاً يحدث أمواجاً هائلة يصعق جميع الأحياء إلّا من شاء الله عزّوجلّ ثمّ يشعل وهج الحياة فيها من جديد.

وهناك ثلاثة روايات في كتب الحديث «علم اليقين» و«لآلي الأخبار» هي كما يلي:

**سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله عَنْهُ فَقالَ: قَرْنٌ مِنْ نُورٍ الْتَقَمَهُ إسْرافيلُ.**[١]

وجاء في حديث آخر قوله صلى الله عليه وآله:

**اَلصُّورُ قَرْنٌ مِنْ نُورٍ فيهِ أثْقابٌ عَلىٰ عَدَدِ أرْواحِ الْعِبادِ.**[٢]

وعن السجّاد عليه السلام:

**عَنِ السَّجّادِ عليه السلام: إنَّ الصُّورَ قَرْنٌ عَظيمٌ لَهُ رَأْسٌ واحِدٌ وَطَرَفانِ، وَبَيْنَ طَرَفِ الْأَسْفَلِ الَّذى يَلِى الْأَرْضَ إلىٰ طَرَفِ الْأَعْلَى الَّذى يَلِى السَّماءَ مِثْلُ ما بَيْنَ تُخُومِ الْأَرَضينَ السّابِعَةِ إلىٰ فَوْقِ السَّماءِ السّابِعَةِ، فيهِ أثْقابٌ بِعَدَدِ أرْواحِ الخَلائِقِ.**[٣]

### صور إسرافيل لدى المفسّرين والمحدّثين

جاء في تفسير الأمثل بشأن صور إسرافيل ما يلي:

---

١. شرح الأسماء الحسنىٰ: ١/ ٩٦؛ التفسير الأصفى (الفيض الكاشاني): ٢/ ٩١٧، ذيل آية ٨٧ من سورة النمل.

٢. علم اليقين: ٨٩٢؛ الأمثل فى تفسير كتاب اك المنزل: ١٥/ ١٥٣، ذيل آية ٨٧ من سورة النمل.

٣. إرشاد القلوب للديلمي: ١.٥٣، الباب الثالث عشر؛ لآلي الأخبار: ٤٥٣.

«هناك سؤال يتبادر إلى الذهن وهو: كيف تملأ أمواج الصور الصوتيّة كلّ العالم في نفس اللحظة؟ رغم انّنا نعلم أنّ سرعة الأمواج الصوتيّة بطيئة ولا تتجاور الـ (٣٣٠) متراً في الثانية في حين أن سرعة الضوء هي أكثر بمليون مرّة من هذه السرعة إذ تبلغ (٣٠٠٠٠٠) كيلومتر في الثانية.

يجب الاعتراف في البداية بأن معلوماتنا بشأن هذا الموضوع هي كمعلوماتنا بشأن الكثير من المسائل المتعلّقة بيوم القيامة فهي معلومات عامّة لا أكثر، إذ نجهل الكثير من تفاصيل ذلك اليوم.

والتدقيق في الروايات الواردة في المصادر الإسلاميّة بشأن تفسير كلمة «الصور» تبيّن عكس ما يتصوّر البعض من أنّ الصور هو زمّارة أو مزمار أو بوق اعتيادي.

وطرح مسألة النور هنا بمثابة جواب على السؤال الثاني ويوضح أنّ الصيحة العظيمة ليست من قبيل الأمواج الصوتيّة الاعتياديّة، وإنّما هي صيحة أعظم وأعظم، وتكون أمواجها ذات سرعة فائقة وغير طبيعيّة حتّى انّها أسرع من الضوء ففي المرّة الأُولى تكون مميتة وفي المرّة الثانية باعثة للأموات.

أمّا كيف يتسبّب مثل هذا الصوت في اماتة العالمين؟ فان كان هذا الأمر عجيباً في السابق، فانّه غير عجيب اليوم لأنّنا سمعنا كثيراً بأنّ الأمواج الانفجاريّة تسبّب في تمزّق أجساد البعض واصابة آخرين بالصمم ورمي آخرين إلى مسافة بعيدة وتسبّب في تدمير البيوت كذلك، كما شاهد الكثير منّا كيف انّ زيادة سرعة الطائرة وبعبارة أُخرى اختراق حاجز الصوت يولّد صوتاً مرعباً وأمواجاً مدمّرة قد تحطّم زجاج نوافذ الكثير من البنايات والمنازل.

فإذا كانت الأمواج الصوتيّة الصغيرة التي هي من صنع الانسان تحدث مثل هذا التأثير، فما هي الآثار التي تتركها الصيحة الالهيّة العظمى انّها بلا شكّ انفجار كوني رهيب.

ولهذا السبب لا عجب أيضاً أن قلنا بوجود أمواج تقابل تلك الأمواج، وأنّها تهزّ الانسان وتوقظه وتبعث فيه الحياة رغم أنّه من العسير علينا تصوّر هذا المعنى ولكنّنا نرى دائماً كيف يهب النائم مستيقظاً على أثر الصوت، وكيف يستعيد الانسان المغمى عليه وعيه اثر صعقة عدّة صعقات؟

ونكرّر القول مرّة أُخرى ونقول: انّ علمنا المحدود لا يمكنه إدراك سوى ظلال وأطياف بعيدة عن هذه الامور».[1]

## حقائق العالم الآخر

انّ الحقيقة التي يجب أن نذعن لها على نحو عام هي أنّه لا يمكن للغة بشريّة وألفاظ دنيويّة وضعت لتدلّ على أشياء ماديّة أن تستوعب وتصوّر حقائق العالم الآخر.

وعلى هذا الأساس فانّنا نجهل حقيقة النفخ في الصور، كلّ ما نعرفه هو أنه بأمر الله عزّوجلّ سوف ينفخ في الصور فيصدر صوت رهيب وصيحة كبرى ولا نعرف كيف يصعق أثرها جميع الأحياء إلّا من شاء الله سبحانه هذا في المرحلة الأُولى.

وفي المرحلة الثانية تنطلق الصيحة العظمى مرّة أُخرى فاذا جيع الموتى الذين صعقوا يهبون قياماً أمام المحكمة الالهيّة.

---

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥/ ١٥٢ ـ ١٥٣.

وهذه الحقيقة الالهيّة المجهولة عبّر عنها القرآن الكريم بـ«نفخ الصور».[١].

والملك إسرافيل الذي ينفخ في الصور يومئذٍ هو من أعظم الملائكة المقرّبين ومن أقرب الخلق إلى الله عزّوجلّ، ومهمّته هو أن ينفخ في الصور فتصعق جميع الكائنات الحيّة إلّا من شاء الله سبحانه، ثمّ يؤمر بالنفخة الأُخرى فتنبعث الحياة من جديد في الأجساد الميتة ويهب الموتى من رقدة الموت.

وما أجمل ما قال الشاعر عطّار النيسابوري:

مت بارادتك من أجل أن تبقى على قيد الحياة؛

مت إذا ما أردت سلوك طريق الحياة؛

تجد في موتك الواعي جميع الامنيات؛

مت بنفسك أن اردت البقاء؛

وسوف تبقى خالداً أبد الحياة؛

فمت يا أيّها الشيخ قبل أن تموت؛

وارفع عن وجهك حجاب النفس كي لا تموت.

---

١. به سوى جهان أبدي (نحو عالم الأبديّة): ٢٩٧.

**[﴿٣﴾ وَمِيكَائِيلُ ذُوالْجَاهِ عِنْدَك وَالْمَكَانِ الرَّفِيعِ مِنْ طَاعَتِك.**

**﴿٤﴾ وَجِبْرِيلُ الْأَمِينُ عَلَى وَحْيِك الْمُطَاعُ فِي أَهْلِ سَمَاوَاتِك الْمَكِينُ لَدَيْك الْمُقَرَّبُ عِنْدَك.**

**﴿٥﴾ وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ عَلَى مَلَائِكَةِ الْحُجُبِ.**

**﴿٦﴾ وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِك فَصَلٌّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ: مِنْ سُكَّانِ سَمَاوَاتِك وَأَهْلِ الْأَمَانَةِ عَلَى رِسَالَاتِك]**

### منزلة الملكين ميكائيل وجبرائيل

عبّر القرآن الكريم في سورة البقرة (الآية ٩٨) عن ميكائيل بـ «ميكال».[1] وعدّ نصب العداء لهذا الملك العظيم بمنزلة نصب العداء لله والملائكة والأنبياء وهو كفر بالله.

وهكذا بالنسبة بـ «جبرئيل» فقد عبّر عنه بـ «جبريل» الذي هو مؤذن أهل السماء وميكائيل امامها ولا شكّ فانّ مقام الامامة أسمى.

---

١. ﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾؛ البقرة (٢): ٩٨.

### توصيفات جبرئيل في القرآن الكريم

وصف القرآن المجيد في آياته الملك جبريل بـ «الروح الامين» و«الرسول الكريم» و «ذي القوّة» و «المطاع» و «الأمين».

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.[١]

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾.[٢]

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾.[٣]

وهذه الآيات الخمس اشتملت على صفات لهذا الملك العظيم فهو رسول كريم قوي أمين مطاع مكين.

والامين الحافظ لما كلّف بحفظه عن تطرّق الخلل إليه وهو المطاع في أهل السماوات أي مطاع لدى الملائكة فهم يصدرون عن أمره ويرجعون إليه.

والمكين من له مكانة ضخمة وعظمة وهو المقرّب في منزلته ودرجته عند الله عزّوجلّ.

وقد روي في الحديث الشريف أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل عليه السلام:

**ما أحْسَنَ ما أثْنىٰ عَلَيْك رَبُّك: ﴿ذى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكينٍ * مُطاعٍ ثمَّ**

---

١. سورة البقرة (٢): ٩٧.
٢. سورة الشعراء (٢٦): ١٩٢ ـ ١٩٤.
٣. سورة التكوير (٨١): ١٩ ـ ٢١.

**أمين﴾، فَما كانَتْ قُوَّتُك، وَما كانَتْ أمانَتُك؟ فَقَالَ: أمّا قُوّتى. بُعِثْتُ إلى مَدائن لوطٍ فَهِيَ أَرْبَعُ مدائنَ و فى كلّ مَدِينةٍ أَرْبَعْمائَةِ ألفٍ مُقاتلٍ سِوَى الذراريِّ فَحَمَلْتُهُم مِنَ الأرض السُّفْلى حَتّى سَمِعَ أهلُ السماوات أصواتَ الدَّجاجِ و نُبَاحَ الكِلابِ ثُمَّ هَوَيْتُ بِهِنَّ فَقَلَّبْتُهُنَّ و أمّا أمانتى فإنّى لَمْ أُؤمَرْ بشىءٍ فَعَدَوْتُهُ إلى غيره.**[1]

## ملائكة الحجب

روى الشيخ الصدوق﵀ بسنده عن زيد بن وهب: سئل أميرالمؤمنين﵇ عن الحجب فقال﵇:

**أَوَّلُ الْحُجُبِ سَبْعَةٌ غِلَظُ كُلِّ حِجَابٍ مِنْهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَبَيْنَ كُلِّ حِجَابَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَالْحِجَابُ الثَّانِي سَبْعُونَ حِجَاباً بَيْنَ كُلِّ حِجَابَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ حَجَبَةُ كُلِّ حِجَابٍ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ قُوَّةُ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ قُوَّةُ الثَّقَلَيْنِ مِنْهَا ظُلْمَةٌ وَمِنْهَا نُورٌ وَمِنْهَا نَارٌ وَمِنْهَا دُخَانٌ وَمِنْهَا سَحَابٌ وَمِنْهَا بَرْقٌ وَمِنْهَا رَعْدٌ وَمِنْهَا ضَوْءٌ وَمِنْهَا رَمْلٌ وَمِنْهَا جَبَلٌ وَمِنْهَا عَجَاجٌ وَمِنْهَا مَاءٌ وَمِنْهَا أَنْهَارٌ وَهِيَ حُجُبٌ مُخْتَلِفَةٌ غِلَظُ كُلِّ حِجَابٍ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ سُرَادِقَاتُ الْجَلالِ وَهِيَ سِتُّونَ سُرَادِقاً فِي كُلِّ سُرَادِقٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ بَيْنَ كُلِّ سُرَادِقٍ وَسُرَادِقٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ثُمَّ سُرَادِقُ الْعِزِّ ثُمَّ سُرَادِقُ الْكِبْرِيَاءِ ثُمَّ سُرَادِقُ الْعَظَمَةِ ثُمَّ سُرَادِقُ الْقُدُسِ ثُمَّ سُرَادِقُ**

---

١. بحار الأنوار: ٥٦ /٢٤٨؛ مجمع البيان فى تفسير القرآن: ١٠ /٢٨١؛ الدرّ المنثور: ٦ /٣٢١؛ تفسير الأمثل: ٢٦ /١٩٤، ذيل آية ٢٠ من سورة التكوير.

**الْجَبَرُوتِ ثُمَّ سُرَادِقُ الْفَخْرِ ثُمَّ سُرَادِقُ النُّورِ الْأَبْيَضِ ثُمَّ سُرَادِقُ الْوَحْدَانِيَّةِ وَهُوَ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ الْحِجَابُ الْأَعْلَى.**[١]

وروى علي بن إبراهيم بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال:

**قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: قَالَ جَبْرَئِيلُ فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ: إِنَّ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ تِسْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ وَأَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ أَنَا وَإِسْرَافِيلُ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَرْبَعَةُ حُجُبٍ حِجَابٌ مِنْ نُورٍ وَحِجَابٌ مِنْ ظُلْمَةٍ وَحِجَابٌ مِنَ الْغَمَامِ وَحِجَابٌ مِنْ مَاء.**[٢]

وروى عن ابن عبّاس في قصّة الإسراء والمعراج قال:

قَالَ فَعَبَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْحُجُبِ وَالْحُجُبُ خَمْسُمِائَةِ حِجَابٍ مِنَ الْحِجَابِ إِلَى الْحِجَابِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَام.[٣]

وروى الشيخ الصدوق عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله:

الشَّمْسُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ الْكُرْسِيِّ وَالْكُرْسِيُّ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ الْعَرْشِ وَالْعَرْشُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ الْحِجَابِ وَالْحِجَابُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ السِّتْر.[٤]

وجاء في مصباح المتهجّد في تعقيب صلاة أميرالمؤمنين عليه السلام:

**وَأَسْأَلُكَ بِنُورِ اسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ نُورَ حِجَابِكَ النُّورِ... إِلَى قَوْلِهِ عليه السلام: وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الزَّكِيِّ الطَّاهِرِ الْمَكْتُوبِ فِي كُنْهِ حُجُبِكَ الْمَخْزُونِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ عَلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْمَكْتُوبِ عَلَى سُرَادِقِ السَّرَائِرِ... إِلَى**

---

١. بحار الأنوار: ٥٥ /٣٩ ـ ٤٠.
٢. بحار الأنوار: ٥٥ /٤٢.
٣. بحار الأنوار: ٥٥ /٤٣.
٤. بحار الأنوار: ٥٥ /٤٣.

**قَوْلِهِ: بِاسْمِكَ الَّذِي كَتَبْتَهُ عَلَى حِجَابِ عَرْشِكَ وَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ فِي اللَّـوْحِ الْمَحْفُوظِ.**(١)

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

**دُونَ اللهِ سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ لا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ تِلْكَ الْحُجُبَ إِلّا زَهَقَتْ نَفْسُهُ.**(٢)

وجاء عنه ﷺ أيضاً قوله:

**قَالَ جَبْرَئِيلُ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبِّ لَسَبْعِينَ حِجَاباً مِنْ نَـارٍ أَوْ نُـورٍ لَـوْ رَأَيْتُ أَدْنَاهَا لاحْتَرَقْتُ.**(٣)

### ملائكة الحجب في كلام العلّامة المجلسي

قال العلّامة المرحوم محمّد باقر المجلسي في تعليقة على الروايات ذات الصلة بالملائكة:

«أن لتلك الأخبار ظهرا وبطنا وكلاهما حق فأما ظهرها فإنه سبحانه كما خلق العرش والكرسي مع عدم احتياجه إليهما كذلك خـلق عـندهما أسـتارا وحـجبا وسرادقات وحشاها من أنواره الغريبة المخلوقة له ليـظهر لمـن يشـاهدها مـن الملائكة وبعض النبيين ولمن يسمعها من غيرهم عظمة قدرته وجلال هيبته وسعة فيضه ورحمته.

ولعل اختلاف الأعداد باعتبار أن في بعض الإطلاقات اعتبرت الأنواع وفي

---

١. بحار الأنوار: ٥٥ /٤٣.
٢. بحار الأنوار: ٥٥ /٤٤.
٣. بحار الأنوار: ٥٥ /٤٤.

بعضها الأصناف وفي بعضها الأشخاص أو ضم بعضها إلى بعض في بعض التعبيرات أو اكتفي بذكر بعضها في بعض الروايات وأما بطنها فلأن الحجب المانعة عن وصول الخلق إلى معرفة كنه ذاته و صفاته أمور كثيرة منها ما يرجع إلى نقص المخلوق وقواه و مداركه بسبب الإمكان والافتقار والاحتياج والحدوث وما يتبع ذلك من جهات النقص والعجز وهي الحجب الظلمانية ومنها ما يرجع إلى نوريته وتجرده وتقدسه ووجوب وجوده وكماله وعظمته وجلاله وسائر ما يتبع ذلك وهي الحجب النورانية وارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال فلو ارتفعت لم يبق بغير ذات الحق شيء أو المراد بكشفها رفعها في الجملة بالتخلي عن الصفات الشهوانية والأخلاق الحيوانية والتخلق بالأخلاق الربانية بكثرة العبادات والرياضات والمجاهدات وممارسة العلوم الحقة فترتفع الحجب بينه وبين ربه سبحانه في الجملة فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيناتهم وإراداتهم وشهواتهم فيرون بعين اليقين كماله سبحانه ونقصهم و بقاءه وفناءهم وذلهم وغناه وافتقارهم بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجوده الكامل عدما وقدرتهم الناقصة في جنب قدرته الكاملة عجزا بل يتخلون عن إرادتهم وعلمهم وقدرتهم فيتصرف فيهم إرادته وقدرته وعلمه سبحانه فلا يشاءون إِلّا أَنْ يَشٰاءَ اللهُ ولا يريدون سوى ما أراد الله ويتصرفون في الأشياء بقدرة الله فيحيون الموتى ويردون الشمس ويشقون القمر.

قَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: **مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْبَرَ بِقُوَّةٍ جِسْمَانِيَّةٍ بَلْ بِقُوَّةٍ رَبَّانِيَّةٍ.**

والمعنى الذي يمكن فهمه ولا ينافي أصول الدين من الفناء في الله والبقاء بالله

هو هذا المعنى وبعبارة أخرى الحجب النورانية الموانع التي للعبد عن الوصول إلى قربه وغاية ما يمكنه من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالرئاء والعجب والسمعة والمراء وأشباهها و الظلمانية ما يحجبه من المعاصي عن الوصول إليه فإذا ارتفعت تلك الحجب تجلى الله له في قلبه وأحرق محبة ما سواه حتى نفسه عن نفسه.[١]

انّ هذا العالم المادي في حالة تكامل ويتحرّك نحو الكمال بما في ذلك النفس الانسانيّة التي ينبغي أن تستجيب لنداء الفطرة في حبّ الكمال والبحث عن الكمال وسلوك طريق التكامل.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة له:

**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَالْآخِرَةَ دَارُ بَقَاءٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِي الدُّنْيَا حُيِّيتُمْ وَلِلْآخِرَةِ خُلِقْتُمْ وَإِنَّمَا الدُّنْيَا كَالسَّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لا يَعْرِفُهُ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَاتَ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ مَا قَدَّمَ وَقَالَ النَّاسُ مَا أَخَّرَ فَقَدِّمُوا فَضْلاً يَكُنْ لَكُمْ وَلا تُؤَخِّرُوا كَلّاً يَكُنْ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ الْمَحْرُومَ مَنْ حُرِمَ خَيْرَ مَالِهِ وَالْمَغْبُوطَ مَنْ ثَقَّلَ بِالصَّدَقَاتِ وَالْخَيْرَاتِ مَوَازِينَهُ وَأَحْسَنَ فِي الْجَنَّةِ بِهَا مِهَادَهُ وَطَيَّبَ عَلَى الصِّرَاطِ بِهَا مَسْلَكَه.**[٢]

وجاء في الحديث النبويّ الشريف:

**حُبُّ الدُّنيا رَأْسُ كُلِّ خَطيئَةٍ.**[٣]

---

١. بحار الأنوار: ٥٥ /٤٦ ـ ٤٧.
٢. بحار الأنوار: ٧٠ /٨٨ ـ ٨٩.
٣. بحار الأنوار: ٧٠ /٩٠؛ الخصال: ١ /٢٥.

وروى جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِيَ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ أَمَّا الْهَوَى فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ وَهَذِهِ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً وَهَذِهِ الْآخِرَةُ قَدِ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَافْعَلُوا فَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ فِي دَارِ عَمَلٍ وَلا حِسَابَ وَأَنْتُمْ غَداً فِي دَارِ حِسَابٍ وَلا عَمَلَ.**

**إِنَّكَ فِي دَارٍ لَهَا مُدَّةٌ ... يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ**
**أَ لا تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطاً بِهَا ... يُكْذَبُ فِيهَا أَمَلُ الآْمِلِ**
**تَعْجَلُ الذَّنْبَ لِمَا تَشْتَهِي ... وَتَأْمُلُ التَّوْبَةَ فِي قَابِلٍ**
**وَالْمَوْتُ يَأْتِي أَهْلَهُ بَغْتَةً ... مَا ذَاكَ فِعْلُ الْحَازِمِ الْعَامِلِ**[1]

* * *

**كُلُّنَا نَأْمُلُ مَدّاً فِي الْأَجَلِ ... وَ الْمَنَايَا هُنَّ آفَاتُ الْأَمَلِ**
**لا يَغُرَّنْكَ أَبَاطِيلُ الْمُنَى ... وَالْزَمِ الْقَصْدَ وَدَعْ عَنْكَ الْعِلَلَ**
**إِنَّمَا الدُّنْيَا كَظِلٍّ زَائِلٍ ... حَلَّ فِيهِ رَاكِبٌ ثُمَّ رَحَلَ**[2]

* * *

**زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران**
**وكلّ وجدان حظّ لا ثبات له ... فان معناه في التحقيق فقدان**
**يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً ... نسيت أنّ سرور المال أحزان**
**دع الفؤاد من الدنيا وزينتها ... فصفوها كدر الوصل هجران**

---

١. بحار الأنوار: ٧٠/٩٥.
٢. بحار الأنوار: ٧٠/٩٥.

**[﴿٧﴾ وَالَّذِينَ لاَ تَدْخُلُهُمْ سَأْمَةٌ مِنْ دُؤُوبٍ وَلاَ إِعْيَاءٌ مِنْ لُغُوبٍ وَلاَ فُتُورٌ وَلاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْ تَسْبِيحِك الشَّهَوَاتُ وَلاَ يَقْطَعُهُمْ عَنْ تَعْظِيمِك سَهْوُ.**

**﴿٨﴾ الْغَفَلاَتِ اَلْخُشَّعُ الْأَبْصَارِ فَلاَ يَرُومُونَ النَّظَرَ إِلَيْك النَّوَاكِسُ الْأَذْقَانِ الَّـذِينَ قَـدْ طَالَتْ رَغْبَتُهُمْ فِيمَا لَدَيْك الْمُسْتَهْتَرُونَ بِـذِكْرِ آلاَئِك وَالْـمُتَوَاضِـعُونَ دُونَ عَـظَمَتِك وَجَلاَلِ كِبْرِيَائِك ].**

**الموانع في طريق الكمال**

وهؤلاء الملائكة لا يسأمون من العبادة ولا يعتريهم الملل ولا الإعياء والتعب ولا الفتور من الضعف أو بسبب الشهوات والرغبات والنوازع النفسيّة في طـلب الدعة والراحة والاسترخاء.

واذن فانّ من الموانع في طريق الكمال والتكامل هو ما يعتمل في النفس من الشهوات والرغبات، والوجود الملائكي خال من الشهوة، لأن تكوين الملائكة يتألّف من نور محض وماهيّة ملكوتيّة.

ولد قدّر الله عزّوجل أن يشتمل التكوين الآدمي البشري على عناصر الغريزة والميول والرغبة والشهوات.

ولهذا فانّ الانسان إذا ما اختاره طريق العقل والفطرة وكبح غرائزه وشهواته

وسخّرها في طريق الكمال فانّه يتفوّق على الملائكة.

أمّا إذا استسلم لأهوائه وانقاد لرغباته فانّه سوف ينزلق في وجوده إلى هاوية الحيوانيّة والبهيميّة بل إلى ما هو أدنى من هذه المستويات.

ولقد ثبت واتّضح لكلّ ذي ادراك أنّ السقوط الأخلاقي وحالات الانحطاط الحيواني في حياة البشر إنّما تحصل بسبب الاستسلام للغرائز والأهواء والانقياد لها وبالتالي السقوط في مصائد الشيطان الذي يستعبده ويدمّر حياته ويخرجه عن الحالة الانسانيّة.

وهكذا يصبحون خطراً على المجتمع لأنّهم سوف ينشرون انحطاطهم ويؤسّسون لفسادهم ويرسخون انحطاطهم ويسلخون مجتمعهم من الحالة الآدميّة إلىٰ ما دون المستويات الحيوانيّة.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾.[1]

وهؤلاء الذين جعلوا من تحقيق أهوائهم والاستجابة لغرائزهم هدفاً في حياتهم؛ مسخّرين كلّ إمكانتهم في سبيل ذلك حتّى لو داسوا على حقوق غيرهم وانتهكوا حرماتهم وتوسّوا بكلّ الوسائل اللاأخلاقيّة، هم في الحقيقة قد انسلخوا من انسانيّتهم وحوّلوا الحياة الاجتماعيّة إلى غابة رهيبة تضجّ بعواء الذئاب.

لقد انحدروا في هاوية السقوط وأصبحت الحياة الدنيا كلّ همهم لا يرون شيئاً غيرها.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

---

١. سورة إبراهيم (١٤): ٢٨.

﴿ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ ذٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ ٱلْمَآبِ﴾.[١]

والآية الكريمة تشير إلىٰ ما يخلب لبّ الانسان ويخطف عقله ويطيح بتوازنه، وهكذا تومض أضواء دينويّة خاطفة خادعة تتراءى للانسان وتدفعه إلى اللهاث وراءها في أُفق هو في الحقيقة مقفر كما يتراءى للظمآن سراب متموج يحسبه ماءً حتّىٰ إذا جاءه لم يجده شيئاً!

### نافذة الخلاص

وهنا نرى القرآن الكريم بآياته المباركة والحديث الشريف من خلال روايات معتبرة تفتح نافذة للخلاص تطل على أُفق أخضر فتدعو الانسان إلى التقوى.

أجل انّ التقوىٰ هي بوابة الطريق التي تفضي في النهاية إلى السعادة في عالم أخضر ونعيم أبدي خالد.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِن ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللهِ وَٱللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ﴾.[٢]

والآية تدعو إلى الانعتاق والتحرّر من عبوديّة الغرائز والاستغراق في الأهواء النفسيّة والانتقال إلى حياة انسانيّة يتحكّم فيها العقل بالشهوات والأهواء وليس العكس.

وهذا هو طريق الله سبحانه وتعالى انّه الطريق القويم المستقيم الذي يجسّد فيه

---

١. سورة آل عمران (٣): ١٤.
٢. سورة آل عمران (٣): ١٥.

الانسان انسانيّته وآدميّته ويعبّر من خلال اتباع الشريعة الالهيّة عن توقه إلى الكمال والسير في طريق التكامل والتخلّص من أسر الوساوس الشيطانيّة.

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾.[١]

وقد تبدو الدعوة إلى التقوى والالتزام بالحدود الشرعيّة واتباع التعاليم الأخلاقيّة نوعاً من القيود التي تحدّ من انطلاق النفس في دنيا الأهواء والرغبات واللذائذ إلّا ان هذا البرنامج إنّما يهدف إلى صناعة شخصيّة إنسانيّة متوازنة ومتزنه وقوية؛ والأرقى من ذلك ضمان مستقبل مشرق له في عالم الآخرة.

وهكذا يتّضح وجود طريقين، على الانسان أن يختار أحدهما:

طريق الله وطريق الشيطان.

﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾.[٢]

### سعادة الدنيا والآخرة

وللأهواء حالة من الاندفاع والتوسع ومحاولة السيطرة من خلال حالة النهم والجوع والطلب؛ ولهذا فان كبح جماحها والحدّ من محاولات سيطرتها يتطلّب جهداً وارادة وعزماً قويّاً وإلّا فانّه لا تحدّها حدود ولا تعرف في عربدتها القيود ولا تتوقّف عن الاندفاع حتّى تستقرّ في هاوية العذاب.

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلاَةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ

---

١. سورة النساء (٤): ٢٧.
٢. سورة البقرة (٢): ٢٥٦.

﴿يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾[١]

وما يدعو إلى التأمّل الحديث النبويّ الشريف هو قوله ﷺ بعد قرائته الآية أعلاه:

**يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتّينَ سَنَةً أضاعُوا الصَّلٰاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً، ثُمَّ يَكُونُ خَلْفٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يَعْدُو تَراقِيَهُمْ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلاثَةٌ: مُؤْمِنٌ وَمُنافِقٌ وَفاجِرٌ.**[٢]

مطلع الرواية أعلاه ينطبق مع بدء تصدّي يزيد للخلافة الإسلاميّة حيث تحوّلت إلى ملك يورثه الآباء إلى الأبناء وكان معاوية قد اغتصب الخلافة الإسلاميّة اغتصاباً وبقوّة الحديد والنار، وعند ما أصبح يزيد اللعين الخليفة تسبب في وقوع مذبحة كربلاء ومأساة عاشوراء.

أمّا القسم الثاني فينطبق على حكم بني العبّاس حيث لم يبق من الاسلام إلّا اسمه ومن القرآن إلّا رسمه.

عن أبي جعفر عليه السلام قال:

**الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبْرِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَجَهَنَّمُ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهَوَاتِهَا دَخَلَ النَّارَ.**[٣]

وهذا أبلغ تصوير لهذه الحقيقة الكبرى وهي أنّ الجنّة والطريق إليها محفوف بما

---

١ ـ مريم (١٩): ٥٩.

٢. كنز العمّال: ١١ / ١٩٥؛ المستدرك على الصحيحين: ٢ / ٣٧٤.

٣. الكافي: ٢ / ٨٩؛ بحار الأنوار: ٦٨ / ٧٢.

تكرهه النفس من مقاومة للغرائز الحيوانيّة وكبح جماحها؛ بينما النار على العكس فهي محفوفة بالملذات والأهواء وبكلّ ما تريده الغرائز الحيوانيّة.

## موقع الجنّة والنار

جاء في بعض الروايات:

**أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْجَنَّةَ قَالَ لِجَبْرَئِيلَ عليه السلام: انْظُرْ إِلَيْهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ: يَا رَبِّ لا يَتْرُكُهَا أَحَدٌ إِلّا دَخَلَهَا، فَلَمَّا حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ: يَا رَبِّ أَخْشَى أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ وَلَمَّا خَلَقَ النَّارَ قَالَ لَهُ: انْظُرْ إِلَيْهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ: يَا رَبِّ لا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا حَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ: يَا رَبِّ أَخْشَى أَنْ يَدْخُلَهَا كُلُّ أَحَدٍ.**[1]

من أجل هذا فانّ الانسان العاقل الذي يرى أبعد ممّا تراه الغرائز ويتطلّع إلى ما وراء اللذائذ فيرى النار فلا يسلك الطريق إليها، ويرى ما وراء المكاره فيرى الجنّة في نهاية المطاف فيختار طريق المكاره لأنّه يدرك ما وراء ذلك.

## الشهوات وآثارها

**في وَصايا أبي ذَرٍّ قال صلى الله عليه وآله: يا أبا ذَرٍّ، اَلْحَقُّ ثَقيلٌ مُرٌّ، وَالْباطِلُ خَفيفٌ حُلْوٌ، وَرُبَّ ساعَةِ شَهْوَةٍ تُورِثُ حُزْناً طَويلاً.**[2]

---

١. بحار الأنوار: ٦٨ / ٧٢.

٢. بحار الأنوار: ٧٤ / ٨٤؛ مجموعة ورام: ٢ / ٥٩؛ مستدرك سفينة البحار: ٦ / ٩٤.

**وَقالَ: مَنْ أكلَ ما يَشْتَهى، وَلَبِسَ ما يَشْتَهى، وَرَكِبَ ما يَشْتَهى، لَمْ يَـنْظُرِ اللهُ إلَيْهِ حَتّى يَنْزِعَ أوْ يَتْرُكَ.**(١)

**فى وَصايَا الْكاظمعليه السلام: يا هِشامُ، أوْحَى اللهُ إلىٰ داوُدَ: حَذِّرْ وَ أَنْذِرْ أصْحابَك عَنْ حُبِّ الشَّهَواتِ، فَإنَّ الْمُعَلَّقَةَ قُلُوبُهُمْ بِشَهَواتِ الدُّنْيا قُلُوبُهُمْ مَحْجُوبَةٌ عَنّى.**(٢)

**قالَ الْجَوادُعليه السلام: راكِبُ الشَّهَواتِ لا تُسْتَقالُ لَهُ عَثْرَةٌ.**(٣)

**وَقالَعليه السلام: مَنْ أطاعَ هَواهُ أعطىٰ عَدُوَّهُ مُناهُ.**(٤)

**قالَ أميرُالْمُؤمنينَعليه السلام: إنَّما أخافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَيْنِ: اتِّباعَ الْهَوىٰ وَ طُولَ الْأَمَلِ. أمّا اتِّباعُ الْهَوىٰ فَإنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأمّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِى الْآخِرَةَ.**(٥)

### مفهوم الهوى

يقول الإمام الخميني رحمه الله في كتابه «الأربعون حديثاً» فـي شـرحـه الحـديث الشريف أعلاه:

انّ الهوى في مفهومه اللغوي هو الحبّ والاشتهاء ولا فرق في المـتعلّق فـقد يكون حسناً ممدوحاً وقد يكون سيّئاً مذموماً وبحسب مقتضى الطبيعة الآدميّة فانّ النفس تميل إلى الشهوات الباطلة والأهواء النفسيّة إذا لم يصدّها عقل أو يكـبح جماحها شرع.

---

١. بحار الأنوار: ٧٤ / ١٤٤؛ تحف العقول: ٣٨.
٢ ـ بحار الأنوار: ١ / ١٥٤؛ تحف العقول: ٣٩٧.
٣. بحار الأنوار: ٧٥ / ٣٦٤؛ أعلام الدين: ٣٠٩.
٤. بحار الأنوار: ٦٧ / ٧٨؛ اعلام الدين: ٣٠٩.
٥. الكافى: ٢ / ٣٣٥؛ وسائل الشيعة: ١٦ / ٥٨.

والصدّ عن الشيء بمعنى المنع والأعراض والصرف.

والنفس الانسانيّة تجنح إلى اتباع الهوى وتسوف في الأمل وتخدع الانسان بطول الامل الذي ينسي المرء التفكير في الآخرة.

واذن فانّ الانسان حيوان بالفعل وهو يلج هذا العالم ولا يخضع لأيّة شريعة عدا شريعة الحيوان في قواه الشهوانيّة والغضبيّة ولأن أُعجوبة هذا الدهر ذات تجمع ولها قابليّة الجمع فانّها ولادارة هاتين القوّتين تستخدم الصفات الشيطانيّة من قبيل الكذب والخديعة والنفاق والنميمة وسائر الصفات الشيطانيّة الأُخرى فتضاف إلى تلك القوّتين قوّة ثالثة هي الأسس والأُصول في الافساد، وهذه القوى تبقى في حالة تنامي مستمرّ.

وما لم تخضع النفس إلى ارشادات معلّم يرشدها ويهذّبها فانّها في حالة الوصول إلى مرحلة البلوغ فانّ الانسان يستحيل إلى حيوان عجيب وغريب بل يتفوّق على كلّ الحيوانات في بهيميّتها وعلى الشياطين في شيطنتها».[1]

ومن خصائص الأهواء النفسيّة هي الحالة التوسّعيّة في الطلب ونشدان المزيد فهي لا تعرف الاشباع ولا الاكتفاء اضافة إلى قواها التحريكيّة اذ انّها من أقوى العوامل المحرّكة للانسان وبسبب هذه الطاقة المحرّكة للأهواء وقعت مئات الحروب وارتكبت آلاف الجرائم.

ومن الخطأ أن يتصوّر الانسان انّه يمكن اشباع الغريزة من خلال الاستسلام الكامل لها والانقياد إلى طلباتها؛ فالشهوات تماماً كالنيران يزداد أوامرها كلّما

---

١. الأربعون حديثاً: ١٦٧ ـ ١٧٠.

نفخ الانسان فيها؛ إذ ان النفخ لا يزيدها إلّا لهيباً واتقاداً وشرراً.

انّ اتباع المرء كلّ شهوة؛

ليلبس العقل لباس قسوة؛

وكبوة العجب أشد كبوة.

## الأهواء النفسيّة في الآيات والروايات

ذمّ القرآن الكريم الهوى في العديد من آياته؛ قال تعالى:

﴿ وَلاَ تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾.[١]

وقال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ ٱللهِ ﴾.[٢]

وروى الشيخ الكليني رحمه الله بسنده عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام قال:

**قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: يَقُولُ اللهُ: وَعِزَّتی وَجَلالی وَعَظَمَتی وَكِبْرِيائی وَنُـوری وَعُلُوّی وَٱرتِفاعِ مَكانی لا يُؤْثِرُ عَبْدٌ هَواهُ عَلىٰ هَوایَ إلّا شَتَتُّ عَـلَيْهِ أمْـرَهُ، وَلَبَّسْتُ عَلَيْهِ دُنْياهُ، وَشَغَلْتُ قَلْبَهُ بِها، وَلَمْ أُؤْتِهِ مِنْها إلّا مَا قَدَّرْتُ لَهُ. وَعِزَّتی وَجَلالی وَعَظَمَتی وَنُوری وَعُلُوّی وَٱرتِفاعِ مَكانی لايُؤْثِرُ عَبْدٌ هَـوایَ عَـلىٰ هَواهُ إلّا اسْتَحْفَظْتُهُ مَلائِكَتی، وَكَفَّلْتُ السَّماواتِ وَالْأَرَضينَ رِزْقَهُ، وَكُنْتُ لَهُ مِنْ وَراءِ تِجارَةِ كُلِّ تاجِرٍ، وأتَتْهُ الدُّنْيا وَهِیَ راغِمَةٌ.**[٣]

---

١. سورة ص (٣٨): ٢٦. ٢. سورة القصص (٢٨): ٥٠.

٣. الكافي: ٢ / ٣٣٥؛ وسائل الشيعة: ١٥ / ٢٧٩.

ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

**اِحْذَرُوا أهواءَكُم كَما تَحْذَرُونَ أعْداءَكُمْ، فَلَيسَ شَيْءٌ أعْدىٰ لِلرِّجالِ مِنِ اتِّباعِ أهْوائِهِمْ وَحَصائِدِ ألْسِنَتِهِمْ.**[1]

فليكن المرء على حذر دائم فيتعامل مع أهوائه النفسيّة كما يتعامل مع أعدائه الألداء.

ونحن نجد في دعاء أهل البيت عليهم السلام تضرّعاً إلى الله عزّوجلّ في أن لا يغلبهم الهوى.

## نسيان الآخرة

على الانسان أن يدرك حقيقة الحياة الدنيا وأنّه في هذه الحياة عابر سبيل ومسافر متّجه إلى غاية ومقصد وأنّه يسلك طريقاً مليئاًبالمنعطفات والعقبات.

ومن هنا فان طول الأمل هو ما يجعل الانسان يتصوّر أنّه باق في هذه الحياة فيركن إليها ويتوقّف عن الحركة والسير؛ فاذا فعل ذلك تسلّل إليه النوم وتراءت له خيالات الأحلام والرؤى ويتصوّر نفسه وكأنّه في حالة حياة بينما هو راقد راكد جامد؛ فلا ينتبه من رقاده إلّا بعد فوات الأوان ومن هنا جاء في الأثر: الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا!

## اتباع الأهواء سبب الفناء

لا شكّ في أنّ أكبر بلاء يصيب الأُمم والمجتمعات هو ان تخسر طريق الخير

---

١. الكافى: ٢ /٣٣٥؛ وسائل الشيعة: ١٦ /٥٧.

والصلاح وتسلك طرق الأهواء التي تفضي بها إلى السقوط في مستنقعات الشرّ والرذيلة والطغيان والتمرّد على الشرائع الالهـيّة وهـذا مـا يـقودها إلى الهـلاك والدمار والفناء.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما أصاب الأُمم الغابرة من العذاب وما تعرّضت له من مصير بائس كلّ ذلك بسـبب اتـباعها الأهـواء وسـلوكها طـريق الشـهوات وانغماسها في مستنقع الرذيلة، فكان مصيرها في الدنيا الكوارث وفـي الآخـرة العذاب.

﴿ فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّـنْ أَخَـذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَـا كَـانَ ٱللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِن كَانُوا ٱنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.[1]

## مدْيَن

كان قوم مدين يعيشون في رفاه اقتصادي ومع ذلك فقد كانوا يمارسون الخيانة ويتلاعبون بالنظام والأسعار والموازين وينتهكون القيم الأخلاقيّة والعدالة وكانوا ينتقدون كلّ من يحاول إسداء النصح لهم في التزام القيم وانتهاج العدالة، وأرسل الله لهم شعيباً يذكّرهم ويحذّرهم من غضب الله.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ مَا لَكُم مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنْقُصُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِـالْقِسْطِ وَلاَ تَـبْخَسُوا

١. سورة العنكبوت (٢٩): ٤٠.

﴿ ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾.[١]

فتمرّدوا وتمادوا في طغيانهم إلى أن حلّ بهم العذاب ودمّرت الصيحة السماويّة حياتهم:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾.[٢]

ومن قبل ما حلّ بقوم نوح وقوم صالح وقوم لوط وأقوام أُخرى حاق بها العذاب؛ كلّ ذلك لأنّهم عصوا الله وعبدوا الشهوات.

وفرق كبير بين أن يكون الانسان عبداً لله وبين أن يكون عبداً للأهواء.

انّ عبادة الله هي عبادة الحقّ وعبادة الأهواء عبادة للباطل، وانّ عبادة الله انتقال للنور وعبادة الأهواء سقوط في هاوية الظلمات وعبادة الله خلود للانسان في حياة مفعمة بالنعيم وعبادة الأهواء تجرّ الانسان إلى الجحيم.

وتقوم الأهواء النفسيّة بدور تخريبي داخل الحياة الروحيّة للانسان في مقابل ما يقوم به الطاغوت من دور تخريبي في الخارج وكلاهما يجرّان الانسان إلى السقوط، ومن أجل هذا شدّد القرآن الكريم في دعوته الانسان إلى عدم الانصياع للأهواء.

وتمتلك الأهواء قدرات كبيرة على التخريب في داخل النفس وتعدّ خطراً داهماً لأنّها موجودة في داخل الانسان؛ ولهذا فهي تشكل تحدّياً مستمراً في طريق التكامل.

---

١. سورة هود (١١): ٨٤ ـ ٨٥.
٢. سورة هود (١١): ٩٤.

وعندما تجد الأهواء مجالاً مفتوحاً للحركة والتوسّع فانّها تحاول احتلال مركز القيادة المتمثل بالعقل ومن ثمّ القضاء على القانون الأخلاقي المتمثّل بالضمير والسيطرة على القلب الذي هو مركز العاطفة فتلغي دوره تماماً والانقضاض على الارادة الحرّة المستقلّة.

بل تتجاوز على حدود الفطرة وتقوم بتلويثها وتفقدها حالة التألّق والصفاء.

وهكذا تنتهي حياة الانسان بأن يصبح عبداً ذليلاً لشهواته وغرائزه المنحطّة وينسلخ تماماً عن آدميّته فيسقط إلى ما دون المستويات البهيميّة.

وقد جاء في الأحاديث الشريفة:

**«من اتّبع هواه أعماه وأصمّه وأذلّه».**

**«انّك إن أطعت هواك أصمّك وأعماك».**

**«أوصيكم بمجانبة الهوى، فانّ الهوى يدعو إلى العمى وهو الضلال في الآخرة والدنيا».**

**«الشهوات سمومات قاتلات».**

**«رأس الآفات الوله باللذات».**

**«قرين الشهوة مريض النفس معلول العقل».**

**«آفة العقل الهوى».**

**«من لم يملك شهوته لم يملك عقله».**

وعندما يسقط الانسان في أسر الأهواء فانّ هذا يعني سقوطه في أشدّ أنواع الأسر خطراً لأنّه ينفذ إلى كلّ خليّة في وجود الانسان ولأنّه عندما يسقط الجندي

في أسر العدو فانّه يودع في معتقلات الأسر حتّى لا يهرب ولا تمتلك معتقلات الاسر القدرة على النفوذ إلى عقل الأسير وقلبه أبداً؛ بينما الأسير في قبضة الأهواء يعاني من أشدّ أنواع الأسر قسوة فهو ينفذ إلى قلب وعقل وضمير الأسير وتتحوّل الأهواء إلى اله يعبد من دون الله!

وفي المقابل فانّ الذي ينعم بالعبوديّة لله عزّوجلّ فانّه يتمتّع بأرقى مستويات الحريّة حتّى لو كان معتقلاً في قعر السجون لأنّ الانسان المؤمن قد تحرّر من ظلاميّة الأهواء النفسيّة وتحرّر من أسر الحالة الغرائزيّة، فترى عقله متوقّداً بالمعرفة وضميره متألّقاً بالحقّ وقلبه متدفّقاً بالحنان وارادته مخزونة بالقوّة والثبات والصمود:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا ٱمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾.[1]

وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ قوله:

**خير نساء العالمين أربعة: مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد وآسية بنت مزاحم.**[2]

وقد تحمّلت السيّدة آسية بنت مزاحم أشدّ صنوف التعذيب الوحشي باشراف زوجها فرعون مصر؛ لأنّها كانت أوّل من آمن برسالة سيّدنا موسى بن عمران عليه السلام داخل القصر وقد أحدث موقفها أصداءً واسعة؛ فأراد الطاغية أن يجعل من تعذيبها درساً للآخرين. فلم يصدّها طوفان الكفر الذي تعيش فيه، وقد تبرّأت من فرعون

---

١. سورة التحريم (٦٦): ١١.

٢. شرح نهج البلاغه: ابن ابى الحديد: ١٠/ ٢٢٦، الخصال: ١/ ٢٠٦.

ومن سلطنته وطغيانه وكلّ من سانده وآمنت بالله الواحد واتّجهت إليه وسط جولة من التعذيب الوحشي طالبة الخلاص والشهادة في سبيل الله.

وقد بلغ ايمانها بالله واليوم الآخر انها تضرّعت إلى الله سبحانه أن يبني لها بيتاً عنده في الجنّة.

هذه المرأة العظيمة كفرت بالطاغية وآمنت بالله فتحرّرت ارادتها ولم تتهيب ضغط الجوّ الاجتماعي وسلطة القصر الفرعوني وعاشت تجربة الحريّة الحقيقيّة والشعور بالكرامة الانسانيّة فخلّدها الله سبحانه على موقفها البطولي في كتابه الخالد وقرآنه العظيم الذي تتلى آياته آناء الليل وأطراف النهار.

**إلى مَ تجرّ أذيال التصابي وشيبك قد نضا برد الشباب**
**«بلال» الشيب في فوديك نادى بأعلى الصوت حي على الذهاب**
**خلقت من التراب وعن قريب تغيّب تحت أطباق التراب**
**طمعت اقامة في دار ظعن فلا تطمع فرجلك في الركاب**
**وأرخيت الحجاب وسوف يأتي رسول ليس يُحجب بالحجاب**
**أعامر قصرك المرفوع أقصر فانّك ساكن القبر الخراب**

❊ ❊ ❊

**أما تستحي يا أسير الهوى من الله ذي العرش ربّ السما؟**

**[﴿٩﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِذَا نَظَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ تَزْفِرُ عَلَى أَهْلِ مَعْصِيَتِك «سُبْحَانَك مَا عَبَدْنَاك حَقَّ عِبَادَتِك».**

**﴿١٠﴾ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الرَّوْحَانِيِّينَ مِنْ مَلاَئِكَتِك وَأَهْلِ الزُّلْفَةِ عِنْدَك وَحُمَّالِ الْغَيْبِ إِلَى رُسُلِك وَالْمُؤْتَمِنِينَ عَلَى وَحْيِك.**

**﴿١١﴾ وَقَبَائِلِ الْمَلاَئِكَةِ الَّذِينَ اخْتَصَصْتَهُمْ لِنَفْسِك وَأَغْنَيْتَهُمْ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ بِتَقْدِيسِك وَأَسْكَنْتَهُمْ بُطُونَ أَطْبَاقِ سَمَاوَاتِك.**

**﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهَا إِذَا نَزَلَ الْأَمْرُ بِتَمَامِ وَعْدِك].**

جاء في الأحاديث الشريفة عن أميرالمؤمنين عليه السلام قوله:

**إنّ في السماء السابعة حظيرة يقال لها «حظيرة القدس» فيها ملائكة يقال لهم الروحانيّون، فان كان ليلة القدر استأذنوا ربّهم في النزول إلى الدنيا، فيأذن لهم فلا يمرّون على مسجد إلّا ويصلّي فيه، ولا يستقبلون أحداً في طريق إلّا دعوا له فأصابهم منهم بركة».[1]**

---

١. رياض السالكين: ٢/ ٤٣.

**[﴿١٣﴾ وَخُزَّانِ الْمَطَرِ وَزَوَاجِرِ السَّحَابِ.**

**﴿١٤﴾ وَالَّذِي بِصَوْتِ زَجْرِهِ يُسْمَعُ زَجَلُ الرُّعُودِ وَإِذَا سَبَحَتْ بِهِ حَفِيفَةُ السَّحَابِ الْتَمَعَتْ صَوَاعِقُ الْبُرُوقِ.**

**﴿١٥﴾ وَمُشَيِّعِي الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْهَابِطِينَ مَعَ قَطْرِ الْمَطَرِ إِذَا نَزَلَ وَالْقُوَّامِ عَلَى خَزَائِنِ الرِّيَاحِ وَالْمُوَكَّلِينَ بِالْجِبَالِ فَلاَ تَزُولُ.**

**﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ عَرَّفْتَهُمْ مَثَاقِيلَ الْمِيَاهِ وَكَيْلَ مَا تَحْوِيهِ لَوَاعِجُ الأَمْطَارِ وَعَوَالِجُهَا]**

وصلوات وتحيّات على ملائكة الله من خزنة الأمطار وزواجر السحب والغيوم، فتدوي الرعود يسبقها لمعان البروق، وعلى الملائكة التي تتبع نزول الثلوج والبَرَد وخيوط الامطار وعلى خزنة الرياح وحرس سلاسل الجبال وعلى الملائكة التي ترافق السيول ومياه الأودية.

**بروق ورعود ومطر**

ترتسم في هذا المقطع من الدعاء لوحة طبيعيّة أخاذة حتّى أنّ المرء وهو يصغي إلى جمال الأُسلوب يكاد يسمع دوي الرعود ويخطف بصره لمعان البروق ويصغي بخشوع إلى وشوشة المطر، ويقف أمام عنف السيول إذ تنحدر وتدافع

أمواج المياه في بطون الأودية.

يقول القرآن الكريم بشأن المطر وفي آيات كثيرة:

﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ ﴾.[١]

﴿ وَمَا أَنْزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلسَّماءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّماءِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.[٢]

تتعرّض المياه في البحار والمحيطات والمسطحات المائيّة إلى حرارة الشمس فتتبخر أجزاء كبيرة منها ويتصاعد البخار إلى طبقات الجو الباردة فيتكاثف البخار ويشكل غيوماً وسحباً مطرة ثمّ يتحوّل إلى قطرات تنهمر على الأرض فتسقي الحقول وتهتزّ الأرض وقد انبعثت فيها الحياة من جديد.

وهكذا تعود المياه المالحة عذبة في دورة مدهشة فلو انّ المياه في البحار كانت تحتاج إلى حرارة أكثر وأشدّ حتّى تتبخر فماذا سيحصل؟

أو انّ البخار المتصاعد لا يصل إلى طبقات الجوّ العليا حيث تنخفض درجات الحرارة لما أمطرت السماء.

أو أنّ الجاذبيّة لم تكن؛ فهل تنزل قطرات المطر أم تبقى عالقة في الجوّ؟!

ان هذا الانسجام بين عوامل الطبيعة لكي تحدث ظاهرة المطر إنّما هو انعكاس لرحمة الله عزّوجلّ ولطفه.

أليس من العجائب انّ ماء البحر الأُجاج الذي لا يزيد من يشربه إلّا عطشاً

---

١. سورة البقرة (٢): ٢٢.
٢. سورة البقرة (٢): ١٦٤.

يتصاعد بخاره إلى الأعالي ثمّ ينهمر مرّة أُخرى عذباً فراتاً يحيي الأرض بعد موتها؟!

انّ اليابسة في الأرض تشكل نسبة $\frac{٢}{٧}$ وهي تتلقّى مياه المطر العذبة من هذه البحار المالحة إذ تسطع الشمس وترسل حرارتها إلى سطوح البحار والمحيطات فيتصاعد البخار إلى أعالي الجو وتتشكّل الغيوم والسحب وتنشحن الأجواء فتحدث البروق وتدوّي الرعود وينهمر المطر يسقي الزروع وتسيل الأودية وتتدفّق الينابيع والعيون والسواقي والأنهار التي تتّجه نحو البحر وذلك بعد أن تسقي الزروع والحقول والبساتين وتحيي الأرض بعد موتها.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَ ٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَ تَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَ ٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[١]

﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱلْمَاءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ﴾.[٢]

﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنّا عَلىٰ ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ﴾.[٣]

---

١. سورة البقرة (٢): ١٦٤.
٢. سورة الواقعه (٥٦): ٦٨ ـ ٧٠.
٣. سورة المؤمنون (٢٣): ١٨.

**الماء رمز الحياة**

﴿ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّماءِ مَـاءً بِـقَدَرٍ فَأَنشَـرْنَا بِـهِ بَـلْدَةً مَـيْتاً كَـذٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾.[1]

إذا زادت النزولات السماويّة من مطر ووفر وثلج عن الحدّ المطلوب لانقلب نفعها إلى ضرر؛ فلنتصوّر عنف السيول وهي تجتاح المدن وتدمّر القرى، وتتحوّل الشوارع إلى انهار، وتغرق الحقول؛ انّ المطر في هـذه الحـالة يـتحوّل إلى أداة للموت والفناء وليس إلى وسيلة للاحياء.

فالأراضي الصالحة للـزراعـة تسـتحيل إلى مسـتنقعات وأوحـال ولغـرقت الحيوانات.

أمّا إذا تراجعت نسبة هطول الأمطار ونزول الثـلوج فـانّ العكس سـيحدث، سوف تتصحّر الأراضي ويتعذّر سقي الحقول وتتراجع المساحات الخضراء وشيئاً فشيئاً تموت الأرض ويموت من يعيش فوق سطح هذا الكوكب.

لنتأمّل في هذا الحديث المرويّ عن الإمام الباقر عليه السلام:

روى جابر الأنصاري عن أبي جعفر عليه السلام انّه قال:

**إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَمَعَهَا أَرْبَعَةُ أَمْلاكٍ مَلَكٌ يُنَادِي يَا صَاحِبَ الْخَيْرِ أَتِمَّ وَأَبْشِرْ وَمَلَكٌ يُنَادِي يَا صَاحِبَ الشَّرِّ انْزِعْ وَأَقْصِرْ وَمَلَكٌ يُنَادِي أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً وَآتِ مُمْسِكاً تَلَفاً وَمَلَكٌ يَنْضِحُهَا بِالْمَاءِ وَلَوْ لا ذَلِكَ اشْتَعَلَتِ الْأَرْضُ.**

يقول العلم انّ درجة حرارة سطح الشمس تصل إلى ستّة آلاف درجة مئويّة أمّا

---

١. سورة الزخرف (٤٣): ١١.

مركزها فتصل درجة الحرارة فيه إلى سبعين مليون درجة مئويّة؛ انّها ببساطة تنتج وقودها من خلال سلسلة انفجارات هيدروجينيّة، فتتصاعد درجات الحرارة التي تحدث المزيد من الانفجارات النوويّة ما يؤدّي إلى انخفاض عمرها.

اذن هناك ثمّة ظاهرتين وهما تصاعد وتيرة الانفجارات النوويّة والهيدروجينيّة وتصاعد درجات الحرارة وانخفاض عمر الشمس.

وللسيطرة على هاتين الظاهرتين فانّه يلزم وجود المياه للحدّ من تصاعد الحرارة.

ولقد رصدت التلسكوبات أمطاراً تناوبيّة تنهمر على سصح الشمس باستمرار ما دفع الفلكي الامريكي الشهير «دونالد» إلى التصريح في مؤتمر علمي خاصّ بالفلك قائلاً:

ولقد رصدت بقع في وجه الشمس تولّدت نتيجة لانهمار الأمطار الغزيرة باستمرار.

ثمّ عرض بعد ذلك فلما شاهد فيه الحاضرون الأمطار وهي تنهمر على سطح الشمس من على مسافة ثمانين ألف كيلومتر.[١]

**تفسير (نبات كلّ شيء)**

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.[٢]

يرى المفسّرون احتمالين في المقصود من «نبات كلّ شيء» تشرح الآية ذلك

١. زمين وآسمان وستارگان از نظر قرآن (الأرض والسماء والنجوم في ضوء القرآن): ٢٩٧.
٢. سورة الأنعام (٦): ٩٩.

وتضرب مثلاً ببعض النباتات التي تنمو بفضل الماء، فتذكر أنّ الله يخرج بالماء سيقان النباتات الخضر من الأرض ومن تلك الحبّة الصلبة يخلق الساق الأخضر الطري اللطيف الجميل بشكل يعجب الناظرين.

«فأخرجنا به حبّاً خضراً» ومن ذلك الساق الأخضر أخرجنا الحبّ متراصفاً منظماً: «نخرج منه حبّاً متراكباً».

وكذلك بالماء نخرج من النخل طلعاً مغلقاً، ثمّ يتشقّق فتخرج الأعذاق بخيوطها الرفيعة الجميلة تحمل حبّات التمر فتتدلّى من ثقلها «ومن النخل من طلعها قنوان دانية» وكذلك بساتين فيها أنواع الأثمار والفواكه «وجنّات من أعناب والزيتون الرمّان».

ثمّ تشير الآية إلى واحدة أُخرى من روائع الخلق في هذه الأشجار والأثمار فتقول: «مشتبهاً وغير متشابه» ثمّ تركّز الآية من بين مجموع أجزاء الشجرة على ثمرة الشجرة وعلى تركيب الثمرة إذا أثمرت وكذلك على نضج الثمرة إذا نضجت ففيها دلائل على قدرة الله وحكمته للمؤمنين من الناس: «انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه انّ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون».[1]

وقد اشتكى صيّادو السمك في سواحل خليج فارس من تراجع نسبة الصيد وأشاروا إلى أن السبب في ذلك يعود إلى الجفاف وانقطاع المطر معتقدين بأن قطرات الأمطار التي تتساقط فوق سطح البحر هي من وراء ظهور النباتات التي تتغذّى عليها الأسماك.

---

١. تفسير الأمثل: ٢ / ١٧٤.

### السحب في القرآن الكريم

﴿ وَيُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ ﴾.[١]

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾.[٢]

يجدر أن نشير إلى مفردة السحاب في لغة العرب وكما جاء في «لسان العرب» تعني الغيوم الممطرة أو المعصرة وهي عاده ما تبدو بلون داكن.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ ٱلْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ ﴾.[٣]

### البرد في القرآن الكريم

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾.[٤]

بعد أن تتراكم السحب فوقها فوق بعض يتدفّق المطر من بينها ويـنهمر عـلى الجبال والسهول والصحاري «فترى الودق يخرج من خـلاله» وأشـار القـرآن الكريم إلى ظاهرة أُخرى من ظواهر السماء المدهشة وهي ما يتكوّن من جبال السحب حيث تنزل قطرات المطر على شكل ثلج وبرد.

---

١. سورة الرعد (١٣): ١٢.
٢. سورة النور (٢٤): ٤٠.
٣. سورة الأعراف (٧): ٥٧.
٤. سورة النور (٢٤): ٤٣.

ومن يسافر بالطائرة حيث تخترق السحب ويلقي نظرة على الغيوم فانّه سيشاهد تضاريس تشبه تضاريس الأرض حيث ترتفع قمم وتنبسط الأودية وتمتدّ السفوح ومن أجل ذلك يطلق على هذه السحب مصطلح الجبال فهي تشبه إلى حدّ كبير الجبال التي نراها فوق الأرض.

وقد أصبح من الطبيعي أن يطلق علماء الطقس على السحب المتراكمة مصطلح جبال الغيوم خاصّة في العواصف الرعديّة.

والبرد في الأصل مطر على شكل تراكمات جليديّة يحصل أثناء حدوث العواصف الرعديّة.

حيث تقوم الرياح أو التيارات الهوائيّة الصاعدة بحمل قطرات المطر الموجودة في أسفل العاصفة الرعديّة في تيار علوي إلى الأعلى وما أن تصل إلى درجات حراريّة أدنى حتّى تتجمّد متحوّلة إلى كرات جليديّة سرعان ما تجمع حولها بلورات الجليد ويكبر حجمها وتتساقط على الأرض.

وقد يبلغ حجم كرات البرد أو (الحالوب) حداً بحيث تسبّب أضراراً كبيرة خاصّة عند ارتطامها بزجاج النوافذ في البيوت والسيّارات والبيوت الزجاجيّة وقد تحدث احياناً ثقوباً في هيكل الطائرة التي تحلق مخترقة عواصف البرد.

**البروق والرعود في القرآن الكريم**

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَٱلْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن

﴿ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾.[١]

يتطرّق القرآن الكريم إلى آيات التوحيد وعلائم العظمة وأسرار الخلق، وهذه الآيات ترمي إلى تقريب العلاقة بين الانسان وخالقه؛ من خلال الاشارة إلى بعض الظواهر الطبيعيّة بشكل موجز وعميق المعنى لكي يشعّ نور الإيمان في قلوب الناس، فتشير أوّلاً إلى البرق «هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً» فالبرق بشعاعه يبهر العيون من جانب، ويحدث صوتاً مخيفاً وهو الرعد من جانب آخر.

وقد يسبّب أحياناً الحرائق للناس وخاصّة في المناطق الصحراويّة فيبعث الخوف في قلوبهم ومن جانب آخر يتسبّب في هطول الامطار ويروي ظمأ الصحراء ويسقي الزروع ويشعر فيه الناس بالأمل.

وبين هذا الخوف والرجاء تمرّ عليهم لحظات حسّاسة ثم تضيف الآية «وينشئ السحاب الثقال» القادرة على ارواء وسقي الأراضي الزراعيّة.

### فوائد البروق والرعود

انّ ظاهرة البرق في المفهوم العلمي تحدث بسبب اقتراب سحابتين احداهما من الاخرى وهما تحملان شحنات سالبة وموجبة فيتمّ تفريغ الشحنات بين السحابتين وتحدث جراء ذلك شرارة هائلة.

ويحدث مثل ذلك عند اقتراب سلكين أحدهما سالب والآخر موجب وإذا كنّا قريبين منهما فانّنا نسمع صوت الشرارة الكهربائيّة.

وما يحدث في السماء من اندلاع الشرارة الكهربائيّة الهائلة فانّه ينجم عنه

---

١. سورة الرعد (١٣): ١٢ ـ ١٣.

صوت يقطع أوصال الأرض هو صوت الرعد الذي تنخلع لهوله القلوب.

وإذا ما اقتربت سحابة تحمل الشحنة الموجبة من الأرض التي هي مخزن هائل من الشحنات السالبة فستحدث الشرارة الهائلة بينها وبين الأرض وتحدث ما يسمى بالصاعقة التي تحيل الانسان أو الشجرة إلى رماد.

لذا فان أيّ شيء مدبب سوف يعمل عمل رأس السلك السالب، ولهذا يكون الانسان في الصحراء عرضة للصاعقة وعليه أن يلجأ في العواصف الرعديّة إلى منخفض أرضي أو إلى شجرة أو حائط.

وعلى أيّة حال فانّ للبروق التي يسمّيها البعض مزاح الطبيعة فوائد كبيرة وكثيرة كشف العلم عن بعضها وهي:

### ١ ـ السقي

من الطبيعي أن تتولّد من البروق حرارة عالية تصل احياناً إلى خمسة عشرة ألف درجة مئويّة وهذه الحرارة كافية لأن تسخن الهواء المحيط بها فيحدث جرّاء ذلك منخفض جوي يتسبّب في هطول الأمطار، ولهذا السبب نرى هطول الأمطار بغزارة بعد حدوث البروق وهذه في الواقع واحدة من وظائف البرق.

### ٢ ـ التعقيم

ونتيجة للحرارة العالية التي تسبّبها البروق فسوف تزداد نسبة الأُوكسجين في قطرات الماء فالتركيب الكيميائي للماء هو «H2O» ولكن قطرات المطر في العواصف الرعديّة يكون ماؤها «H2O2» الذي يدعىٰ بالماء المؤكسد.

ويعمل ماء المطر كمعقم للأرض في قضائه على الجراثيم ولهذا فهو يستخدم لتطهير الجروح.

وعند نزول المطر ونفوذه في التربة فانّه يقوم بابادة بيوض الحشرات ومكافحة الآفات الزراعيّة ولهذا السبب يقال أنّ السنة التي تكثر فيها الآفات الزراعيّة هي السنة القليلة البروق والرعود.

### ٣ ـ الخصوبة والتسميد

تتفاعل قطرات المطر مع الحرارة العالية للبرق لتنتج حامض الكاربون وعند نفوذها في التربة وتفاعلها مع بعض العناصر فانّها تنتج نوعاً من السماد النباتي وتتصاعد نسبة الخصوبة في الأراضي الزراعيّة.

وتفيد الدراسات العلميّة انّ مقادير ما يتولّد جرّاء البروق من الأسمدة يصل إلى عشرات الملايين من الأطنان سنويّاً وهذا كميّات كبيرة جدّاً.

وعلى أيّة حال نرى من خلال ظاهرة طبيعيّة صغيرة كلّ هذه المنافع والفوائد والبركات، فهي تقوم بالسقي ورشّ المبيدات ومضاعفة خصوبة التربة، فيمكن أن تكون دليلاً ساطعاً لمعرفة الله.

ومن الممكن أن تكون الجملة: «وينشئ السحاب الثقال» لها علاقة بالبرق في تكوين وانشاء السحب المعصرة وتشير الآية الأُخرى إلى صوت الرعود المدوّية الذي يصدر عن البروق «ويسبّح الرعد بحمده» أجل فهذا الصوت المجلجل المهيب الذي تهتزّ له جنبات الطبيعة؛ يضرب به المثل.

وتشارك الرعود البروق في تحقيق هدف واحد ولهما منافع جمّة ويقومان

بالتسبيح لله والحمد له.

وبعبارة أُخرى انّ الرعود هي لسان حال البروق في بيان عظمة الخالق تبارك وتعالى.

والمشهد السماوي أثناء العواصف الرعديّة يمثل لوحة عظيمة التأثير وقصيدة رائعة عميقة المعاني حيث يسبّح الرعد بحمد لله ومعه الملائكة من خشيته وتلهج الملايين والمليارات من قطرات المطر بتنزيه البارئ المصوّر الذي يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء.

أجل كلّ ذرّات هذا الوجود تشتمل على الأسرار، وقد ذهب بعض الفلاسفة إلى أنّ ذرّات هذا العالم تنطوي على قدر من الادراك والعقل والشعور وهي تسبّح الله وتحمده بلغة لا يفقهها الانسان.[1]

أجل انّ كلّ ذرّات وأجزاء هذا العالم الفسيح الذي لا يمكن تصوّر حدوده ومدياته تسبح لله وتحمده ليس بلسان الحال فحسب بل وبلسان المقال أيضاً وليس الرعد هو من يسبّح بحمد الله وحده وإنّما «والملائكة من خيفته» «وان من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم».

---

١. قبيل كتابة هذه السطور كنت مستغرقاً في اغفائة فرأيت نفسي وأهلي على متن صاروخ فضائي انطلق بنا في عمق الفضاء الدامس.

الهواجس تملأ قلبي قد لا نصل إلى القمر وسرعان ما استغرقت وجودي حالة عميقة من التوكّل على الله والتسليم لارادته وبعد لحظات صمت مهيب اذا بي اطل على سطح القمر وتلمست بقدمي وكفّي سطح الكوكب الغارق في الجلال وطفرت الدموع دموع الخشوع والرهبة من عيني يالعظمة الخالق!! ودوّى في أعماقي صوت نافذ، لماذا لا نستشعر عظمة الله في الأرض؟! لماذا لا يمتلكني هذا الاحساس بالخشوع وأنا في الأرض؟! ـ المترجم.

وتشير الآية الكريمة إلى ظاهرة الصواعق «ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء».

وأمام عظمة هذا العالم بآياته وظواهره المذهلة إذا ببعض الناس من الجهّال «وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال».[١] خالق هذا العالم القادر المتعال الذي له ملك السماوات والأرض ربّ العالمين.

## الرياح في القرآن الكريم

وفي مضمار ظاهرة الرياح أشار القرآن الكريم إلى بعض توصيفاتها ووظائفها وما تقوم به من ادوار في الطبيعة وذلك في سورة الأعراف: الآية (٥٧)[٢] والحجر الآية (٢٢)[٣] والكهف الآية (٤٥)[٤] والفرقان الآية (٤٨)[٥] والنمل الآية (٦٣)[٦] والروم الآيتان (٤٦ ـ ٤٨)[٧]

---

١. تفسير الأمثل، ج٧، ص٣٦٢.

٢. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ ٱلْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ كَذٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

٣. ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾.

٤. ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَثَلَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ وَكَانَ ٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً ﴾.

٥. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾.

٦. ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرَاً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلٰهٌ مَّعَ ٱللهِ تَعَالَى ٱللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

٧. ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم ⟵

وفاطر الآية (٩)[١] والجاثيه الآية (٥)[٢].

**آية وتفسير**

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.[٣]

فهي تمضي سابقة للغيث في حركتها، فتجمع القطع المتفرّقة من الغيوم وتربط بينها وتؤلّفها وتركمها على بعضها وتحملها إلى الأرض الجافّة العطشىٰ فتغطي سماءها وتحدث التفاعلات في الجو والارهاصات التي تسبق هطول المطر.

ولذلك نقرأ في المقطع التالي من نصّ الآية «وليذيقكم من رحمته... تشكرون».

أجل ان الرياح هي وسيلة لتكاثر النعم العديدة في مجال الزراعة وهي السبب في الازدهار.

وقد اشير إلى الموضوع الأوّل بجملة «ولنذيقنكم من رحمته» والى الثاني بجملة «ولتجري الفلك بأمره» وإلى الثالث بجملة «ولتبتغوا من فضله».

---

➲ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ * ٱللهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي ٱلسَّماءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾.

١. ﴿ وَٱللهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾.

٢. ﴿ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلسَّماءِ مِن رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

٣. سورة الروم (٣٠): ٤٦.

وما يلفت الانتباه هنا ويدعو إلى التأمّل هو أن جميع هذه البركات منشؤها الحركة، الحركة في ذرّات الهواء في الفضاء والأجواء إلّا انّ الانسان لا يعرف قدر هذه النعمة حتّى يسلبها.

انّ الانسان لا يعرف قدر هذه النعمة في هبوب الرياح حتّى تتوقّف عن الهبوب، ولو توقّفت لأصبحت الحياة في أكثر الحقول خضرة وزهواً كالحياة في أشدّ المطامير والسجون ظلمة وبالعكس فانه عندما يهب نسيم عليل في فضاء السجون والزنازين لأنتعش السجناء وشعروا بأنّهم يعيشون في الهواء الطلق.

ولهذا فان من أشدّ وسائل التعذيب التي تمارس بحقّ السجناء هو اعتقالهم في أماكن لا ينفذ إليها الهواء الطلق.

ولو توقّف هبوب الرياح في المحيطات والبحار لانطفأت الأمواج وعندما تختفي الأمواج فانّ الحياة البحريّة تصبح مهدّدة بالخطر لأنّ الأمواج الثائرة وتلاطم التيارات المائيّة هو الذي يمدّ المياه بالاوكسجين والذي تتنفّسه الكائنات الحيّة.

أجل إذا توقّفت الرياح عن الهبوب فانّ المحيطات والبحار تتحوّل إلى مستنقعات آسنة».[1]

أجل هكذا يفعل هبوب الرياح التي يرسلها الله تبارك وتعالى:

﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي ٱلسَّماءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً** ﴾.[2]

---

١. تفسير الأمثل ١٢/ ٥٥٧ ـ ٥٥٩ ذيل الآية ٤٦ من سورة الروم.

٢. سورة الروم (٣٠): ٤٨.

فيتدفّق المطر غيثاً سخياً يسقي الزروع ويطفئ ظمأ الصحراء ويلطف من حرارة الأجواء.

انّ مثل الرياح كمثل راعي الأغنام المحنّك الذي يجمع ما تناثر من أغنامه في الوادي الفسيح ليقودها باتّجاه معيّن.

وتعمل المنخفضات الجويّة عملها في تحديد اتّجاهات الرياح، ولذا نرى المطر يهطل في اندونيسيا صيفاً وفي لبنان شتاء.

بينما تمطر في الهند صيفاً وشتاءً.

ترىٰ من الذي يرسل هذه الرياح التي تسوق السحب المعصرة هنا وهناك.

﴿ وَهُوَ الَّذى يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَينَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ﴾.[١]

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ ﴾.[٢]

﴿ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرَاً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللهِ تَعَالَى ٱللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.[٣]

﴿ ٱللهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[٤].

ولقد أورد العلّامة المجلسى في موسوعته الكبرى «بحار الأنوار» في الجزئين ٥٥ و٥٦ تفاصيل كثيرة حول السحب والغيوم والبرد والثلوج والصواعق والبروق والرعود والرياح والأعاصير فمن أراد المزيد فليراجعهما.

---

١. سورة الأعراف (٧): ٥٧.
٢. سورة الحجر (١٥): ٢٢.
٣. سورة النمل (٢٧): ٦٣.
٤. سورة الروم (٣٠): ٤٨.

**الجبال في القرآن الكريم**

يزخر القرآن الكريم بالآيات التي تشير إلى الجبال وأثرها في الحياة الطبيعيّة والاجتماعيّة:

﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاَءَ ٱللهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾.[١]

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْجِبالِ أَكْناناً ﴾.[٢]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي ٱلسَّماوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ إِنَّ ٱللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾.[٣]

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾.[٤]

﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾.[٥]

وقد أظهرت الصور الفضائيّة سلاسل الجبال كما لو كانت طرقاً ولعل المقصود من «جدد» الطرق حيث تظهر الجبال وتبدو طرقاً بيضاء أو سوداء بحسب ألوان صخورها.

وللجبال دور في تثبيت الأرض وعدم الميدان بسكانها.

---

١. سورة الأعراف (٧): ٧٤.
٢. سورة النحل (١٦): ٨١.
٣. سورة الحج (٢٢): ١٨.
٤. سورة النمل (٢٧): ٨٨.
٥. سورة فاطر (٣٥): ٢٧.

﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾.[١]

فهي بمثابة الأوتاد.

وان مركز الأرض يموج بالحميم والصهير حيث تستحيل بعض قمم الجبال إلى مداخن للتخفيف من ضغط الحميم والصهير المشتعل والسائل، فتتدفّق الحمم إلى الفضاء.

تذكر بعض الدراسات الجيولوجيّة انّ بركان فيزوف دمّر مدينة «پامپي» بالكامل فقد انهمرت الحمم البركانية على هذه المدينة التاريخيّة (قبل الميلاد) وقتل جميع سكّانها البالغ عددهم زهاء ثلاثين ألف نسمة[٢] حيث دُفنت المدينة تحت الرماد البركاني إلى أن تمّ الكشف عنها فيما بعد.

ولو لا وجود الجبال لاضطربت الأرض بفعل ما يموج في جوفها من الصهارة فتعمل الجبال عمل الأوتاد لتبقى خيمة الأرض مستقرّة؛ كما انّ الجبال تعمل على كسر شوكة الرياح والحدّ من عنفها إذ تشكّل مصدّات كبرى تخفف إلى حدّ كبير من زخمها، فلو لا هذه الجبال لأصبحت الأرض مسرحاً للأعاصير المدمّرة التي

---

١. سورة النبأ (٧٨): ٧.

٢. في عام ١٩٦٤م ضربت الزلازل جنوب «آلاسكا» حيث اهتزّت الأرض حوالي سبع دقائق وارتفعت وانخفضت كتل أرضيّة بمقدار ١٧ متراً وتسبّب الزلزال في إحداث موجات ارتداديّة «تسونامي» قضت على حياة ١١٥ شخصاً يشكلون معظم ضحايا الزلزال.
وفي اليابان دمّر زلزال عام ١٩٢٣ م ٥٧٥٠٠٠ منزل.
وفي عام ١٩٧٥ تنبأ علماء الصين بزلزال مدينة «هايشنغ» قبل ساعتين من وقوعه وتمّ انقاذ أهلها إذ طلب منهم مغادرتها فوراً حيث دمّرها الزلزال تماماً.
الأرض المتغيّرة، كيث لاي ص٢٦ ـ ٢٧ ـ المترجم.

تقتلع الأشجار وتجتثها من الجذور وتعصف بالحيوانات وتطيح بالمنازل ولأصبحت الحياة شاقّة بل ومستحيلة.

﴿ وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾.[1]

**دور الجبال في حماية الأرض**

ثمّة عوامل أساسيّة تعمل على تدمير الأرض:

مياه البحار التي تتحوّل بفعل حرارة الشمس إلى بخار يصاعد إلى الفضاء لتتحوّل في الشتاء إلى ثلوج وأمطار فتجتمع المياه في خزانات الطبيعة في قلب التلال وعلى شكل ثلوج تكلل قمم وسفوح الجبال.

وفي فصل الصيف والربيع تذوب وتجري في الأودية وينفذ بعضها إلى أعماق الأرض في خزانات الطبيعة على شكل قنوات جوفية وينابيع متدفقة؛ فيما يتحوّل قسم منها وبفعل الحرارة العالية إلى أبخرة تهدّد الأرض بالانفجار.

تبلغ سرعة الكرة الأرضيّة في دورانها حول الشمس ١٨٠٠٠٠ كم في الساعة وتدور حول نفسها بسرعة تبلغ ١٦٨٠ كم في الساعة!

وبشكل عام فانّ للأرض أربعة عشرة حركة مختلفة هي الأكثر تأثيراً في اضطرابها وتلاشيها.

إذا تضغط الغازات والأبخرة الموجودة في أعماق الأرض بشدّة ومع ذلك فقد مرّت آلاف السنين والأرض وهي تقاوم هذه التحدّيات مستقرّة في مدارها لماذا؟! لأن خالق الأرض جعلها في تضاريس مختلفة رخوة في مكان وصلبة

---

١. سورة الغاشيه (٨٨): ١٩.

في مكان؛ فقد تكوّنت الجبال المتنوّعة من صخور قاسية ضاربة في عمق الأرض كالاوتاد فهناك جبال بركانية وجبال قبيبة وجبال انكساريّة وجبال التوائية.

وتتّصل الجبال فيما بينها في شبكة عميقة تشكل هيكلاً يحفظ الأرض من التلاشي، وهو هيكل يشبه الهيكل العظمي في جسم الانسان، ولو لا وجود الجبال لساخت الأرض وتلاشت، أفلا يدلّ هذا على عظمة الخالق تبارك وتعالى وعلمه اللانهائي وحكمته المطلقة؟!

وتعمل الجبال عمل المرساة في سفينة الكرة الأرضيّة التي تسبح في فضاء يبدو وكأنّه لا نهائي.

كما تعمل على صد الرياح القادمة من المحيط المنجمد الشمالي والتخفيف من شدّتها وعنفها، ونحن نشاهد كيف تهب الرياح العاتية في الصحاري والفلوات لعدم وجود جبال تخفف من حدّتها.

كما تعمل على حبس الغيوم لتهطل في الوديان فتجتمع مياه الأمطار في خزانات الطبيعة.

وتقوم الجبال بدور أساسي في تلطيف حرارة الجو وكسرة حدّة الحرارة مكوّنة مصايف معتدلة الطقس والمناخ.

كما انّها تشتمل على صخور غاية في الروعة والجمال ومنجم لاستخراج الأحجار الكريمة التي تعدّ ثروة كبرى!

فهل بعد هذا يجرؤ المرء فيقول انّ هذا العالم وجد من دون خالق عليم وقادر حكيم؟![1]

---

١. نشانه هايي از او (اشارات منه): ٢/ ١١.

«نظرة واحدة يلقيها المرء على الكون الخارجي وأحواله، على النجوم الثابتة في سعة الوجود والكواكب السابحة في آفاق الأبد، وعلى الشمس المشرقة والسحاب العارض والريح ذات الزفيف، وعلى الجبال تشمخ والبحار تقصفها القواصف أو يسجو على صفحاتها الليل، تكفيه لأن يثق بأن للكون قانوناً وأن لأحواله ناموساً واقعاً كلّ منها تحت الحواس وقائماً بكلّ مقياس.

ونظرة واحدة يلقيها المرء على ما يحيط به من الطبيعة القريبة وأحوالها على الصيف إذ يشتدّ حرّه وتسكن ريحه، والخريف إذ يكتئب غابه وتتناوح أهواؤه، وتعبس فيه أقطار السماء، والشتاء إذ ترعد أجواؤه وتضطرب بالبروق، وتندفع أمطاره عباباً يزحم عباباً وتختلط غيومه حتّى لتخفي عليك معالم الأرض والسماء والربيع يبسط لك الدنيا آفاقاً نديّة وأنهاراً غنيّة وخصباً ورواءً وجناناً ذات ألوان؛ كافية لأن تجعله يثق بأن لهذه الطبيعة قانوناً وأن لأحوالها ناموساً واقعاً كلّ منهما تحت الحواس وقائماً بكلّ مقياس.

ونظرة واحدة يلقيها المرء على هذي وذاك، كافية لتدلّه على انّ هذه النواميس والقوانين صادقة ثابتة عادلة، يقوم منطقها الصارم بهذه الصفات وفيها وحدها ما يبرر وجود هذا الكون العظيم».

[﴿١٧﴾ وَرُسُلِك مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ بِمَكْرُوهِ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْبَلاَءِ وَمَحْبُوبِ الرَّخَاءِ.

﴿١٨﴾ وَالسَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالْحَفَظَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ وَمَلَكِ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِهِ وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَرُومَانَ فَتَّانِ الْقُبُورِ وَالطَّائِفِينَ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَمَالِك وَالْخَزَنَةِ وَرِضْوَانَ وَسَدَنَةِ الْجِنَانِ]

وصلاة على الرسل من الملائكة الذين يهبطون إلى سكّان الأرض وأهلها ببلاء ورخاء وضرّاء وسرّاء وعلى السفراء الأبرار والحفظة الكتاب الكرام وعلى ملك الموت وأعوانه وعلى الملكين منكر ونكير وعلى رومان فتّان القبور وعلى الذين يطوفون بالبيت المعمور وعلى مالك وخزنة النيران وعلى رضوان وسدنة الجنان.

## صنوف الملائكة في القرآن الكريم

### ١ ـ ملائكة البلاء والعذاب

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.[1]

---

١. سورة العنكبوت (٢٩): ٣١.

حلّوا ضيوفاً على إبراهيم الخليل عليه السلام بشّروه وأخبروه بأنّهم قد أمروا بتدمير القرية والمنطقة التي يسكنها قوم لوط.

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ ﴾.[١]

فأخبروه بانقاذ لوط وأسرته باستثناء امرأته التي اصطفت مع قومها ضدّ النبيّ صلى الله عليه وآله.

وهكذا غادروا ليدخلوا القرية التي يعيش فيها لوط حيث حلّوا ضيوفاً عليه.

﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ ﴾.[٢]

خاف لوط النبيّ وشعر بالاحراج فقد يتسبّب قومه بفضيحة لضيوفه، وهنا كشف الضيوف عن هويّتهم وظهر انّهم رسل الله عزّوجلّ لتدمير بيوت القرية على أهلها وطلبوا منه مغادرة هذه القرية التي سيحلّ بها العذاب الالهي.

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾.[٣]

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.[٤]

---

١. سورة العنكبوت (٢٩): ٣٢.
٢. سورة العنكبوت (٢٩): ٣٣.
٣. سورة العنكبوت (٢٩): ٣٤.
٤. سورة العنكبوت (٢٩): ٣٥.

### ٢ ـ ملائكة الرحمة

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُواْ بَشَّرْنَـٰكَ بِـالْحَقِّ فَـلَا تَكُـن مِّـنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ﴾.[١]

في ضوء ما ورد من آيات القرآن الكريم والروايات الصحيحة يستفاد بأنّ للملائكة دور في استمرار الحياة الإنسانيّة وبدون الملائكة فانّ حياة البشر تتعرّض للاختلال وتصبح الحياة على الأرض مهدّدة بخطر الزوال، وأنّ البشر مدينون للملائكة بما ينعمون به من الأمن والحماية من سهام البلاء.

### ٣ ـ الملائكة السفراء

وقد وردت الاشارة إلى الملائكة السفرة في سورة عبس في قوله تعالى:

﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَـرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.[٢]

ودرجاتهم عالية بأيديهم الصحف المباركة المطهّرة.

### ٤ ـ الملائكة الكتاب والحرس

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ * كِراماً كاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَاتَفْعَلُونَ﴾.[٣]

---

١. سورة الحجر (١٥): ٥١ ـ ٥٥.
٢. سورة عبس (٨٠): ١١ ـ ١٦.
٣. سورة الانفطار (٨٢): ١٠ ـ ١٢.

انّ وجود كاتبين من الملائكة قد يردع الانسان عن ارتكاب الذنوب حياءً ورهبة، فاذا استشعر الانسان وجودهما وأنّهما يكتبان كلّ ما يفعله له وعليه فان ذلك يسهم في تنمية الخير في نفسه وردعه عن ارتكاب الشر.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ * مايَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلّا لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتيدٌ﴾.[١]

وقد جاء في الروايات:

**عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْمَلَكَيْنِ هَلْ يَعْلَمَانِ بِالذَّنْبِ إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَفْعَلَهُ أَوِ الْحَسَنَةِ؟ فَقَالَ: رِيحُ الْكَنِيفِ وَ رِيحُ الطِّيبِ سَوَاءٌ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا هَمَّ بِالْحَسَنَةِ خَرَجَ نَفَسُهُ طَيِّبَ الرِّيحِ فَقَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ لِصَاحِبِ الشِّمَالِ: قُمْ فَإِنَّهُ قَدْ هَمَّ بِالْحَسَنَةِ فَإِذَا فَعَلَهَا كَانَ لِسَانُهُ قَلَمَهُ وَرِيقُهُ مِدَادَهُ فَأَثْبَتَهَا لَهُ و إِذَا هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ خَرَجَ نَفَسُهُ مُنْتِنَ الرِّيحِ فَيَقُولُ صَاحِبُ الشِّمَالِ لِصَاحِبِ الْيَمِينِ: قِفْ فَإِنَّهُ قَدْ هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ فَإِذَا هُوَ فَعَلَهَا كَانَ لِسَانُهُ قَلَمَهُ وَرِيقُهُ مِدَادَهُ فَأَثْبَتَهَا عَلَيْه.**[٢]

## ٥ ـ ملائكة الموت

﴿اَللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حينَ مَوْتِها وَ اَلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ اَلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا اَلْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ اَلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[٣]

---

١. سورة ق (٥٠): ١٧ ـ ١٨.
٢. الكافي: ٢/٤٩٢ حديث ٣.
٣. سورة الزمر (٣٩): ٤٢.

وفي آية أُخرى ينسب توفي الأنفس إلى ملك الموت:

﴿ قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾.[١]

وفي آية أُخرى تتوفّى الأنفس رسل الله من الملائكة:

﴿ حَتّى إذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لايُفَرِّطُونَ ﴾.[٢]

وندرك من خلال دراسة الأفعال الالهيّة انّ الفاعل هو الله عزّوجلّ وأنّ للأفعال درجات ومراتب وأنّ الله أوكل إلى بعض مخلوقاته القيام بها، وهـذا مـا تـؤيّده الأخبار والروايات:

قال الإمام الصادق عليه السلام:

**قِيلَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ عليه السلام كَيْفَ تَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ وَبَعْضُهَا فِي الْمَغْرِبِ وَبَعْضُهَا فِي الْمَشْرِقِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ: أَدْعُوهَا فَتُجِيبُنِي، قَالَ: وَقَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ عليه السلام: إِنَّ الدُّنْيَا بَيْنَ يَدَيَّ كَالْقَصْعَةِ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ يَتَنَاوَلُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَالدُّنْيَا عِنْدِي كَالدِّرْهَمِ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ شَاءَ.**[٣]

**وَسُئِلَ الصَّادِقُ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وَعَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ وَعَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ وَالَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ وَعَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا ﴾ وَعَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَوْ تَرىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ ﴾ وَقَدْ يَمُوتُ**

---

١. سورة السجده (٣٢): ١١.
٢. سورة الأنعام (٦): ٦١.
٣. بحار الأنوار، ج٦، ص١٤٤.

**فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ فِي جَمِيعِ الْآفَاقِ مَا لا يُحْصِيهِ لاإِلٰهَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فَكَيْفَ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَاناً مِنَ الْمَلائِكَةِ يَقْبِضُونَ الْأَرْوَاحَ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ لَهُ أَعْوَانٌ مِنَ الْإِنْسِ يَبْعَثُهُمْ فِي حَوَائِجِهِمْ فَتَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ وَيَتَوَفَّاهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ مِنَ الْمَلائِكَةِ مَعَ مَا يَقْبِضُ هُوَ وَيَتَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ.**[١]

وهذه الروايه توضح كيفيّة قبض الأرواح فهناك ملك الموت الذي لديه أعوان كرئيس الشرطة الذي يقود عناصره ورجاله في مهام معينة.

### ٦ ـ ملائكة المساءلة

جاءت في نصّ الدعاء الاشارة إلى ملائكة المساءلة: «**و مُنْكَرٍ و نَكيرٍ، و رُومانَ فَتّانِ القُبُورِ**» ومسألة الحساب في القبر والأسئلة التي يتعرّض لها الانسان بعد الموت.

الله سبحانه وتعالى يثبّت عباده المؤمنين في الاجابة:

﴿**يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ**﴾.[٢]

وقد جاء في الحديث الشريف عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى:

﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ **قَالَ: فِي الْقَبْرِ إِذَا سُئِلَ الْمَوْتَى.**

انّ سؤال القبر حقّ والايمان به واجب على المؤمن وهو من مسلّمات الدين.

---

١. بحار الأنوار، ج٦، ص١٤٤.
٢. سورة إبراهيم (١٤): ٢٧.

ويعني التثبيت الثبات على العقيدة في الدنيا وفي عالم البرزخ.

جاء في التفسير:

نقرأ في روايات متعدّدة انّ الله يثبّت الانسان على خطّ الايمان عندما يواجه أسئلة الملائكة في القبر.

**قال الصادق عليه السلام: إِنَّ الشَّيْطانَ لَيأْتِي الرَّجُلَ مِنْ اَوْلِيائِنا عِنْدَ مُوتِهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمالِهِ لِيُضِلَّهُ عَمّا هُوَ عَلَيهِ، فَيأبىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ذَلِكَ وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾.**[1]

وأكثر المفسّرين يميلون إلى هذا التفسير طبقاً لما نقله المفسّر الكبير العلّامة الطبرسي في مجمع البيان ولعلّ ذلك يعود إلى أنّ الآخرة ليست محلّاً للأعمال ولا للانحراف، بل هي محلّ الحصول على النتائج فحسب؛ ولكن عند وقوع الموت وحتّى في (عالم) البرزخ (الذي هو عالم بين الدنيا والآخرة) قد تحصل بعض الهفوات، فهنا يكون اللطف الالهي عاملاً حفظ وثبات الانسان.

وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:

**إِذَا أُقْبِرَ الْمَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا مُنْكَرٌ وَلِلْآخَرِ نَكِير.**[2]

أمّا رومان الفتّان فانّه ملك يدخل القبر قبل منكر ونكير وجهه يتلألأ كالشمس.

---

١. بحار الأنوار: ٦ / ١٨٨؛ من لايحضره الفقيه: ١ / ١٣٤.

٢. بحارالأنوار: ٦ / ٢٧٦.

يدخل على الميّت ثمّ يقول له: اكتب ما عملت من حسنة وسيّئة، فيقول: بأيّ شيء أكتب؟ أين قلمي ودواتي ومدادي؟ فيقول: ريقك مدادك وقلمك اصبعك.

فيقول: على أيّ شيء أكتب وليست معي صحيفة؟

فيقول: صحيفتك كفنك فاكتب!

فيكتب ما عمله في الدنيا خيراً، وإذا بلغ سيّئاته يستحيي منه فيقول له الملك: يا خاطئ ما تستحي من خالقك حين عملته في الدنيا فتستحي الآن!

فيرفع الملك العمود ليضربه، فيقول: ارفع عنّي حتّى اكتبها!

فيكتب فيها جميع حسناته وسيّئاته ثمّ يأمره (الملك) أن يطوي ويختم، فيقول: بأي شيء اختم؟ وليس معي خاتم؟ فيقول: اختمها بظفرك وعلّقها في عنقك إلى يوم القيامة كما قال الله تعالى:

﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾.[1]

والفتّان صيغة المبالغة في الفتنة والفتنة الامتحان والاختبار.

وأصل الفتنة للفضة وهي سبكها بالنار لتمييز الجيد منها من الرديء.

وسؤال منكر ونكير وفتنة القبر وعذابه وثوابه حقّ يجب الايمان به نظراً لتواتر الأخبار، بل هو من ضروريّات الدين الاسلامي الحنيف.

وفي هذا الموضوع ورد عن الامام زين العابدين عليه السلام قوله:

**... وَ كأنَ قَدْ اَوْفَيْتَ أَجَلَكَ وَ قَبَضَ الْمَلَكُ رُوحَكَ وَصِرْتَ إِلَى مَنْزِلٍ وَحيداً، فَرَدَّ**

---

١. سورة الإسراء (١٧): ١٣.

**اِلَيْكَ فِيهِ رُوحَكَ، وَ اقْتَحَمَ عَلَيْكَ فِيهِ مَلَكَاكَ مُنْكَرٌ وَ نَكِيرٌ لِمُساءَلَتِكَ وَ شَدِيدِ امْتِحانِكَ اَلاَ وَ إِنَّ أَوَّلَ ما يَسْاَلانِكَ عَنْ رَبِّكَ الَّذي كُنْتُ تَعْبُدُه، وَ عَنْ نَبِيِّكَ الَّذي اُرْسِلَ اِلَيْكَ وَ عَنْ دِينِكَ الَّذي كُنْتَ تَدِينُ بِهِ وَ عَنْ كِتابِكَ الَّذي كُنْتَ تَتْلُوهُ وَ عَنْ إِمامِكَ الَّذي كُنْتَ تَتَوَلاّهُ. ثُمَّ عَنْ عُمُرِكَ فيما أَفْنَيْتَهُ، وَ مالِكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ وَ فيما أَتْلَفْتَهُ، فَخُذْ حِذْرَكَ وَ انْظُرْ لِنَفْسِكَ وَ أَعِدْ لِلْجَوابِ قَبْلَ الإِمْتِحانِ وَ المُسَاءَلَةِ وَ الأخْتِبارِ...**.[1]

ولمزيد من التفصيل في هذا المضمار يمكن مراجعة الكتاب الجليل «الكافي» الجزء الثالث، باب سؤال وجواب القبر وكذا بحار الأنوار الجزء السادس باب أهوال البرزخ والقبر والكتاب القيم «علم اليقين» للفيض الكاشاني الجزء الثاني.

## ٧ ـ خزنة النيران وسدنة الجنان

يقول الإمام السجّاد عليه السلام في هذا المقطع من الدعاء:

**«وَالطّائِفينَ بِالبَيتِ المَعْمُورِ وَ مالِكٍ وَالْخَزَنَةِ وَ رِضْوانَ وَ سَدَنَةِ الْجِنانِ»**.

حيث يصلّي على الملائكة الذي يطوفون بالبيت المعمور والملائكة من خزنة الجحيم والملائكه من سدنة الجنان.

يذكر القرآن الكريم الملائكة على أنّهم من مخلوقات الله عزّوجلّ جعلهم وسائط بينه وبين العالم المشهود؛ وكلهم بأُمور تكوينيّة وتشريعية في هذا العالم وهم عباد مكرمون لا يعصون الله فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

قال تعالى:

---

١. بحار الأنوار: ٦ / ٢٢٣؛ الأمالى، شيخ الصدوق: ٥٠٣.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.[١]

كما جعل منهم رسلاً يحملون رسالات الله سبحانه إلى أنبيائه، وبعضهم يتوفّى الأنفس التي أدركها الأجل، وهم على درجات مختلفة ومستويات ومقامات.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾.[٢]

وقال في جبريل:

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.[٣]

وهم يصدّقون الله في كلّ ما يقوله سبحانه:

﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾.[٤]

والملائكة ينفذون الأوامر الالهيّة ويجسّدون قدرة الله المطلقة في الوجود:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ﴾.[٥]

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِ﴾.[٦]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِ﴾.[٧]

يقول الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام بشأن الملائكة:

**مِنْ مَلائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ**

---

١. سورة الأنبياء (٢١): ٢٧.
٢. سورة الصافّات (٣٧): ١٦٤.
٣. سورة التكوير (٨١): ٢١.
٤. سورة سبأ (٣٤): ٢٣.
٥. سورة فاطر (٣٥): ٤٤.
٦. سورة يوسف (١٢): ٢١.
٧. سورة الطلاق (٦٥): ٣.

**وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلابَ وَلَمْ يُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ الْمَنُونِ وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.**[١]

## أين يقع البيت المعمور ؟

يشير الدعاء إلى الملائكة الذين يطوفون بالبيت المعمور، وهو مكان رفيع اقسم به الله تبارك وتعالى في قوله:

**﴿وَ ٱلطُّورِ * وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ * فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَ ٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾.**[٢]

وقد ورد في التفسير انّ البيت المعمور هو في السماء حيال الكعبة يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ثمّ لا يعودون إليه.[٣]

وجاء في الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

**لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إِلَى السَّمَاءِ فَبَلَغَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ وَحَضَرَتِ الصَّلاةُ فَأَذَّنَ جَبْرَئِيلُ وَأَقَامَ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَصَفَّ الْمَلائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ خَلْفَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.**[٤]

وجاء في بحار الأنوار:

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.
٢. سورة الطور (٥٢): ١ ـ ٤.
٣. تفسير نور الثقلين: ٥ /١٣٦.
٤. ينابيع المودة: ١ /٢٤٣؛ شرح احقاق الحق: ٢ /٣٠٠.

إِنَّ ابْنَ الْكَوَّاءِ سَأَلَ أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ؟ قَالَ: وَيْلَكَ ذَلِكَ الضُّرَاحُ بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ حِيَالَ الْكَعْبَةِ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.[١]

## علّة الطواف بالبيت المعمور

وجاء في كتب الحديث:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَينعليه السلام اَنَّ رَجُلاً سَاَلَهُ ما بَدْءُ هٰذَا الطَّوافِ بِهَذَا البَيْتِ لِمَ كانَ وَ حَيْثُ كانَ؟ فَقَالَعليه السلام: اَمَّا بَدْءُ هَذَا الطَّوَافِ بِهَذَا الْبَيْتِ فَاِنَّ الله قالَ لِلْمَلائِكَةِ: ﴿اِنّي جاعِلٌ في الأرضِ خَلِيفَةً﴾ فَقالَتْ الْمَلائِكَةُ: اَیْ رَبِّ أَخَليفَةً مِنْ غَيْرِنا مِمَّنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكَ الدِّماءَ وَ يَتَحاسَدُونَ وَ يَتَباغَضُونَ وَ يَتَباغَونَ اَیْ رَبِّ اجْعَلْ ذٰلِكَ الخَلِيفَةَ مَنّا فَنَحْنُ لَانُفْسِدُ فِيها وَ لانَسْفِكُ الدِّماءَ وَ لانَتَباغَضُ وَ لانَتَحاسَدُ وَ لانَتَباغَى و ﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ﴾ وَ نُطيعُكَ وَ لانَعْصِيكَ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿اِنِّى أَعْلَمُ ما لاتَعْلَمُونَ﴾[٢] قالَ فَظَنَّتِ الْمَلائِكَةُ أَنَّ ما قالُوا رَدٌّ عَلىٰ رَبِّهِم عَزَّوَجَلَّ وَ أَنَّهُ قَدْ غَضَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْلِهِم فَلَاذُوا بِالْعَرشِ ثَلاثَ ساعاتٍ، فَنَظَرَ اللهُ اِلَيْهِمْ فَنَزَلَتِ الرَّحْمَةُ عَلَيْهِمْ فَوَضَعَ اللهُ سُبْحانَهُ تَحْتَ الْعَرْشِ بَيْتًا عَلَى اَرْبَعِ اَساطِينَ مِنْ زَبَرْجَدٍ وَ غَشّاهُنَّ بِياقُوتَةٍ حَمْراءَ وَ سُمِّيَ الْبَيْتَ الضُّراحَ ثُمَّ قالَ اللهُ لِلْمَلائِكَةِ: طُوفُوا بِهَذَا الْبَيْتَ وَ دَعُوا الْعَرْشَ فَطافَتِ المَلائِكَةُ بِالْبَيْتِ وَ تَرَكُوا الْعَرْشَ فَصارَ اَهْوَنَ عَلَيْهِمْ وَ هُوَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ الَّذي ذَكَرَهُ اللهُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ سَبْعُونَ اَلْفَ مَلَكٍ

١. بحار الأنوار: ٥ / ٣٣٠.
٢ ـ بقره (٢): ٣٠.

**لايَعُودُونَ فِيهِ أَبداً ثُمَّ إنَّ اللهَ تَعالىٰ بَعَثَ مَلائِكَتَهُ فَقالَ ابْنُوا لي بَيْتاً في الْأَرضِ بِمِثالِهِ وَ قَدْرِهِ فَاَمَرَ اللهُ سُبْحانَهُ مَنْ في الأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يَطُوفُوا بِهَذَا الْبَيْتِ كَما يَطُوفُ أَهْلُ السَّماءِ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ.**[1]

## عظمة البيت المعمور

هذا البيت العظيم الآهل بالملائكة المعمور بهم نزل عليه القرآن الكريم في ليلة القدر.

جاء في الحديث:

**عَنْ حَفْصٍ قَالَ: قُلْتُ لِلصَّادِقِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ كَيْفَ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَإِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي مُدَّةِ عِشْرِينَ سَنَةً أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ؟ فَقَالَ عليه السلام: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ثُمَّ أُنْزِلَ مِنَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فِي مُدَّةِ عِشْرِينَ سَنَةً».**[2]

وهناك دعاء يعرف بدعاء أهل البيت المعمور وهم الملائكة حيث يطوفون به ويلهجون بكلمات هذا الدعاء، وقد ورد في سيرة أهل البيت عليهم السلام أنّ الأئمّة كانوا يدعون به وخاصّة الامام السجّاد عليه السلام حيث كان يدعو به في صلاته وهذه الكلمات نزلت من كنوز العرش الالهي على رسول الله صلى الله عليه وآله اكراماً له وهدية له أتحف الله تبارك وتعالى رسوله محمّد صلى الله عليه وآله حيث جاء بها جبرئيل عليه السلام:

**يا مَنْ اَظْهَرَ الجَمِيلَ وَ سَتَرَ القَبيحَ يا مَنْ لَمْ يُواخِذْ بِالْجَرِيرَةِ وَ لَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ،**

---

١. بحار الأنوار: ٥٥ / ٥٩.
٢. بحار الأنوار: ٩٤ / ١١.

**يا عَظيمَ الْعَفْوِ، يا حَسَنَ التَّجاوُزِ، يا باسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ، يا صاحِبَ كُلِّ حاجَةٍ، يا واسِعَ المَغْفِرَةِ، يا مُفَرِّجَ كُلِّ كُرْبَةٍ، يا مُقيلَ الْعَثَراتِ، يا كَريمَ الصَّفْحِ، يا عَظِيمَ الْمَنِّ، يا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقاقِها، يا رَبّاهُ يا سَيِّداهُ يا غايَةَ رَغْبَتاهُ، أَسْاَلُكَ بِكَ وَ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله و عَلِيٍّ وَ فاطِمَةَ وَ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ وَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّد وَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَ عَلِيِّ بْنِ مُوسىٰ وَ مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيٍّ وَ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّد وَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَ الْقائِمِ الْمَهْدِيِّ الْأَئِمَّةِ الهادِيةِ عليهم السلام أَنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَ أَسْاَلُكَ يا اللهُ يا اللهُ أَلاّ تُشَوِّهَ خَلْقي بِالنّارِ وَ أَنْ تَفْعَلَ بِي ما أَنْتَ أَهْلُهُ.**[1]

## الملائكة وسائط في التدبير

الملائكة وسائط بينه تعالى وبين الأشياء بدءً وعوداً على ما يعطيه القرآن الكريم، بمعنى انّهم أسباب للحوادث فوق الأسباب الماديّة في العالم المشهود قبل حلول الموت والانتقال إلى النشأة الآخرة وبعده.

أمّا في العودة أعني حال ظهور آيات الموت وقبض الروح واجراء السؤال وثواب القبر وعذابه واماتة الكلّ بنفخ الصور واحيائهم بذلك والحشر واعطاء الكتاب ووضع الموازين والحساب والسوق إلى الجنّة والنار فوساطتهم فيها غني عن البيان، والآيات الدالّة على ذلك كثيرة لا حاجة لايرادها والأخبار المأثورة فيها عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام فوق حدّ الاحصاء.

وكذا وساطتهم في مرحلة التشريع من النزول بالوحي ودفع الشياطين عن

---

١. بحار الأنوار: ٨٣ / ٧٥؛ المصباح، كفعمى: ٢٩.

المداخلة فيه وتسديد النبي وتأييد المؤمنين وتطهيرهم بالاستغفار.

وأمّا وساطتهم في تدبير الأُمور في هذه النشأة فيدلّ عليها ما في مفتتح هذه السورة من اطلاق قوله:

﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا * وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا * وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا * فَالسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا * فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾.[١]

بما تقدّم من البيان.

وكذا قوله تعالى:

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾.[٢]

الظاهر باطلاقه ـ على ما تقدّم من تفسيره ـ في انّهم خلقوا وشأنهم أن يتوسّطوا بينه تعالى وبين خلقه ويرسلوا لانفاذ امره الذي يستفاد من قوله تعالى في صفتهم:

﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.[٣]

وقوله:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[٤]

وفي جعل الجناح لهم إشارة لذلك.

فلا شغل للملائكة إلّا التوسط بينه تعالى وبين خلقه بانفاذ أمره فيهم وليس ذلك على سبيل الاتّفاق بأن يجري الله سبحانه أمراً بأيديهم ثمّ يجري أمراً لا بتوسيطهم فلا اختلاف ولا تخلف في سنّته تعالى:

---

١. النازعات (٧٩): ١ ـ ٥.
٢. سورة فاطر (٣٥): ١.
٣. سورة الأنبياء (٢١): ٢٧.
٤. سورة النحل (١٦): ٥٠.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[١]

وقال تعالى:

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً﴾.[٢]

ومن الوساطة كون بعضهم فوق بعض مقاماً وأمر العالي منهم السافل بشيء من التدبير، فانّه في الحقيقة توسط من المتبوع بينه تعالى وبين تابعه في ايصال أمر الله تعالى كتوسط ملك الموت في أمر بعض أعوانه بقبض روح من الأرواح، قال تعالى حاكياً عن الملائكة:

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾.[٣]

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.[٤]

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.[٥]

ولا ينافي هذا الذي ذكر من توسطهم بينه وتعالى وبين الحوادث أعني كونهم أسباباً تستند إليها الحوادث استناد الحوادث إلى أسبابها القريبة المادية فانّ السببيّة طوليّة لا عرضيّة، أي أنّ السبب القريب سبب للحادث والسبب البعيد سبب للسبب.[٦]

---

١. سورة هود (١١): ٥٦.
٢. سورة فاطر (٣٥): ٤٣.
٣. سورة الصافّات (٣٧): ١٦٤.
٤. سورة التكوير (٨١): ٢١.
٥. سورة سبأ (٣٤): ٢٣.
٦. تفسير الميزان: ٢٠/ ١٨٢ ـ ١٨٣، ذيل آية ١ ـ ٥ من سورة النازعات.

**مالك وخزنة النيران**

مالك مَلَك الهي مشتق اسمه من المُلك والقدرة والسلطة يؤيّد ذلك ما ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله:

**اَعَلِمْتُمْ اَنَّ مالِكاً اِذا غَضِبَ عَلَى النّارِ حَطَمَ بَعْضُها بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وَ اِذا زَجَرَها تَوَثَّبَتْ بَيْنَ اَبْوابِها جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ.**[١]

ومالك هو الخازن الرئيس للنيران التي هي عبارة عن كتل من النار والدخان التي تشتدّ وتستعر عندما يفور غضباً وقد ورد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله انّ ملائكة جهنّم خلقوا قبل خلق جهنّم بآلاف السنين وهم يزدادون قوّة في كلّ يوم.[٢]

وورد في القرآن الكريم انّ أهل جهنّم يتضرّعون إلى مالك يطلبون إليه في ان يقضي عليهم وينهي حياتهم إلى الأبد.

**﴿وَ نَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾**.[٣]

انّ تصوّر الخلود في العذاب هو من أشدّ العذاب اذ لا أمل أبداً بالخلاص وقد ورد في الحديث النبويّ الشريف انّه لو قيل لأهل جهنّم أنكم ماكثون فيها عدد ذرّات رمال الدنيا لفرحوا ولو قيل لأهل الجنّة انّكم ماكثيون فيها عدد ذرّات رمال الدنيا لحزنوا ولكن الله كتب على اولئك ولهؤلاء بالخلود.[٤]

وقد أشار القرآن الكريم إلى مشهد من مشاهد المجرمين في وادي السعير وهم

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢.
٢. لآلى الأخبار: ٥ / ١١٤؛ الدّر المنثور: ٦ / ١٤٥، مع اختلاف يسير.
٣. سورة الزخرف (٤٣): ٧٧.
٤. كنز العمال: ١٤ / ٥٣٢؛ الدر المنثور: ١ / ٤١.

يتوسّلون بالملائكة من خزنة النيران:

﴿وَ قَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ * قَالُوٓاْ أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَادْعُواْ وَ مَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾.[١]

## رضوان وسدنة الجنان

الرضوان بمعنى الرضا وهو خلاف السخط والرضوان الالهي هو أعظم ثواب يمكن أن يحصل عليه الانسان في يوم القيامة.

قال تعالى في سورة التوبة:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.[٢]

ورضوان هو رئيس سدنة الجنان لأن دخول الجنّة يحصل برضاه.

جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:

**اِذا كانَ اَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ نادَى الجَلِيلُ جَلَّ جَلالُهُ رِضْوانَ خَازِنَ الجَنَّةِ فَيَقولَ: لَبَّيْكَ وَ سَعْدَيْكَ فَيَقُولُ: نَجِّدْ جَنَّتي وَ زَيِّنْها لِلصّائِمينَ مِنْ اُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَ لاتُغْلِقْها عَلَيْهِمْ حَتّى يَنْقَضِيَ شَهْرُهُم ثُمَّ يُنادِيَ مالِكاً خازِنَ النّارِ يا مالِكُ! فَيَقُولُ: لَبَّيكَ وَ سَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: اَغْلِقْ اَبْوابَ جَهَنَّمَ عَنِ الصّائِمينَ مِنْ**

---

١. سورة غافر (٤٠): ٤٩ ـ ٥٠.
٢. سورة التوبه (٩): ٧٢.

**أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ثُمَّ لاٰتَفْتَحُهاٰ حَتّٰى يَنْقَضِيَ شَهْرُهُم.**[١]

والسدنة جمع سادن من السدانة وهي خدمة الأماكن المقدّسة مثل الكعبة والمسجد والذي يتولّى فتح الأبواب وإغلاقها.

والجنان جمع جنّة وسمّي البستان جنّة لاستتار الداخل فيه عن العيون.

وفي يوم القيامة يستقبل سدنة الجنان أهل النعيم بالترحاب مهنئينهم على النجاح في الامتحان في الحياة الدنيا.

**﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.**[٢]

وللجنّة أسماء عديدة مختلفة ورد ذكرها والاشارة إليها في القرآن الكريم: جَنَّةُ النَّعيم، جَنَّةُ الخُلد، جَنَّةُ المَأوىٰ، جَنَّةُ عَدْن، جَنَّةُ عالية، جَنَّةُ عَرْضُهاٰ السّماواتِ وَ الْأَرْضِ، دارُالسَّلام، دارُ القَرارِ و... .

وهكذا يفترق الناس يوم القيامة إلى فريقين فريق في الجنّة وفريق في السعير.

فالدنيا دار الامتحان والاختبار والابتلاء والآخرة دار الجزاء.

**ولو إنّا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كلّ حيّ**

**ولكنّا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كلّ شيء**

أجل سوف يسأل الانسان عن كلّ شيء يوم القيامة والحساب، يوم الثواب والعقاب.

---

١. بحار الأنوار: ٩٣ / ٣٥٠؛ مستدرك الوسائل: ٧ / ٤٢٧.

٢. سورة الزمر (٣٩): ٧٣.

[﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[1]

﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.[2]

﴿٢١﴾ وَالزَّبَانِيَةِ الَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.[3]

﴿٢٢﴾ ابْتَدَرُوهُ سِرَاعاً وَلَمْ يُنْظِرُوهُ وَمَنْ أَوْهَمْنَا ذِكْرَهُ وَلَمْ نَعْلَمْ مَكَانَهُ مِنْك وَبِأَيِّ أَمْرٍ وَكَّلْتَهُ].

سلام على الملائكة الذين لا يتمرّدون على ارادة الله عزّوجلّ وينفذون ما يأمرهم به والذين يحيون أهل الجنّة؛ سلام على سدنة النعيم.

وسلام على الملائكة زبانيّة الجحيم وهم يقومون بما أمرهم الله في التنكيل بأعدائه من المجرمين والظالمين.

وعدم العصيان يعني امتثال الأمر وينفذون الأوامر على نحو تام وجملة لا يعصون اقتباس من الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ

---

١. سورة التحريم (٦٦): ٦.
٢. سورة الرعد (١٣): ٢٤.
٣. سورة الحاقّة (٦٩): ٣٠ ـ ٣١.

عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ ٱللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.[1]

و «قوا أنفسكم» أي احموا أنفسكم من خلال الاستقامة والطاعة واجتناب المعصية وعدم الاستغراق في الشهوات واحموا و «أهليكم» من خلال دعوتهم إلى طاعة الله عزّوجلّ وتعليمهم واجبات الدين وفرائض الاسلام ونهيهم عن فعل القبائح وتشجيعهم على أعمال الخير.

**يا نفس قومي فقد قام الورى إن ينم الناس فذو العرش يرى**

**وأنت يا عين دعي عني الكرى عند الصباح يحمد القوم السرى**

وعندما يستقرّ المؤمنون الفائزون يوم القيامة في سكناهم الأبدي الخالد في جنّات الفردوس والنعيم، تتوافد عليهم أفواج الملائكة يحيونهم ويقدمون لهم التهاني بهذا الفوز العظيم ونجاحهم في امتحان الدنيا وصبرهم واستقامتهم في حياتهم الاولى.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ * وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ * وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى

---

١. سورة التحريم (٦٦): ٦.

﴿ٱلدَّارِ﴾.[١]

أمّا زبانيّة النار فانّهم يستقبلون أهل جهنّم والنـار بـالضرب عـلى وجـوههم وادبارهم ويتخطفونهم بعنف ويسوقونهم إلى جهنّم وبئس المصير:

وما ورد في نصّ الدعاء من قوله عليه السلام: «خذوه فغلّوه» اقتباس من نصّ القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ ٱلْـعَظِيمِ * وَلاَ يَـحُضُّ عَـلَىٰ طَـعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾.[٢]

١. سورة الرعد (١٣): ٢٠ ـ ٢٤.
٢. سورة الحاقّه (٦٩): ٣٠ ـ ٣٤.

**[﴿٢٣﴾ وَسُكَّانِ الْهَوَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَمَنْ مِنْهُمْ عَلَى الْخَلْقِ.**

**﴿٢٤﴾ ﴿فَصَلِّ عَلَيْهِمْ يَومَ يَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.**

**﴿٢٥﴾ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ صَلاَةً تَزِيدُهُمْ كَرَامَةً عَلَى كَرَامَتِهِمْ وَطَهَارَةً عَلَى طَهَارَتِهِمْ.**

**﴿٢٦﴾ اَللَّهُمَّ وَإِذَا صَلَّيْتَ عَلَى مَلاَئِكَتِك وَرُسُلِك وَبَلَّغْتَهُمْ صَلاَتَنَا عَلَيْهِمْ فَصَلِّ عَلَيْنَا بِمَا فَتَحْتَ لَنَا مِنْ حُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِمْ إِنَّك جَوَادٌ كَرِيمٌ.]**.

وصلاة على الملائكة من سكّان الهواء والأجواء وارجاء الفضاء وسكّان الماء.

فصل اللهم عليهم يوم تأتي النفوس ومع كلّ نفس سائق وشهيد من ملائكتك.

﴿وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.[1]

وعندما يحشر الانسان يوم القيامة فانّه يأتي ومعه ملكان ملك يسوقه وملك شاهد على أعماله.

وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ وقوله: ان ابن آدم إذا قامت الساعة انحطّ عليه ملك الحسنات وملك السيّئات أحدهما سائق والآخر شهيد.

---

١. سورة ق (٥٠): ٢١.

إنّما الدنيا فناء ليس فـي الدنـيا ثـبوت
إنّـــما الدنـيا كـبيت نسـجته العـنكبوت
ولقد يكـفيك مـنها أيّـها الطـالب قـوت
ولعمري عن قليل كلّ من فـيها يـموت

# الدعاء الرابع

# الصلاة علىٰ أتباع الرسل والأنبياء

﴿١﴾ اَللَّهُمَّ وَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَمُصَدِّقُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ مُعَارَضَةِ الْمُعَانِدِينَ لَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ وَالاِشْتِيَاقِ إِلَى الْمُرْسَلِينَ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ.

﴿٢﴾ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ أَرْسَلْتَ فِيهِ رَسُولاً وَأَقَمْتَ لِأَهْلِهِ دَلِيلاً مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى وَقَادَةِ أَهْلِ التُّقَى عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّلاَمُ فَاذْكُرْهُمْ مِنْك بِمَغْفِرَةٍ وَرِضْوَانٍ.

﴿٣﴾ اَللَّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ وَالَّذِينَ أَبْلَوُا الْبَلاَءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ وَكَانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إِلَى وِفَادَتِهِ وَسَابَقُوا إِلَى دَعْوَتِهِ وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسَالاَتِهِ.

﴿٤﴾ وَفَارَقُوا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ وَقَاتَلُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيتِ نُبُوَّتِهِ وَانْتَصَرُوا بِهِ.

﴿٥﴾ وَمَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ.

﴿٦﴾ وَالَّذِينَ هَجَرَتْهُمُ الْعَشَائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَرَابَاتُ إِذْ سَكَنُوا فِي ظِلِّ قَرَابَتِهِ.

﴿٧﴾ فَلاَ تَنْسَ لَهُمُ اللَّهُمَّ مَا تَرَكُوا لَكَ وَفِيكَ وَأَرْضِهِمْ مِنْ رِضْوَانِك وَبِمَا حَاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْك وَكَانُوا مَعَ رَسُولِك دُعَاةً لَك إِلَيْكَ.

﴿٨﴾ وَاشْكُرْهُمْ عَلَى هَجْرِهِمْ فِيك دِيَارَ قَوْمِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعَاشِ إِلَى ضِيقِهِ وَمَنْ كَثَّرْتَ فِي إِعْزَازِ دِينِك مِنْ مَظْلُومِهِمْ.

﴿٩﴾ اَللَّهُمَّ وَأَوْصِلْ إِلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[1] خَيْرَ جَزَائِكَ.

﴿١٠﴾ اَلَّذِينَ قَصَدُوا سَمْتَهُمْ وَتَحَرَّوْا وِجْهَتَهُمْ وَمَضَوْا عَلَى شَاكِلَتِهِمْ.

﴿١١﴾ لَمْ يَثْنِهِمْ رَيْبٌ فِي بَصِيرَتِهِمْ وَلَمْ يَخْتَلِجْهُمْ شَكٌّ فِي قَفْوِ آثَارِهِمْ وَالاِئْتِمَامِ بِهُدَاةِ مَنَارِهِمْ مُكَانِفِينَ.

﴿١٣﴾ وَمُوَازِرِينَ لَهُمْ يَدِينُونَ بِدِينِهِمْ وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِمْ يَتَّفِقُونَ عَلَيْهِمْ وَلاَ يَتَّهِمُونَهُمْ فِيمَا أَدَّوْا إِلَيْهِمْ اَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى التَّابِعِينَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَلَى أَزْوَاجِهِمْ وَعَلَى ذُرِّيَّاتِهِمْ وَعَلَى مَنْ أَطَاعَك مِنْهُمْ.

﴿١٤﴾ صَلاَةً تَعْصِمُهُمْ بِهَا مِنْ مَعْصِيَتِك وَتَفْسَحُ لَهُمْ فِي رِيَاضِ جَنَّتِك وَتَمْنَعُهُمْ بِهَا مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَتُعِينُهُمْ بِهَا عَلَى مَا اسْتَعَانُوك عَلَيْهِ مِنْ بِرٍّ وَتَقِيهِمْ طَوَارِقَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ.

﴿١٥﴾ وَتَبْعَثُهُمْ بِهَا عَلَى اعْتِقَادِ حُسْنِ الرَّجَاءِ لَك وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَك وَتَرْكِ التُّهْمَةِ فِيمَا تَحْوِيهِ أَيْدِي الْعِبَادِ.

﴿١٦﴾ لِتَرُدَّهُمْ إِلَى الرَّغْبَةِ إِلَيْك وَالرَّهْبَةِ مِنْك وَتُزَهِّدَهُمْ فِي سَعَةِ الْعَاجِلِ وَتُحَبِّبَ إِلَيْهِمُ الْعَمَلَ لِلآجِلِ وَالاِسْتِعْدَادَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

﴿١٧﴾ وَتُهَوِّنَ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَرْبٍ يَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ خُرُوجِ الأَنْفُسِ مِنْ أَبْدَانِهَا.

﴿١٨﴾ وَتُعَافِيَهُمْ مِمَّا تَقَعُ بِهِ الْفِتْنَةُ مِنْ مَحْذُورَاتِهَا وَكَبَّةِ النَّارِ وَطُولِ الْخُلُودِ فِيهَا.

﴿١٩﴾ وَتُصَيِّرَهُمْ إِلَى أَمْنٍ مِنْ مَقِيلِ الْمُتَّقِينَ.

---

١. سورة الحشر (٥٩): ١٠.

**[﴿١﴾ اَللَّهُمَّ وَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَمُصَدِّقُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ مُعَارَضَةِ الْمُعَانِدِينَ لَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ وَالاِشْتِيَاقِ إِلَى الْمُرْسَلِينَ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ.**

**﴿٢﴾ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ أَرْسَلْتَ فِيهِ رَسُولاً وَأَقَمْتَ لِأَهْلِهِ دَلِيلاً مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى وَقَادَةِ أَهْلِ التُّقَى عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّلاَمُ فَاذْكُرْهُمْ مِنْك بِمَغْفِرَةٍ وَرِضْوَانٍ]**

**الهداة إلى طريق الحق**

والهداة إلى طريق الله هم الرسل والأنبياء والأئمّة الأطهار والقادة الربّانيّين الأولياء.

ومن الصعب على الانسان أن يسبر عمق وغور شخصيّة الأنبياء والرسل الالهيّين، وانّني لأحسّ العجز في نفسي وأنا أحاول الغوص في بيان أبعادشخصيّة النبيّ والرسول ومن نصبه الله عزّوجلّ وصيّاً للنبيّ من بعده.

صحيح أنّه يمكن الاستعانة بالقرآن الكريم نبع الفيض السماوي غير ان فهم النصوص القرآنيّة ليس سهلاً هو الآخر.

انّ هذه الشخوص السامية الرفيعة الطاهرة التي اشتملت على البصيرة والوعي والعلم والاخلاص والوفاء والصفاء والطهر والنقاء، تكاد تبقى فوق مستوى

الادراك البشري فلقد اشتملوا على خلق رفيع وكانوا المثل الأعلى في مجتمعاتهم حيث ارتقوا الذرى في الأمانة والحلم والصبر والأدب والعلم والمعرفة والعفّة والنقاء والكرم والجود.

فاصطفاهم الله من بين عبادة رسلاً إليهم قد تخلّقوا بأخلاق الله وكانوا مثالاً لصفاته.

فهذا سيّدنا محمّد المصطفى الذي بلغ ما بلغ من الخلق الرفيع أن قال فيه ربّ العالمين: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

لقد بلغ الذرى في سيرته فهو مثال في كلّ شيء فمن أراد أن يعرف أخلاقه فقد كان خلقه القرآن الكريم.

فأنبياء الله سبحانه كالشموس تغمر الدنيا بالدفء والنور، تحمّلوا مسؤوليّة هداية الضالّين والتائهين وانقاذ الغرقى في مستنقعات الجهل والظلام، ونذروا أنفسهم فداءً في سبيل الله.

ومن أجل ذلك غمرهم الله عزّوجلّ بنفحاته وأفاض عليهم من فيض كراماته.

وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:

**إنَّ لِرَبِّكُمْ فى أيّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحاتٍ، ألا فَتَعَرَّضُوا لَها.**[1]

## حقيقتان في هداية الانسان

والشقي من لا يتعرّض لنفحات الربّ تبارك وتعالى، وقد سعى الأنبياء ومن

---

١. بحار الأنوار: ٦٨ / ٢٢١؛ عوالى اللآلى: ١ / ٢٩٦.

أجل هداية الانسان إلى الأخذ بهاتين الحقيقتين:

الأولى: التشذيب.

الثانية: التهذيب.

١ ـ والمقصود من التشذيب هو تشذيب النفس من نفض الصدأ المتراكم على قلب الانسان وترشيد الغرائز الانسانيّة ومكافحة الرذائل الأخلاقيّة من شهوات بهيميّة وصفات حيوانيّة.

٢ ـ أمّا المراد من التهذيب فهو التحلّي بالأخلاق السامية وتنمية الصفات الحسنة والتزيّن بالفضائل.

وفي كلا الأمرين تتألّق شخوص الأنبياء والرسل والأوصياء مثلاً أعلى للانسانيّة والنبل والفضيلة والأخلاق الرفيعة فاذا اقتدى المرء بالأنبياء وبالرسل والأوصياء وسار على نهجهم، بلغ مرحلة الفناء في الله والبقاء بالله حيث تكمن حقيقة التوحيد والاذعان له «هو» سبحانه وذوبان كلّ اشكال «الأنا».

ومن هنا تبرز مهمّة الأنبياء والأوصياء والرسل الالهيّين سلام الله عليهم أجمعين، فهم من حملوا مشاعل الفكر ونشروا نور السموات والأرض وبنوا الحضارات.

وانّنا نتحمّل مسؤوليّة كبيرة تجاههم في معرفة ما قاموا به والدعاء لهم باستمرار ازاء ما قاموا به وما عانوا من أجله، من دون مقابل، ذلك انّهم كانوا قد عاهدوا الله وحده وكان ميثاقهم معه سبحانه.

**دعوة الأنبياء**

تتمثّل رسالة الأنبياء في دعوة الانسان إلى الايمان بالعقائد الحقّة والأخلاق السامية وأعمال الخير والاذعان لتعاليم السماء واقامة العدالة.

وان كلّ ما يحصل من ظلم وانتهاك لحقوق الآخرين إنّما يعود إلى انفصال الناس عن تعاليم الأنبياء.

انّ طغيان الطغاة وغطرسة المستكبرين واسراف المسرفين وتبذير المبذرين وعدوان الظالمين وخضوع المظلومين وجهل الجاهلين وضياع التائهين، انّ كلّ هذا وغيره من الانحرافات، لم يكن ليحصل لو لا هذا الابتعاد عن شرائع الأنبياء ونهج الأوصياء.

ولو استضاء الانسان بشموس الرسل والأنبياء لما سقط في هاوية الظلمات، ولنعم بدفئ الشرائع الالهيّة حيث العدالة والمساواة والخير، ولما عصفت به رياح الزمهرير القادمة من صقيع الظلم والجهل والضياع والتيه.

**اصول دعوة الأنبياء**

يحدّد القرآن الكريم أُصول الدعوة الالهيّة التي حملها الرسل والأنبياء بما يلي:

١ ـ معرفه الحقّ تعالى؛

٢ ـ عبادة الله وحده؛

٣ ـ الاصغاء لمواعظ الهداة؛

٤ ـ التقوى واجتناب ارتكاب الذنوب الظاهريّة والباطنيّة؛

٥ ـ الاهتمام بالمعاد ويوم القيامة؛

٦ ـ انتهاج طريق الفلاح؛

٧ ـ الاهتمام بالنعم الالهيّة واستثمارها في الطريق الصائب؛

٨ ـ سلوك طريق الحقّ بنيّة طاهرة واخلاص؛

٩ ـ التحلّي بحقيقة التوبة؛

١٠ ـ اجتناب كلّ اشكال الصنميّة؛

١١ ـ الاهتمام بأسماء وصفات الحقّ تعالى؛

١٢ ـ اجتناب أعداء الله في الظاهر والباطن؛

١٣ ـ الاستمرار في السير على طريق الله حتّى النهاية؛

١٤ ـ العمل على تحقيق حياة ايمانيّة؛

١٥ ـ اتّخاذ الصدق شعاراً وشعوراً في حركة الانسان؛

١٦ ـ معرفة أعداء الله والبراءة منهم؛

١٧ ـ اكتساب القلب السليم؛

١٨ ـ الصبر والاستقامة عند نزول النوائب؛

١٩ ـ الاحسان إلى الآخرين في كلّ شؤون الحياة؛

٢٠ ـ توثيق العلاقة مع أولياء الله؛

٢١ ـ ترشيد الغرائز ومنعها من السيطرة على حياة الانسان؛

٢٢ ـ استلهام العبر من مصير الظالمين والمجرمين؛

٢٣ ـ اجتناب الرذائل الأخلاقيّة؛

٢٤ ـ الاهتمام بشؤون الأُسرة وتربية الأبناء تربية صالحة؛

٢٥ ـ الوفاء في الكيل والتدقيق في التقييم والتقويم؛

٢٦ ـ اجتناب الفساد في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة؛

٢٧ ـ العمل المستمر في اصلاح الذات والآخرين؛

٢٨ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛

٢٩ ـ مواجهة الظلم ومناهضة الظالمين في سبيل الله؛

٣٠ ـ الانفاق المالي والعلمي واستثمار الموقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في طريق الحقّ؛

٣١ ـ الاهتمام بمساعدة المحرومين ومدّ يد العون للمستضعفين؛

٣٢ ـ استثمار النعم الالهيّة على النحو المشروع؛

٣٣ ـ تحكيم الحق في واقع الحياة؛

٣٤ ـ اقامة العدل؛

٣٥ ـ إعمار الأرض؛

٣٦ ـ نشر روح الأُلفة والتضامن في المجتمع؛

٣٧ ـ المحافظة على أموال اليتامى؛

٣٨ ـ الوفاء بالعهد؛

٣٩ ـ اقامة الصلاة؛

٤٠ ـ الاحسان للوالدين والعطف عليهما؛

٤١ ـ التأمّل في مظاهر الوجود وعظمة الخالق؛

٤٢ ـ التأمّل في ملكوت السماوات والأرض؛

٤٣ ـ المناجاة مع الله والتضرّع إليه؛

٤٤ ـ كظم الغيظ؛

٤٥ ـ العفو والصفح؛

٤٦ ـ الخوف من عذاب يوم القيامة؛

٤٧ ـ المحافظة على الأمانة؛

٤٨ ـ الاعتدال والوسطيّة في الحياة؛

٤٩ ـ الخشوع للحق والتواضع في السلوك؛

٥٠ ـ طلب العلم والمعرفة؛

أجل هذه هي الأُصول والقيم التي يدعوا إليها الأنبياء والرسل الالهيّين.

وأنّ الإعراض عن هذه القيم لا يفضي إلّا إلى الشقاء الأبدي.

وكلّما اقترب الانسان من نهج الأنبياء زاد قرباً من السماء وكلّما عمل أكثر بما دعا إليه الأنبياء طوى مراحل أكثر في طريق التكامل الانساني.

**أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسان**

**يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح فيما فيه خسران**

**أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم انسان**

**فان أساء مسيء فليكن لك في عروض زلّته صفح وغفران**

**وكن على الدهر معواناً لذي صلة يرجو نداك فان الحرّ معوان**

**واشدد يديك بحبل الله معتصماً فانّه الركن إن خانتك أركان**

**من يتّق الله يحمد في عواقبه ويكفه شرّ من غرّوا ومن هانوا**
**من استعان بغير الله في طلب فان ناصره عجز وخذلان**
**من كان للخير منّاعاً فليس له على الحقيقة اخوان وخلّان**
**من سالم الناس يسلم من غوائلهم وعاش وهو قرير العين جذلان**
**من كان للعقل سلطاناً عليه غدا وما على نفسه للحرص سلطان**
**وكلّ كسر فان الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران**

**الاقتداء بالأنبياء**

انّ الاقتداء بالرسل والأنبياء يعني الايمان بالغيب وما وراء الطبيعة من حقائق، واقامة الصلاة والانفاق في سبيل الله والتصديق بكلّ الكتب السماويّة والايمان التام بالآخرة والملائكة ومساعدة المحرومين والمحتاجين والوفاء بالوعد والعهد والميثاق والصبر على الطاعة وعن المعصية والجهاد في سبيل الله والصدق في كلّ الأحوال والاصغاء لصوت الحق والاذعان للحقيقة والمبادرة للتوبة والاستغفار والتسابق إلى الجنّة ورضوان من الله وعدم الاصرار على صغائر الذنوب وعدم التقاعس في شؤون الدين واجتناب الاسراف، تلبية نداء الحق والخوف من الله والذكر الدائم له سبحانه والهجرة في طريق الحقّ والمناجاة مع الله والمواظبة على أداء صلاة الليل وتلاوة القرآن بخشوع وتدبّر لترسيخ الايمان أكثر فأكثر.

وكذلك مساندة المظلوم ودعمه في الحصول على كامل حقوقه وتعزيز العلاقة مع أهل الايمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صلة الرحم مكافحة آثار السيّئات بالقيام بأعمال الخير واكتساب الحسنات.

والتحلّي بكلّ الفضائل الانسانيّة من تواضع وتسامح ومحبّة والشكر لمن يصنع المعروف وحسن الجوار والزهد والاحسان للآخرين وفي الطليعة لذوي القربى واليتامى والصلاة في المساجد والدعاء بالخير للناس وطلب المعرفة وايثار الصدق حتّى لو كان في ذلك ضرراً على النفس.

أمّا الابتعاد عن نهج الأنبياء فهو يعني الابتعاد عن الله عزّوجلّ والسقوط في براثن الشيطان الرجيم الذي ينظر إلى العالم بعين واحدة فهو أعور لا يرى حياة أُخرى وراء الحياة الدنيا فيستغرق ما بين شهوات البطن وشهوات الفرج.

يقول العارف الواعي سعدالدين حموية:

«اعلم انّ الشيطان ينظر بعين واحدة وهذه العين طوليّة غائرة فيه وفي هذا اشارة إلى انه لا يرى إلّا نفسه[1] وهو العجب بالنفس.

والعين الواحدة ترمز إلى انه لا يرى سوى الجسم فلا يرى الروح.

ولذلك فانّ ابليس لما نظر إلى آدم لم ير إلّا جسم آدم، وكان عليه أن يرى جوهر آدم وروحه، فاغترّ بنفسه معجباً بصفته الناريّة ونظر إلى النار فرآها عنصراً أرقى من العناصر الاخرى من قبيل التراب والماء والهواء فتمرد على أمر الله ولم يسجد لآدم.

﴿ قٰالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾.[2]

فطرد من رحاب الله وأخرج مذموماً مدحوراً قد ابلس من رحمته فهو رجيم

---

١. عشق الذات والنرجسيّة وتضخّم الذات.

٢. سورة ص (٣٨): ٧٦.

لعين قد حرم من القرب الالهي.

فلمّا سقطت الريح من عينه عصفت رياح الأنا برأسه فازدرى آدم لأنه من تراب وماء ورأى في النار عنصراً أرقى من الطين، فسجد للهوى واتبع هواه فحلّت به لعنة الله.

فاهبط إلى العالم السفلي عالم المادّة، ومن مقتضيات المادّة الثقل والكثافة والغلظة فهي تترسّب إلى الأسفل والخفاء والظلمة والظلماء.

أمّا العالم الروحاني فهو لطيف وخفيف ومن مقتضيات الخفة واللطافة العلوّ والظهور إلى حيث النور.

ولقد وضع سليمان قدمه فوق الهوى وداس عليه واطفأ نار الأنا بماء العدم فسخّر الله الريح.

﴿ **غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ** ﴾.[١]

فليكن المرء مثل سليمان فينقش على خاتمه «الله» وليجل في نفسه حسن يوسف وقوله «معاذ الله» وليهتف بقلبه «لا إله إلّا الله».

جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:

**أنَا أدْعُوكُمْ إلىٰ كَلِمَتَيْنِ خَفيفَتَيْنِ عَلىٰ اللِّسانِ وَثَقيلَتَيْنِ فِي الْميزانِ، تَمْلِكُونَ بِهِمَا الْعَرَبَ وَالعَجَمَ، وَتَنْقادُ بِهِمَا الْأُمَمُ، وَتَدْخُلُونَ بِهِمَا الْجَنَّةَ وَتَنْجُونَ بِهِما النّارَ: شهادَةُ أنْ لا اِلٰهَ إلَّا اللهُ، وَأنّي رَسُولُ اللهِ.**[٢]

---

١. سورة سبأ (٣٤): ١٢.

٢. الارشاد، الشيخ المفيد: ١/ ٤٩؛ موسوعة التاريخ الاسلامي، محمد هادي اليوسفي: ١/ ٤٢٠؛ أنوار العلوية: ٣٩.

**من أجل التكامل**

يرى العرفاء والسالكون في طريق الحقيقة والوالهون المشتاقون للقاء الحقّ انّ بلوغ مقام الخلافة الالهيّة في تطهير ما يلي:

١ ـ الجسم والبدن والثياب من النجاسات الظاهريّة لأنّها توجب البعد عن الله عزّوجلّ فالعبادة مشروطة بالطهارة والعبادة بوابة الطريق إلى الله عزّوجلّ.

٢ ـ جميع أعضاء الجسم من قبيل تطهير العين من نجاسة النظر إلى غير المحارم وتطهير اليد من نجاسة الحاق الأذى بالآخرين والأذن من نجاسة سماع الغيبة واللسان من نجاسة الكذب والفحش في الكلام وقول الباطل.

٣ ـ الباطن وذلك بتطهيره من الصفات الذميمة ذلك انّ الصفات السيّئة تشكل حجاباً يمنع السالك من السير والوصول إلى القرب الالهي.

٤ ـ السرّ إذ ينبغي تطهيره من كلّ ما سوى الحقّ.

**قَلْبُ المُؤمِنِ حَرَمُ اللهِ وَحَرامٌ عَلىٰ حَرَمِ اللهِ اَنْ يَلِجَ فيهِ غَيْرُ اللهِ.**[1]

**يا داوُدُ! بَشِّرِ المُذْنِبِينَ بِأنّى غَفُورٌ، وَأنْذِرِ الصِّدّيقِينَ بأنّى غَيُورٌ.**[2]

وهذا الفيض الالهي لا يتحقّق إلّا في ظلال النبوّات واتباع الرسالات الالهيّة.

ولذا فانّ الحياة بعيداً عن الأنبياء ستحدق بها الأخطار.

وفيما يلي نصّ في الدعاء والتعقيب بعد أداء فريضة المغرب يشتمل على اشارة لمثل هذا المخاطر، يقول الإمام المعصوم عليه السلام:

---

١. بحر المعارف: ٢٩٠؛ الخصائص الفاطمية: ٢ / ٢١٠، مع اختلاف يسير.

٢. بحر المعارف: ٢٩٠؛ بحار الأنوار: ٦٩ / ٣٢١، مع اختلاف يسير.

**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لا تَقْنَعُ وَبَطْنٍ لا يَشْبَعُ وَعَيْنٍ لا تَدْمَعُ وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ وَصَلاةٍ لا تُرْفَعُ وَعَمَلٍ لا يَنْفَعُ وَدُعَاءٍ لا يُسْمَعُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَجَهْدِ الْبَلاءِ وَمِنْ عَمَلٍ لا تَرْضَى وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَالْقَهْرِ وَالْغَدْرِ وَمِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ وَمِنْ شَتَاتِ الْأَمْرِ وَمِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ وَخَيْبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي النَّفْسِ وَالدِّينِ وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ وَعِنْدَ مُعَايَنَةِ الْمَوْتِ وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنَ إِنْسَانِ سَوْءٍ وَجَارِ سَوْءٍ وَقَرِينِ سَوْءٍ وَيَوْمِ سَوْءٍ وَسَاعَةِ سَوْءٍ وَمِنْ شَرِّ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ رَبِّي آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.**[1]

إنّ الانسان في الحقيقة شجرة، وهذه الشجرة تشتمل بالقوّة على ثمار ظاهرة وباطنة، ولقد أثبت تاريخ الحياة الإنسانيّة انّ هذه الشجرة لا تثمر ثماراً طيّبة إلّا في ظلال الرسالات الالهيّة وترتبية الأنبياء والأولياء.

وعندما تنبت هذه الشجرة وتنمو في هكذا أجواء حينئذٍ تؤتي أُكلها طيّباً.

إنّ هذا الكائن الذي قال عنه القرآن الكريم بأنّه خلق في أحسن تقويم إذا لم يسلك طريق الأنبياء والرسل الالهيّين فانّه سوف يسقط في هاوية مظلمة وفي أسفل السافلين.

فاذا اتيحت له أجواء طاهرة ومناخ طيّب في ظلال من الوحي وتعاليم السماء وارشاد الأنبياء فانّه سوف يتكامل ويبلغ درجات من السموّ والرقي الانساني.

---

١. مفتاح الفلاح: ٣٠٦.

أمّا إذا حدث العكس فسوف يتخطّف وجوده الأعداء في الداخل والخارج، فلا يتركونه إلّا أشلاءً ممزّقة وحطام متهدّم وانقاض.

## التقسيم القرآني للبشر

وفقاً للعقائد والأفكار والأخلاق والأعمال يقسّم القرآن المجيد البشر إلى ثلاث مجموعات، أشار إليها في سورة الواقعة على نحو واضح وثمّة اشارات عابرة في آيات أُخرى وهذه المجموعات كالتالي:

- المقرّبون؛
- أصحاب اليمين؛
- أصحاب الشمال.

## المقرّبون

تصرّح آيات الكتاب العزيز بأنّ المقرّبين هم الأنبياء والأئمّة الأطهار عليهم السلام فقد بلغوا في عقائدهم الخالصة واخلاقهم السامية وأعمالهم الصالحة إلى مرتبة فاقت جميع الانس والجن والملائكة؛ ذلك انّ إيمانهم هو إيمان شهودي وأخلاقهم أخلاق الحقّ وأعمالهم في جميع شؤون الحياة خالصة لله تبارك وتعالى.

## أصحاب اليمين

تدلّ آيات القرآن الكريم على أنّ أصحاب اليمين أو أصحاب الميمنة هم أُناس ساروا على خطى الأنبياء واتّبعوا الرسل والأوصياء بكلّ وجودهم في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم.

انّهم رجال ونساء انصهروا في الحقّ وتشرّبوا الخير وآمنوا بكلمات الله واتّبعوا أوامره وانتهوا بنواصيه وكانوا في الطليعة المتقدّمة من الركب الذي يقوده الرسل الالهيّين والأنبياء والأوصياء.

## أصحاب الشمال

أمّا أصحاب الشمال أو أصحاب المشئمة فهم تماماً في الجهة المقابلة أي اولئك الذين تمرّدوا على رسل الله وأنبيائه وتحدّوا رسالات الله وكلماته.

انّهم رجال ونساء عبدوا الأهواء وانقادوا للشهوات واتّخذوا من الحجارة والتماثيل الحجريّة والأصنام البشريّة من الطواغيت آلهةً لهم يعبدونها من دون الله.

وامضوا حياتهم في الظلم والعدوان والقتل والخيانة والغدر واستغلال البشر.

وهؤلاء البشر امعنوا في الشرّ حتّى بلغو الحضيض وأطاحوا بكرامة الانسان إلى أسفل سافلين، فأصبحوا كالبهائم بل أدنى درجة من البهيمة.

## العقل والحبّ

وإذا تلج الروح في قالب الانسان تكسبه أحسن صورة:

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾.[1]

فاذا ولجت موضعاً من مواضع الظاهر والباطن تظهر صفة من صفات الروح.

وكما انّ العين محلّ ظهور صفة البصر والأذن محلّ السمع واللسان محلّ النطق

---

١. سورة غافر (٤٠): ٦٤.

والفؤاد محلّ العلم وسائر الأعضاء كذلك؛ فاذن بواسطة المحالّ الجسمانيّة حيث كلّ قالب صفة من صفات الروح يتّضح انّ الروح في عالمها تتّصف بهذه الصفات وان هذا القالب خليفة الروح ومرآة جمال الذات والصفات وبحسب كلّ صفة كانت في الروح تظهر في هذا المكان في القالب تكون مظهر تلك الصفة وهذه الصفة الغيبة تظهر في عالم الشهادة هذا ومثلما الروح في عالم الغيب مدركة لجميع الكليّات، فانّها في عالم الشهادة تدرك الجزئيّات من أجل خلافة:

﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ﴾.[1]

واذن مثلما ينبّئ شخص انسان عن ذات الروح، فان محل كلّ صفة في الشخص منبئة عن صفة الروح، فكما انّ العين محلّ البصر فانّ الروح موصوفة بصفة البصر والفؤاد محل ظهور العقل ومنبّئ بأنّ الروح موصوفة بصفة العقل لأنّ العقل علم محض فيجب أن يقوم بصفة العلم عالم موصوف بذات العلم، فكما انّ الحق تعالى عالم، والعلم صفته وبذاته قائم.

﴿ إِنّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾.[2]

بهذا المعنى يعني مثلما القالب خليفة الروح لكي يظهر صفات الروح إلى العلن وإعمام خلافة الروح في عالم الشهادة كذلك فانّ الروح خليفة الحقّ لكي يظهر صفات الحقّ إلى العلن وإعمال نيابته وخلافته في عالم الغيب والشهادة بالروح والقالب واذن فانّ الخلائق في مرتبة الخلافة:

﴿ وَهُوَ الَّذى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ ﴾.[3]

---

١. سورة الأنعام (٦): ٧٣.
٢. سورة البقره (٢): ٣٠.
٣. سورة الأنعام (٦): ١٦٥.

فكان البشر ثلاث طوائف كما قال تعالى:

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً * فَأَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ * وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ * أُولٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾.[1]

**أصحاب المشئمة**

وهؤلاء طائفة من البشر تغلبت الصفات الحيوانيّة من بهيميّة وسبعيّة وضراوة وشيطنة على الصفات الملائكيّة الروحانيّة حيث ينطفئ نور العقل أمام رياح الهوى والشهوة والطبائع الحيوانيّة، فينصرف الانسان إلى اللهاث وراء إشباع غرائزه والاستغراق في اللذائذ ويصبح العوبة تتقاذفها رياح الحسد ونيران الحقد وبراكين الغضب وحمّى الشهوات وكلّ الصفات الحيوانيّة المذمومة فيسقط إلى الحضيض:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ ﴾.[2]

وهؤلاء هم أصحاب المشئمة.

**تفوق الصفات الملائكيّة على الحيوانيّة**

وطائفة أُخرى من البشر تفوقت لديهم الصفات الملائكيّة الروحانيّة على الصفات الحيوانيّة الجسمانيّة، فانتصر نور العقل لديهم على الهوى والشهوة ونمت الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة وزالت الأخلاق الرديئة وزادت الفضائل وانحسرت الرذائل.

---

١. سورة الواقعه (٥٦): ٧ ـ ١١.
٢. سورة التين (٩٥): ٥.

وهذه الطائفة على صنفين: صنف نمت أخلاقهم تحت اشراف عقولهم التي لم تصفو من شوائب الظلمة وآفة الوهم والخيال رغم ما بذلوه من جهد كبير، فالعقل وحده لا يصل إلى الكمال ولأنّه لا يبقى بمأمن من خلل الشبهات والخيالات الفاسدة؛ ذلك انّ سرّاً من أسرار الشريعة هو انّها تشتمل على نور يزيل ظلمة الطبيعة ويكافح آفة الوهم والخيال.

واذن فانّ هذه الطائفة ولافتقادها نور الشريعة فان تربية العقل وإن حصل من خلالها حالة من الصفاء في ادراك بعض المعقولات إلّا أنّه لا يتحقّق ادراك الامور الاخرويّة وتصديق الأنبياء واكتشاف الحقائق فيبقى الانسان حائراً في طلب معرفة الحقّ تعالى، لأنّ الرؤية العقليّة يعوزها نور الشريعة؛ فاذا غاب النور وقع التيه الضياع والحيرة وحدّ العقل في هذا المعنى هو اثبات وجود الباري جلّ جلاله واثبات صفات الكمال وسلب صفات النقص عن ذاته؛ فاذا تجاوز العقل هذا الحد وولج في معرفة التكليف من غير أن يستعين بنور الشريعة؛ فانه سيقع في آفة الشبهات.

ولهذا ضل الفلاسفة طريقهم وتخبّطوا لأنّهم سلكوا طريق الفلسفة دون الاستعانة بنور الشريعة، فتخبّطوا وضاعوا وناقض بعضهم بعضاً وعارض بعضهم آراء بعض لأنّهم تجاوزا مساحة العقل ودائرة العقل ونطاق المعقولات ولو لم يتجاوزوا ذلك ما وقع الاختلاف بينهم ذلك انه:

**طَرِيقُ الْعَقْلِ واحِدٌ.**[1]

---

١. تفسير ابن عربي: ٢/ ٣١١، ذيل آية ١٤ من سورة الحشر.

**أصحاب الميمنة**

وهم صنف آخر تربّت عقولهم ونمت في ظلّ الشريعة والسير على خطى الأنبياء فامتزج نور العقل ونور الشريعة ونور الايمان ونور البصيرة وأدركوا حقائق الغيب والأُمور الأُخرويّة؛ قد اهتدت عقولهم بنور الايمان إلى التفرّس في أحوال الآخرة وكانوا مصداق ما ورد في الحديث الشريف:

**اِتَّقُوا فِراسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ.**(١)

وهؤلاء هم أصحاب الميمنة مشربهم من عالم الأعمال ومعادهم في درجات النعيم، ذلك انّهم مازالوا عالقين وراء حجب الصفات الروحانيّة والنورانيّة:

**اِنَّ لِلّهِ تَعالىٰ سَبْعينَ أَلْفَ حِجابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ.**(٢)

**حِجابُهُ النُّورُ، لَوْ كُشِفَتْ لَأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.**(٣)

لا جرم إن قيل لهذه الطائفة حذار ان تدعوا العقل يجول في ميدان التفكّر في ذات الحق جلّ وعلا.

**تَفَكَّرُوا فى آلاءِ اللهِ وَلا تَتَفَكَّرُوا فى ذاتِ اللهِ.**(٤)

---

١. الكافي: ١ /٢١٨؛ وسائل الشيعة: ١٢ /٣٨.
٢. بحار الأنوار: ٥٥ /٤٥؛ عوالي اللآلي: ٤ /١٠٦.
٣. بحار الأنوار: ٧٣ /٣١.
٤. نخبة اللآلي في شرح بدء الأمالي: ١٩؛ الفتوحات المكيّه: ٣ /٢٣٣.

**المقرّبون**

ولما كان القائد غير النفس والسير في ذلك البحر لا يتيسّر إلّا بـاقدام الفـناء والعقل عين البقاء وضدّ الفناء، فاذن لن يتيسّر السير في ذلك البحر إلّا للفانين في نار الحبّ وهي مرتبة المقرّبين وهم طائفة المقرّبين.

﴿ وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ * أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾.[١]

قد جذبهم حبّ الله وكانوا في بدء «الفطر» قد سبقت أرواحهم الأرواح، فكانوا السابقين لما قال الله «كن» فخرجوا من مكمن علم الله إلى عالم الأرواح وتشرّبوا بحبّ الله لما أصابهم رشاش النور في عالم الأرواح.

**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فى ظُلْمَةٍ ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِه، فَمَنْ أصابَهُ ذٰلِكَ النُّورُ اهْتَدىٰ، وَمَنْ أخْطَأهُ ضَلَّ.**[٢]

فاختصّهم الله بالحسنى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾.[٣]

ولمّا ولجوا عالم القالب فانّهم وان رتعوا مدّة في المراتع الحيواني من أجل نمو القالب إلّا انّهم انجذبوا إلى حبّه و «يحبّهم» و «يحبّونه»، فسلكوا طريق العبوديّة إلى عالم الربوبيّة وأضحوا مستعدين لقبول الفيض مباشرة من دون واسطة وهـم صنفان: أحدهما في عالم الأرواح في صفوف:

---

١. سورة الواقعة (٥٦): ١٠ ـ ١١.
٢. تفسير ابن كثير: ٢/ ١٧٨، ذيل آية ١٢٢ سورة الأنعام.
٣. سورة الأنبياء (٢١): ١٠١.

**اَلْأَرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ.**[١]

في الصفّ الأوّل يستقبلون الفيض من دون واسطة وهؤلاء هم الأنبياء الذين استقبلوا نور الهداية مستقلّين.

والآخر أرواح الأولياء الذين يستقبلون الفيض بواسطة أرواح الأنبياء من خلال أتباعهم، قد أصاب طينتهم رشاش من نور الله الذي «رشّ عليهم من نوره» فأعرضوا عن زخرف الدنيا فشاهدوا بقلوبهم جمال الأحديّة، كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

**ما كُنْتُ أعْبُدُ رَبًّا لَمْ أرَهُ.**[٢]

وهنا توجد مبادئ الحبّ.

### حقيقة العشق

وبذرة العشق في البدء لم تكن من أثر رشاش النور «ثمّ رشّ عليهم من نوره»[٣] في أرض الأرواح حتّى إذا لاقت ما «ما كنت أعبد ربّاً لم أره» انبعث ﴿**إنّي ذاهِبٌ إلىٰ رَبّي**﴾[٤].

بل انّ بذرة العشق في البدء ذهول عن النفس بسبب «يحبّهم» في أرض «يحبّونه» لاقت ماء ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُم**﴾ فاخضرت ﴿**قالُوا بَلىٰ**﴾[٥].

---

١. بحار الأنوار: ٥ / ٢٦١؛ من لايحضره الفقيه: ٤ / ٣٨٠.
٢. بحار الأنوار: ٤ / ٢٧؛ الكافي: ١ / ٩٨.
٣. شرح الأسماء الحسنىٰ: ١ / ٢٠٦؛ تفسير ابن عربي: ١ / ٧٧، ذيل آية ١٣٥ من سورة البقره.
٤. سورة الصافّات (٣٧): ٩٩.
٥. سورة الأعراف (٧): ١٧٢.

وأوّل شرارة نار العشق اندلعت من قداحة:

**فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ.**[١]

ولم يكن يومئذٍ عالم ولا آدم وكانت الظلمة:

**خَلَقَ الْخَلْقَ فى ظُلْمَةٍ.**

التي ينبغي وجودها من أجل قبول الشرر:

**فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِكَى أُعْرَفْ.**[٢]

ولأن كبريت صدق الطلب في هذا العالم بحقيقة الكبريت الأحمر فان اشتغال النار من شرارة من كبريت صدق الطلب ونتيجة ذلك «يحبّونه» وشرارة ذلك النار تشتعل نتيجتها «يحبّهم» وتلك شعلة «العشق».

ولما اشتعلت تلك النار فكلّ ما في بيت الوجود من حطب الصفات الجسمانيّة والروحانيّة يحترق، وهنا يظهر العشق في العالم الانساني صفة القيامة.

وقد جاء في الحديث الشريف عن النبيّ ﷺ قوله:

**مِنْ أَشْراطِ السّاعَةِ نارٌ تَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النّاسَ إلىٰ مَحْشَرِهِمْ.**[٣]

وتتبدّل أرض الصفات البشريّة:

**﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ و السَمواٰتُ ﴾.**[٤]

وتطوي سماء الصفات الروحانيّة:

---

١. بحار الأنوار: ٨٤/ ١٩٩؛ شرح نهج البلاغة: ٥/ ١٦٣.
٢. بحار الأنوار: ٨٤/ ٣٤٤.
٣. مسند أحمد بن حنبل: ٤/ ٦؛ عمدة القاري: ٢٤/ ٢١٢.
٤. سورة إبراهيم (١٤): ٤٨.

﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّماءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾.[١]

وكما انّ الحقّ تعالى مصدر الكائنات فان مرجعها الله سبحانه:

﴿ إِنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الرُّجْعىٰ ﴾.[٢]

وعلى هذا الترتيب جاءوا ويرجعوا، ومرّة أُخرى من مصدر القدرة إلى عالم الروحانيّة يأتون ومن تلك الروحانيّة إلى الجسمانيّة وبنفس الخطى يرجعون.

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾.[٣]

ولأن نار العشق في غالب الأوقات تقوم بترسيم وجود الصفات البشريّة، فانه في ملاذ نور الشريعة كلّ قدم وخطوة على قانون المتابعة تقدح صورة الفناء حيث نوره فناء حقيقي، ومن الطفاف الربوبيّة استقباله:

**مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِراعاً.**[٤]

وفي هذا المقام فانّ السالك ليس امامه الّا أن يسلّم دفة سفينة العشق فلا يجري إلّا بالذكر والمتابعة.

﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ ﴾.[٥]

واذن فانّ الحقيقة العشق هو من يوصل إلى الفناء بالمعشوق والعقل لا يوصل العاقل إلى المعقول واتّفاق الحكماء والعلماء هو انّ الحقّ تعالى ليس معقول عقل أيّ عاقل، ذلك من العظماء قالوا:

---

١. سورة الأنبياء (٢١): ١٠٤. ٢. سورة العلق (٩٦): ٨.
٣. سورة الأنبياء (٢١): ١٠٤.
٤. مستدرك الوسائل: ٥ /٢٩٨؛ عوالي اللآلي: ١ /٥٦.
٥. سورة آل عمران (٣): ٣١.

**لا تُدرِكُهُ الْأبصارُ وَلا تَكْنُفُهُ الْعُقُولُ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَيَكْنُفُ الْعُقُولَ. وَلا يُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلّا بِما شاءَ وَقَدْ أحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً.**

واذن لأنّ العقل ليس طريقاً إلى الحقّ، فان السالك بـقدم العـقل لا يسـتطيع الوصول إليه، ذلك لأنّه موصوف بالوجود الّا بقدم ﴿فَٱذْكُرُونِى﴾[1] الذي هو ذكر الحقّ:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.[2]

واذن فلا رفعة تتيسر ولا صعود يتحقّق نحو الحقّ إلّا بواسطة العمل الصـالح والعمل الصالح لا يتحقّق حتّى يخلص من شوائب الرياء، والمـراد مـن الريـاء الوجود وكون الشخص في أنواع الطاعات والعبادات.

واذن فانّ الذاكر يقدم ﴿فَاذْكُرُونى﴾ يطوي الطريق إلى ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ وهو متوجّه إليه كلّيّاً قد سلّم دفة سفية العشق إلى متابعة ودلالة جبريل العقل حتّى يصل إلى سدرة منتهى الروحانيّة حيث ساحل بحر عالم الجبروت ومنتهى عالم المـعقول فيصل إلى جبريل العقل عندئذٍ يأتي النداء:

**لَوْ دَنَوْتَ أنْمُلَةً لاَحْتَرَقْتَ.**[3]

هنالك لا دليل ولا قائد سوى «رفرف» العشق، هنا العشق يخرج من كسوة عين وشين وقاف ويلج في كسوة الجذبة، ويجذبة واحدة يضع السـالك «قـال قوسين» في حدّ الوجود ويجلسه في مقام «أو أدنى» على بساط القرب.

---

١. سورة البقره (٢): ١٥٢. ٢. سورة الفاطر (٣٥): ١٠.

٣. مستدرك سفينة البحار: ١٠/ ١٥٤؛ شرح الأسماء الحسنىٰ: ٢/ ١٥.

**جَذْبَةٌ مِنْ جَذَباتِ الْحَقِّ تُوازى عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ.**[١]

يعني أن «معاملة» الثقلين لا تستطيع الوصول هناك إلّا بالجذبة هنالك يخرج الذكر أيضاً من قشر «فاذكروني» ويتجلّى جمال سلطان «اذكركم» ويصبح الذكر والمذكور والعاشق والمعشوق.

لأنّ عشق العاشق أوصله إلى المعشوق والعشق دلالة بقاء الصفة.

وعند ولوج العاشق في رحاب المعشوق، تظهر صفة فراشة العاشق عند وهيج شمعة جلال المعشوق لكي يعرق العاشق بنور جماله في ضيافته.

ويتجلّى الوجود المجازي للعاشق والوجود الحقيقي للمعشوق من خفاء «كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً» فلا يبقى من العاشق إلّا اسمه.

اشارة إلى:

**لا يَزالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ وَالْعِباداتِ حَتّىٰ أُحِبَّهُ فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَلِساناً وَيَداً، فَبى يُبْصِرُ وَبى يَنْطِقُ وَبى يَسْمَعُ وَبى يَبْطُشُ.**[٢]

وهنا تتحقّق فائدة لفظ ﴿ **وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ** ﴾ فالسابقون في البداية كانوا في خطاب «كُن» سابقين على الأرواح، وفي النهاية عند وقت الرجوع بخطاب: ﴿**اِرْجِعى إِلٰى رَبِّكِ**﴾[٣] يتسابقون في ميدان القرب.

﴿ **وَالسّابِقُونَ السّابِقُون * أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُون** ﴾.[٤]

---

١. كشف الخفاء: ١ / ٣٣٢؛ التفسير الكبير، فخر رازي: ٤ / ١٧٦.
٢. مشارق أنوار اليقين: ٢٢٥، مع اختلاف يسير؛ مفتاح الفلاح: ٣٦٧.
٣. سورة الفجر (٨٩): ٢٨.
٤. سورة الواقعة (٥٦): ١٠ ـ ١١.

يعني:

**اَلسّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ بِالْخُرُوجِ عَنْ غَيْبِ الْغَيْبِ، هُمُ السّابِقُونَ الْآخِرُونَ بِالرُّجُوعِ إلىٰ غَيْبِ الْغَيْبِ.**

**نَحْنُ الاخِرُونَ السّابِقُونَ.**

ترمز إلى هذا المعنى.[1]

## الحياة بعيداً عن الأنبياء

يقول الإمام السجّاد عليه السلام في هذا المقطع من الدعاء:

**اَللّهم وَ أَتْبَاعَ الرُّسُلِ وَ مُصَدِّقُوهُمْ مِنْ اَهْلِ الْأَرْضِ بِالْغَيْبِ.**

حيث يشير إلى اتباع الرسل والأنبياء عليهم السلام، وهذه هي دعوة الأنبياء ورسالات الله تبارك وتعالى:

**﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.**[2]

فهذه الآية تقول بصراحة: انّ دعوة الاسلام هي دعوة للعيش والحياة، الحياة المعنويّة والحياة الماديّة والحياة الثقافيّة والحياة الاقتصاديّة والحياة السياسيّة والحياة الأخلاقيّة والحياة الاجتماعيّة، وأخيراً الحياة والعيش بالمعنى الصحيح على جميع الأصعدة، وهذه أوجز وأجمع عبارة عن الاسلام ورسالته الخالدة، إذا سأل أحد عن أهداف الاسلام وما يمكن أن يقدمه، فنقول جملة قصيرة: انّ هدفه هو الحياة على جميع الأصعدة، هذا ما يقدمه لنا الإسلام.

---

١. عقل و عشق (العقل والعشق)، نجم الدين الرازي: ١٥، مع اختلاف يسير.

٢. سورة الأنفال: (٨): ٢٤.

**تقسيم الحياة**

ترىٰ هل كان الناس موتى قبل بزوغ (شمس) الاسلام ونزول القرآن ليدعوهم القرآن إلى الحياة؟!

وجواب هذا التساؤل: نعم فقد كانوا موتى وفاقدي الحياة بمعناها القرآني، لأنّ الحياة ذات مراحل مختلفة أشار إلى جميعها القرآن الكريم.

فتارة تأتي بمعنى الحياة النباتيّة كما يقول القرآن الكريم:

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[1]

وتارة تأتي بمعنى «الحياة الحيوانيّة» مثل:

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.[2]

وتارة تأتي بمعنى «الحياة الفكريّة والعقليّة» مثل:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.[3]

وتارة «الحياة الخالدة في العالم الآخر» مثل:

﴿يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾.[4]

---

١. سورة الحديد (٥٧): ١٧.
٢. سورة فصّلت (٤١): ٣٩.
٣. سورة الأنعام (٦): ١٢٢.
٤. سورة الفجر (٨٩): ٢٤.

وتارة بمعنى «العالم والقادر بلا حد ولا نهاية» كما نقول عن الله:

﴿وَ تَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾.[1]

وبالنظر إلى هذه الأقسام التي ذكرناها، نعرف انّ الناس في الجاهليّة كانوا يعيشون الحياة الحيوانيّة والماديّة وكانوا بعيدين عن الحياة الانسانيّة والمعنويّة والعقليّة فجاء القرآن الكريم ليدعوهم إلى الحياة.

ومن هنا نعلم أن من يضع الدين في قوالب جامدة لا روح فيها بعيداً عن مجالات الحياة ويختزله في مسائل فكريّة واجتماعيّة صرفة فقد جانب الصواب كثيراً، لأنّ الدين الحقّ هو الذي يبعث الحركة في كلّ جوانب الحياة، يحيي الفكر والثقافة والاحساس بالمسؤوليّة، ويوجد التكامل والرقي والوحدة والتآلف فهو يبعث الحياة في البشريّة بكلّ معنى الكلمة.

وبذلك تتّضح هذه الحقيقة أيضاً وهي أنّ الذين فسّروا الآية بمعنى واحد هو الجهاد أو الايمان أو القرآن أو الجنّة واعتبروا كلّ واحد من هذه الأُمور هو العامل الوحيد للحياة في الآية المباركة، هؤلاء في الحقيقة حدّدوا مفهوم الآية، لأنّه يشتمل على كلّ ذلك واكثر حيث يندرج ـ ضمن مفهوم الآية ـ كلّ شيء وكلّ فكر وكلّ قانون يبعث الروح في جانب من جوانب الحياة».[2]

### دعوة الأنبياء

الحياة أعظم نعمة يعتقدها الموجود لنفسه، كيف لا؟ وهو لا يرى وراءها الا

---

١. سورة الفرقان (٢٥): ٥٨.
٢. تفسير الأمثل، ج ٥، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٦.

العدم والبطلان، وأثرها الذي هو الشعور والارادة هو الذي ترام لأجله الحياة ويرتاح إليه الانسان ولا يزال يفرّ من الجهل وافتقاد حريّة الارادة والاختيار وقد جهّز الانسان وهو أحد الموجودات الحية بما يحفظ به حياته الروحيّة التي هي حقيقة وجوده كما جهّز كلّ نوع من أنواع الخليقة بما يحفظ به وجوده وبقاءه وهذا الجهاز الانساني يشخص له خيراته ومنافعه ويحذره من مواطن الشرّ والضرّ.

وإذا كانت هذه الهداية الالهيّة التي تسوق النوع الانساني إلى سعادته وخيره وتندبه نحو منافع وجوده هداية بحسب التكوين، وفي طور الخلقة، ومن المحال أن يقع خطأ في التكوين، كان من الحتم الضروري أن يدرك الانسان لسعادة وجوده إدراكاً لا يقع فيه شكّ، كما أنّ سائر الأنواع المخلوقة تسير إلى ما فيه خير وجوده ومنافع شخصه من غير أن يسهو فيه من حيث فطرته، وإنّما يقع الخبط فيما يقع من جهة تأثير عوامل وأسباب اخرى مضادة تؤثر فيه أثراً مخالفاً، ينحرف فيه الشيء عمّا هو خير له إلى ما هو شر، وعمّا فيه نفعه إلى ما فيه ضرر يعود إليه.

وذلك كالجسم الثقيل الأرضي الذي يستقرّ بحسب الطبيعة الأرضيّة على بسيط الأرض، ثمّ انه يبتعد عن الأرض بالحركة إلى جهة العلو بدفع دافع يجبره على خلاف الطبع فاذا بطل أثر الدفع عاد إلى مستقره بالحركة نحو الأرض على استقامة إلّا أن يمنعه مانع؛ فيخرجه عن السير الاستقامي إلى انحراف واعوجاج.

وهذا هو الذي يصرّ عليه القرآن الكريم انّ الانسان لا يخفى عليه ما فيه سعادته في الحياة من علم وعمل وأنّه يدرك بفطرته ما هو حق الاعتقاد والعمل، قال تعالى:

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[١]

وقال تعالى:

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.[٢]

إلىٰ أن قال:

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾.[٣]

وقال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾.[٤]

نعم ربما أخطأ الانسان طريق الحقّ في اعتقاد أو عمل وخبط في مشيته لكن لا لأنّ الفطرة الانسانيّة والهداية الالهيّة أوقعته في ضلالة وأوردته في تهلكة بل لأنّه أغفل عقله ونسي رشده واتّبع هوى نفسه وما زيّنه جنود الشياطين في عينه، قال تعالى:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِن رَبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ﴾.[٥]

وقال سبحانه:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ

---

١. سورة الروم (٣٠): ٣٠.
٢. سورة الأعلى (٨٧): ٢ ـ ٣.
٣. سورة الأعلى (٨٧): ٩ ـ ١١.
٤. سورة شمس (٩١): ٧ ـ ١٠.
٥. سورة النجم (٥٣): ٢٣.

سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.[1]

فهذه الأُمور التي تدعو إليها الفطرة الانسانيّة من حق العلم والعمل لوازم الحياة السعيدة الانسانيّة وهي الحياة الحقيقيّة التي بالحري أن تختص باسم الحياة السعيدة تستتبعها، كما انها تستلزم الحياة وتستتبعها وتعيدها إلى محلّها لو ضعفت الحياة في محلّها بورود ما يضادها ويبطل رشد فعلها.

فاذا انحرف الانسان عن سوي الصراط الذي تهديه إليه الفطرة الانسانيّة وتسوقه إليه الهداية الالهيّة فقد فَقَدَ لوازم الحياة السعيدة من العلم النافع والعمل الصالح ولحق بحلول الجهل وفساد الارادة الحرّة والعمل النافع بالأموات ولا يحييه إلّا علم حقّ وعمل حقّ، وهما اللذان تندب إليهما الفطرة وهذا هو الذي تشير الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.[2]

وهذه الدعوة مطلقة إلى أنواع الحياة السعيدة الحقيقيّة كالحياة السعيدة في جوار الله سبحانه في الآخرة.

ومن هنا يظهر أن لا وجه لتقييد الآية بما قيدها به أكثر المفسّرين فقد قال بعضهم:

انّ المراد بقوله «إذا دعاكم لما يحييكم» بالنظر إلى مورد النزول: إذا دعاكم إلى الجهاد إذ فيه احياء أمركم واعاز دينكم.

---

١. سورة الجاثيه (٤٥): ٢٣.
٢. سورة الأنفال (٨): ٢٤.

وقيل: المعنى إذا دعاكم إلى الشهادة في سبيل الله في قوله:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.[1]

وقيل: المعنى إذا دعاكم إلى الايمان فانّه حياة القلب والكفر موته أو إذا دعاكم إلى الحقّ.

وقيل: المعنى إذا دعاكم إلى القرآن والعلم في الدين لأنّ العلم حياة والجهل موت والقرآن نور وحياة وعلم.

وقيل: المعنى إذا دعاكم إلى الجنّة لما فيها من الحياة الدائمة والنعمة الباقية الأبديّة.[2]

### الحياة الحقيقيّة في ضوء الروايات

لولا وجود الأنبياء ودين الإسلام الحنيف بمعناه الشامل للحياة حيث الاسلام هو الدعوة إلى التوحيد الالهي والايمان بالمعاد والسير على هدي تعاليم السماء، فيا ترىٰ ماذا سيكون مصير البشريّة، ولولا مشاعل النور التي حملها الأنبياء والرسل الالهيّون لكان البشر يعيشون في ظلمات موحشة.

يقول الامام علي عليه السلام:

**لاٰحياةَ إلاّ بالدِّينِ وَ لاٰمَوتَ اِلاّ بِجُحُودِ اليَقينِ، فَاشْرَبُوا العَذْبَ الفُراتَ يُنَبِّهْكُم مِنْ نَوْمَةِ السُّباٰتِ، وَ إيّاكُم وَ السَّماٰئِمِ المُهْلِكاٰتِ.**[3]

---

١. سورة آل عمران (٣): ١٦٩.
٢. تفسير الميزان: ٩/ ٤٤ ـ ٤٦.
٣. بحار الأنوار: ٧٤/ ٤١٧؛ الارشاد، الشيخ المفيد: ١/ ٢٩٦.

واذن فانّ الايمان بالله الواحد الأحد هو الذي يبعث الحياة والروح في نفوس البشر، وعندما ينفذ نور الايمان في، القلوب تنبعث فيها الحياة وتتدفّق بالأمل الواعد.

**مُعاشَرَةُ ذَوي الفَضائِل حَياةُ القُلوبِ.**[١]

أجل تنبعث الحياة في القلوب عندما يعيش الناس في ظلال رسل الله وأوصيائهم فهؤلاء الكرام اصطفاهم الله من بين عباده إذ تلقّت قلوبهم الطاهرة نور الايمان وأشرق الوعي، ولذا فانّ السير على خطى الأنبياء يتمثّل اليوم بموقف الولاء لوصي آخر الأنبياء ومساندة كلّ من يسير على طريقه.

جاء في الحديث الشريف عن النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله:

**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيىٰ حَيَاةً تُشْبِهُ حَيَاةَ الأَنْبِياءِ، وَ يَمُوتَ مَيتَةً تُشْبِهُ مِيتَةَ الشُّهَدَاءِ وَ يَسْكُنَ الْجِنانَ الَّتي غَرَسَهاَ الرَّحمٰنُ، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيّاً وَ لْيُوالِ وَلِيَّهُ وَ لْيَقْتَدِ بَالأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ فَاِنَّهُمْ عِتْرَتي خُلِقُوا مِنْ طِينَتى، اَللّٰهُمَّ ارْزُقْهُمْ فَهمي وَ عِلْمي، وَ وَيْلٌ لِلْمُخالِفينَ لَهُمْ مِنْ أُمَّتي؛ اَللّٰهُمَّ لاٰتُنِلْهُمْ شَفاعَتي.**[٢]

وهذه هي دعوة الله عزّوجلّ إلى دار السلام:

﴿**وَ ٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾.[٣]

وعندما تتبلور الحياة في ضوء الايمان بالله الواحد الأحد وبيوم البعث والنشور فانّها تتحوّل إلى دار السلام والطمأنينة.

---

١. غرر الحكم و درر الكلم: ٤٢٩.
٢. الكافي: ١ /٢٠٨؛ الأمالي، الشيخ الطوسي: ٥٧٨.
٣. سورة يونس (١٠): ٢٥.

ومن هنا فان انفصال الانسان عن طريق الأنبياء ولا يعني الابـتعاد عـن الله والحرمان من فيضه فحسب وإنّما أيضاً السقوط في فخّ الشيطان والسقوط فـي مستنقع الحياة الحيوانيّة وهنا نشهد موت القلب وانطفاء النور في داخله ويتحوّل الانسان إلى ما هو أدنى من الحيوان.

**[﴿٣﴾ اَللَّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ وَالَّذِينَ أَبْلَوُا الْبَلاَءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ وَكَانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إِلَى وِفَادَتِهِ وَسَابَقُوا إِلَى دَعْوَتِهِ وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسَالاَتِهِ.**

**﴿٤﴾ وَفَارَقُوا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ وَقَاتَلُوا الآبَاءَ وَالأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيتِ نُبُوَّتِهِ وَانْتَصَرُوا بِهِ]**

وصلاة على رجال نصروا رسول الله في ساعات المحنة وأحسنوا صحبته وضحّوا في سبيل الله من أجله.

**أصحاب الرسول ﷺ**

ثمّة فريق من المسلمين وعددهم ليس باليسير يعتقدون انّ كلّ صحابة رسول الله ﷺ هم عدول، مجتهدون وانّهم جميعاً من أهل النجاة، وإذا ما ارتكب ذنباً ما فانّما هو مجتهد أخطأ في اجتهاده ولا بأس عليه ويمكن الاقتداء به.

غير أنّ أهل الانصاف الذين يعتبرون الحقّ والحقيقة والبصيرة والرؤية الصحيحة محوراً في حياتهم يعتبرون هذه العقيدة (في عدالة جميع الصحابة)

مجانبة للعقل ومناهضة للعدل والانصاف وأنّها في تناقض مع الآيات القرآنيّة الصريحة.

ويقولون انّ مجرّد الصحبة ليست معياراً للعدالة والنجاة وانّنا إذا ما اعتبرناهم مجتهدين فانّهم:

أوّلاً: قد خالفوا في الغالب باجتهادهم النصّ الصريح لكتاب الله عزّوجلّ وسنّة رسوله ﷺ وبهذا فانّ المجتهد باجتهاده هذا ليس معذوراً عند الله تبارك وتعالى.

ثانياً: لماذا لا نعتبر كلّ المجتمع في كلّ خطأ يرتكبه مجتهداً؟ وبأيّ دليل نقول انّ هؤلاء مجتهدين وغيرهم ليسوا بمجتهدين؟

فعلى أساس مقولتكم هذه فانّ كلّ طاغية وكلّ ظالم وكلّ فاسق وزاني ومرابي وقاتل ولص يدّعي أنّه مسلم يعتبر مجتهداً في كلّ ما قام وهو بالتالي معذور!

وفي ضوء ذلك كلّه فما هو مفهوم نبوّة الأنبياء وكتب السماء وولاية الأولياء وما هو معنى الحلال والحرام؟

ففي حالة اعتبار كلّ مرتكب للمعصية من الصحابة مجتهداً، وانّه لا بأس عليه فيما قام به فما هو معنى الحساب في يوم القيامة؟!

انّ هذه العقيدة في اعتبار جميع الصحابة عدولاً وانّه يمكن الاقتداء بهم على تناقضاتهم وانتهاكاتهم للشريعة لأمر يبعث على الدهشة والحيرة والتعجّب!!

فبأيّ دليل من كتاب الله وسنّة رسول الله يستدلّون وإلى أيّة حجّة يستندون؟

## أصحاب الرسول ﷺ في القرآن الكريم

لقد تحدث القرآن الكريم في العديد من آياته عن الميحطين برسول الله ﷺ

وكان القرآن الكريم ينتقد بعضهم على اظهار الايمان وكتمان عدائهم لله ورسوله.

بل انّ كثيراً منهم كان يتآمر ضدّ الرسول صلى الله عليه وآله ورسالته، وهم يعدّون في ظاهر الأمر من الصحابة لأنّ بعضهم اولئك كانوا يرافقون النبيّ صلى الله عليه وآله ويجلسون عنده.

يقول القرآن الكريم بشأن هؤلاء:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.[١]

﴿ يُخادِعُونَ ٱللهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾.[٢]

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾.[٣]

بينما تنهض العقيدة الاسلاميّة على مفاهيم القرآن الكريم وكلّ المسلمين يعرفون جيداً انّ التقوى هي الأساس في الكرامة عند الله عزّوجلّ:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ ﴾.[٤]

﴿ بَلىٰ مَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ وَٱتَّقىٰ فَإِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.[٥]

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلّا وارِدُها كانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظّالِمِينَ فيها جِثِيّاً ﴾.[٦]

انّ القرآن الكريم يؤكّد هذه الحقيقة في أنّ المعيار الوحيد الكرامة عند الله

---

١. سورة البقرة (٢): ٨.
٢. سورة البقرة (٢): ٩.
٣. سورة البقرة (٢): ١٠.
٤. سورة الحجرات (٤٩): ١٣.
٥. سورة آل عمران (٣): ٧٦.
٦. سورة مريم (١٩): ٧١ ـ ٧٢.

عزّوجلّ والنجاة من النار يوم القيامة هو «التقوى» فبأيّ دليل نعتبر العديد من الأشخاص وهم لا تقوى لهم قد انغمسوا في المعاصي والذنوب وتجاوزوا حدود الله سبحانه وداسوا على آيات القرآن من أهل النجاة لا لشيء إلّا لأنّهم من الصحابة وكلّ الصحابة عدول أو انّ الله قد رضي عنهم؟!

قال سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قريباً﴾.[1]

فاذا كان هؤلاء يستدلّون على عدالة الصحابة ورضا الله سبحانه عنهم إلى هذه الآية الكريمة فانّنا نقول لهم:

أوّلاً: انّ الآية تصرّح بالرضا الالهي عن المؤمنين حقّاً لا عن الذين يدّعون الايمان والذين ندّدت بهم الآيات (٨) و(٩) و(١٠) من سورة البقرة ذلك انّهم في ضوء الآيات كانوا منافقين ومخادعين ويعانون من أمراض نفسيّة شديدة.

ثانياً: انّ الرضا الالهي يستمرّ مادام الانسان مؤمناً ملتزماً بميثاق الله عزّوجلّ وبيعته مع الرسول صلى الله عليه وآله، فاذا انتهك البيعة والميثاق زال عنه الرضا الالهي وما أكثر الاشارات الصريحة في آيات القرآن الكريم التي تحدّثت عن أناس حبطت أعمالهم وعن أناس آمنوا ثمّ كفروا ثمّ آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً وعن أناس انسلخوا عن آيات الله.

إنّ نكث البيعة وانتهاك الميثاق من كبائر الذنوب وقد ورد في تاريخ الاسلام

---

١. سورة الفتح (٤٨): ١٨.

عن بعض الصحابة الذين نكثوا العهد والميثاق مع الله ورسوله.

وكانت البيعة مع الله ورسوله انّهم عاهدوا على عدم الشرك والكفر والقتل والزنا والربا وعدم الفرار في المعارك وأن يفدوا دين الله بأرواحهم وأنفسهم وأموالهم يقاتلون في سبيله إلى آخر رمق من الحياة.

جاء في الحديث الشريف عن الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قوله:

**ثَلاثٌ مُوبِقاتٌ: نَكْثُ الصَّفْقَةِ، وَتَرْكُ السُّنَّةِ، وَفِراقُ الْجَماعَةِ.**[1]

إن نكث البيعة والميثاق وترك السنّة وفراق الجماعة تفضي بالانسان المسلم إلى العذاب في يوم القيامة، لأنّها انسلاخ عن الدين الاسلامي الحنيف.

## الصحابة متساوون مع سائر المسلمين في الالتزام والعمل

الجرم له صور متعدّدة وهو عبارة عن ارتكاب الذنب جسميّاً وماليّاً وعائليّاً واجتماعيّاً وكلّ عمل يخالف رضا الله ورسوله.

والمجرم هو من يستجيب لأهوائه وغرائزه ويضرب الحقّ عرض الجدار ومن يبيع آخرته بدنياه ويرجح هواه على ارادة الله.

والمجرم مجرم لا فرق بين أن يكون صحابيّاً أو غير صحابي والمتّقي كذلك سواء كان صحابيّاً أو غير صحابي فهو من أهل النجاة.

وملاك العذاب والهلاك ومعيار النجاة والخلاص يوم القيامة يكمن في تقوى الله عزّوجلّ وهذا ينطبق على البشر جميعاً وعلى جميع الأجيال البشريّة.

---

١. بحار الأنوار: ٦٤ / ١٨٥؛ المحاسن: ١ / ٩٤.

﴿ يَوْمَ نحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمٰنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً ﴾.[١]

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾.[٢]

وهكذا لا نجد تمييزاً في التعامل مع البشر جميعاً.

**المساواة في ضوء القرآن الكريم**

انّنا نجد نصوصاً قرآنيّة تنسف مقولة عدالة الصحابة جميعاً بلا استثناء:

﴿ ضَرَبَ ٱللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَةَ نُوحٍ وَٱمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ٱدْخُلاَ ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ ﴾.[٣]

والآن ماذا يقول أصحاب نظريّة عدالة الصحابة في هذه الآية الكريمة:

﴿ يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى ٱللهِ يَسِيراً ﴾.[٤]

إنّ أقرب الناس للنبيّ صلى الله عليه وآله اذا أجرم فهو مجرم، لأنّه لا فرق عند الله سبحانه من يكون هذا المجرم؟

ولقد ندّد الله سبحانه وتعالى بالمجرمين لا فرق بين أن يكون المجرم عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله أو رجل من أقصى الدنيا.

---

١. سورة مريم (١٩): ٨٥ ـ ٨٦.
٢. سورة القلم (٦٨): ٣٥.
٣. سورة التحريم (٦٦): ١٠.
٤. سورة الأحزاب (٣٣): ٣٠.

**مفهوم الصحابة**

من يقرأ سورة الأحزاب الآيات (١٢ ـ ٢٠)[١] وإلى أبعد من ذلك فانّه لابدّ وأن يصاب بالدهشة من تلك النماذج وهم محسوبون على الصحابة والتي وقفت مواقف مخزيّة في ملابسات حوادث الخندق في سنة ٥ هجاء في بعض التفاسير بشأن غزو قوّات الأحزاب ومحاولتهم اقتحام المدينة المنوّرة وما وقع من حوادث ابان الحصار المفروض في أجواء قارسة البرد، حيث واجه المسلمون شحّة في المواد الغذائيّة، وكانت العواصف عاتية ولذا تعرّضت المدينة إلى ما يشبه الزلزال الشديد، فقد اضطربت النفوس وظهر ما كان يخفيه المنافقون من نفاق.

ووضع المسلمون على المحك، كان البعض خائفاً جدّاً مذعوراً يشعر بدنو النهاية فسوف تتخطّفه سيوف الغزاة، فترى عينيه زائغتين من الخوف وكان بعضهم

---

١. ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِنْ ٱقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا ٱللهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ ٱلأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللهِ مَسْؤُولاً * قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذاً لاَ تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً * قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِنَ ٱللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ ٱللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً * قَدْ يَعْلَمُ ٱللهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُولٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ ٱللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى ٱللهِ يَسِيراً * يَحْسَبُونَ ٱلأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ ٱلأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي ٱلأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً ﴾.

مصاباً بالرعب؛ يخفق قلبه في حنجرته وكان آخرون يسخرون من نبوءات الرسول ﷺ التي اطلقها أثناء حفر الخندق بسيطرة المسلمين على مدن في بلاد فارس والروم.

وهكذا ظهر ما كانوا يخفونه في باطنهم.

وفي غمرة هذا المشهد ظهرت قوّة ايمان المؤمنين ورباطة جأشهم ورسوخ ايمانهم وثباتهم وصلابة عقيدتهم.

انّ آيات الأحزاب لا تتحدّث عمّا جرى من وقائع في مكّة أو الطائف وإنّما تتحدّث عمّا جرى إبّان الغزو والحصار في المجتمع المسلم الذي كان يشتمل على بضعة آلاف من الصحابة.

وليت هؤلاء الذين يستندون إلى ما يروون من حديث:

**أصْحابى كَالنُّجُوم.**[1]

قد اقتدوا بأميرالمؤمنين علي عليه السلام وسلمان والمقداد وأبي ذرّ وحمزة وعمّار بن ياسر وجابر بن عبدالله وأبي أيّوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت المعروف بـ«ذي الشهادتين» وآخرين كانوا في طليعة الصحابة الأتقياء المنتجبين أفلم يكن هؤلاء مثلاً أعلى في الايمان والجهاد والاخلاص والعدالة؟

ألم يسيرون على خطى رسول الله ﷺ لم ينحرفوا عن الطريق قيد أنملة حتّى رحلوا عن الدنيا؟

ألم يكونوا من مصاديق الطاعة لله ورسوله والتسليم لأمر الله ورسوله.

---

١. الكشاف: ٢ / ٤٢٤، التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٢ / ٥.

لقد انبرى بعض الصحابة في الأيّام الأخيرة من حياة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله فلم يسمحوا بانتقال الخلافة إلى وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أعلنه صلى الله عليه وآله في يوم الغدير وليّاً للمؤمنين من بعده في الحديث المتواتر الشهير:

**من كنت مولاه عليّ مولاه.**[١]

لقد كان الامام عليّ عليه السلام نفس النبيّ صلى الله عليه وآله (وفق معطيات آية المباهلة) وكان باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله والأكثر جهاداً وتضحية وعبادة وكان الامتداد الطبيعي للرسول صلى الله عليه وآله، ولو أنّ الأمّة اصطفت ووقفت وسلّمت لرسول الله صلى الله عليه وآله في وصاياه وسلّمت أمرها إليه لما آلت إليه أُمور المسلمين إلى ما نحن عليه اليوم، ولما تعرّضت لغارات المستعمرين ونهب ثرواتهم وتشرذمهم.[٢]

ومن المؤسف أنّهم عمدوا إلى تفسير كلمة «مولى» على معاني بعيدة عن المعنى الحقيقي الوارد في الآية الكريمة:

﴿اَلنَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾.[٣]

فلقد فسّرت بمعنى المحبّ!

---

١. يمكن مراجعة الكتب القيمة في هذا المضمار من قبيل كتاب «المراجعات» و«العبقات» و«احقاق الحقّ» و«الآيات النازلة في عليّ عليه السلام» و«دلائل الصدق» و«النصّ والاجتهاد» و«الانصاف» و«ليالي پيشاور».

٢. يقول المفكّر الجزائري الراحل (١٩٠٥ ـ ١٩٧٣ م) في حرب صفّين سنة ٣٨ هـ:
إنّ المجتمع الاسلامي تعرّض للاختيار والاختيار الحتم بين عليّ ومعاوية بين الحكم الديمقراطي في المدينة والحكم المستبد في دمشق ولكن المجتمع الإسلامي ومع الأسف اختار الطريق الذي يؤدّي به إلى القابليّة للاستعمار ثمّ الاستعمار. انظر كتابه «الفكرة الافريقيّة الآسيويّة في ضوء مؤتمر باندونج ص١١١» وانظر كتابه «شروط النهضة» ـ المترجم.

٣. سورة الأحزاب (٣٣): ٦.

وعندما استولى معاوية على الخلافة بقوّة الحديد والنار واغتصبها اغتصاباً لقّب نفسه بـ «خال المؤمنين» ثمّ نراه يحرق الشهيد محمّد بن أبي بكر بعد قتله لأنّه اتّبع الامام علي عليه السلام ثمّ جاء الناكثون لينكثوا البيعة مع الامام الشرعي والخليفة الشرعي وتسبّبوا باراقة انهار من الدم دون ذنب وارتكبوا جرائم قتل قبل ذلك لدى غدرهم بالاتّفاق مع والي البصرة فشنّوا غارتهم في ليلة ظلماء واعتقلوا المئات وقاموا باعدامهم بدم بارد، وقد جاء في القرآن الكريم:

﴿ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً ﴾.[1]

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾.[2]

فجاء من يعذرهم لأنّهم تابوا مع انّهم لقوا مصرعهم في ساحة القتال!

فهل هناك مسوّغ شرعي لحرب الجمل؟! وهل هناك دليل من القرآن والسنّة يبرر لهم التمرّد على الخليفة الشرعي وإمام زمانهم؟!

أم أنّ الدنيا خدعتهم والاطماع غرّتهم والحسد والحقد حرّكهم ودفعهم إلى أن يرفعوا قميص عثمان الخليفة القتيل وهم من حاصروا قصره واقتحموه وفتحوا باب الفتن والحروب الأهليّة والاقتتال الأخوي بين أبناء الدين الواحد!!

وفي صخب الدنيا وحمى الأطماع وعربدة الغرائز الحيوانيّة ضاع صوت

---

١. سورة المائدة (٥): ٣٢.
٢. سورة النساء (٤): ٩٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله في أحاديثه الشريفة من قبيل حديث السفينة وحديث الثقلين وباب حطّة وحديث المنزلة.[١]

تصفون أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام بـ «الرافضة» وتخرجونهم من أُمّة الاسلام.

وفي نفس الوقت تعذرون قاتل الصحابي مالك بن نويرة والزاني بزوجته في نفس الليلة وتقولون اجتهد فأخطأ.

وترجحون أحاديث بعض أزواج النبيّ على أحاديث السيّدة أُمّ سلمة التي شهد القرآن الكريم بصدق ايمانها.

ولا أدري كيف تفسّرون الآيات القرآنيّة أدناه:

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.[٢]

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ

---

١. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي بن أبي طالب أخي ووصيّي وخليفتي والامام بعدي.
إنّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً وفرض طاعته على كلّ أحد.
علي أفضل الناس بعدي.
لا تحلّ أمرة المؤمنين بعدي لغيره.
علي هو الذي يهدي إلى الحقّ ويعمل به.
معاشر الناس! آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه، النور من الله فيّ ثمّ في عليّ ثمّ في النسل منه إلى القائم المهدي.
رواها الطبري عن زيد بن أرقم. انظر موسوعة الغدير للعلّامة الأميني بشأن نزول آية التبليغ ـ المترجم.

٢. سورة الأحزاب (٣٣): ١٢.

فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.[١]

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾.[٢]

﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾.[٣]

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[٤]

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.[٥]

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[٦]

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.[٧]

---

١. سورة الأحزاب (٣٣): ١٣.
٢. سورة الأحزاب (٣٣): ١٤.
٣. سورة الأحزاب (٣٣): ١٥.
٤. سورة الأحزاب (٣٣): ١٦.
٥. سورة الأحزاب (٣٣): ١٧.
٦. سورة الأحزاب (٣٣): ١٨.
٧. سورة الأحزاب (٣٣): ١٩.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلاً﴾.[1]

**الصفات السلبيّة لبعض الصحابة**

وفي ضوء هذه الآيات الشريفة من سورة الأحزاب تتّضح لدينا الصفات السلبيّة لبعض صحابة النبيّ الأكرم وهي كما يلي:

١ ـ مرض القلب؛

٢ ـ تثبيط المسلمين عن مواجهة الوثنيّين وبثّ روح الانهزاميّة في صفوفهم؛

٣ ـ استعدادهم للعودة والارتداد إلى الوثنيّة والشرك؛

٤ ـ الخوف من القتل والوحشة من الموت وهي من أخلاق اليهود؛

٥ ـ التعلّق بالحياة الدنيويّة المادّيّة؛

٦ ـ انتهاك ميثاق الله وعهده؛

٧ ـ الضعف النفسي وحالة اليأس؛

٨ ـ محاولة منع المسلمين عن القتال والمواجهة في سبيل الله؛

٩ ـ سرعة الغضب والعصبيّة؛

١٠ ـ البخل؛

١١ ـ الحرص؛

١٢؛ غياب الحالة الايمانيّة؛

---

١. سورة الأحزاب (٣٣): ٢٠.

١٣ ـ التقاعس عن العمل؛

١٤ ـ عدم الاكتراث لما يعانيه المجتمع والانانيّة المفرطة.

فهل هذه التوصيفات تجعل من الانسان عادلاً معذوراً ومجتهداً ومن أهل النجاة وقدوة في الهداية؟

ومن أجل هذا يشكك العلماء المنصفون بصحّة الحديث القائل:

**أصْحابى كَالنُّجُومِ بِأيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ.**[١]

انّ هذا الحديث يتناقض مع آيات القرآن الكريم ويصطدم بها بشدّة.[٢]

وعلماء مدرسة أهل البيت ليسوا وحدهم من يشكك في «أصحابي كالنجوم» بل هناك من فحول علماء أهل السنّة من يشكك في مصداقيّة هذا الحديث وصدوره عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فهذا القاضي عياض المالكي وهو من كبار العلماء يشكّك في الحديث ويضعّف سنده لوجود مجهولين في سلسلة رواته وكذابين أيضاً.

وجاء في جانب من المقالة الرابعة في كتاب «سرّ العالمين» انّ مجرّد «الصحبة» لا تمنع الصحابي من الوقوع في الأهواء والانحراف عن جادّة الحقّ.

أمّا حديث التهنئة فهناك اجماع عليه من كلّ المذاهب وفي خصوص حديث تهنئة الشيخين فقد رواه من أئمّة الحديث والتفسير والتاريخ عدد كبير وقد عدّ منهم العلّامة الأميني في موسوعته الغدير ستّين[٣] ممّن رووه، في طليعتهم:

---

١. الكشاف: ٢ / ٤٢٤؛ التفسير الكبير، الفخرالرازي: ٢ / ٥.

٢. الأنعام (٦): ١١٦؛ الأحزاب (٣٣): ١؛ القلم (٦٨): ٨؛ الانسان (٧٦).

٣. انظر الغدير: ١ / ٥١٠ ـ ٥٢٧.

١ ـ الامام أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١ هـ[١].

٢ ـ الحافظ أبو جعفر بن محمّد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ هـ[٢].

٣ ـ حجّة الإسلام أبو حامد الغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ[٣].

٤ ـ أبو الفتح الأشعري الشهرستاني المتوفى ٥٤٨ هـ[٤].

٥ ـ فخرالدين الرازي الشافعي المتوفى ٦٠٦ هـ[٥].

٦ ـ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١ هـ[٦].

وقد أورد المؤرّخون وأهل الحديث انّ النبيّ صلى الله عليه وآله قبيل وفاته أراد أن يكتب كتاباً «لن تضلّوا بعده أبداً»، فانبرى أحد كبار الصحابة فقال: وكان في طليعة المهنّئين[٧] للامام عليّ عليه السلام على نصبه للولاية:

**إنَّ الرَّجُلَ لَيَهْجُرُ حَسْبُنَا كِتَابَ الله.**[٨]

وقد وقع هذا الحادث في بيت النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الخميس، ولذلك أطلق ابن عبّاس حبر الأُمّة على ذلك اليوم «رزيّة يوم الخميس» والحقّ ان ما حصل كان مأساة بل أساساً لكلّ المآسي والكوارث التي وقعت بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وفي طليعته مأساة عاشوراء.

---

١. مسند أحمد: ٤/٢٨١.
٢. تفسير الطبري: ٣/٤٢٨.
٣. سرّ العالمين: ٩/٢١.
٤. الملل والنحل المطبوع في هامش الفضل لابن حزم: ١/٢٢.
٥. التفسير الكبير: ٣/٦٣٦.
٦. كنز العمّال: ٦/٣٩٧.
٧. ينابيع المودّة: ٢/٢٤٩؛ أعيان الشيعة: ١/٢٩٠؛ الغدير: ١/٢٨٢.
٨. المنتخب من الصحاح الستة، محمدحياة الأنصاري: ٨٢؛ بحار الأنوار: ٣٠/٥٣٥، نقلاً عن مسلم.

أجل ليس الشيعة وحدهم يفندون عدالة جميع الصحابة وإنّما ساندهم ونطق بالحقيقة كبار علماء السنّة وقد دفع بعضهم حياته، فهذا النسائي تعرّض للضرب المبرح لأنّه ألّف كتابه «خصائص اميرالمؤمنين عليّ عليه السلام» وقد توفّي متأثراً بجراحه.

وهذا الحافظ ابن عقدة أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني المتوفى سنة ٣٣٣ هـ كان يحفظ ثلاثمئة ألف حديث مع سندها اتّهم بالرفض لأنّه كان يروي أحاديث تعيب على بعض كبار الصحابة فكتب البعض:

**إنَّ هٰذَا الشَّيْخَ كانَ يَجْلِسُ فى جامِعِ بَراثا و يُحَدِّثُ النّاسَ بِمَثالِبِ الشَّيْخَيْنِ، وَلِذا تُرِكَتْ رِواياتُهُ وَإلّا فَلا كَلامَ لِأَحَدٍ فى صِدْقِهِ وَثِقَتِهِ.**[1]

وتعرّض المؤرّخ الكبير محمّد بن جرير الطبري للاعتداء من قبل متعصّبين حنابلة وهوجم منزله ورمي بالحجارة وكان في السادسة والثمانين من عمره ولو لا تدخّل الآلاف من رجال الشرطة لاقتحموا منزله وتخطّفوا لحمه وبعد أيّام توفي الشيخ ليدفن في بيته سرّاً خوفاً من عمل انتقامي يقوم به المتعصّبون! وتمّ نقل تل من الحجارة تكوّن أمام منزله[2]

وكانت قد صدرت فتوى بتكفيره والحاده!

---

١. نهاية الدراية، السيّد حسن الصدر: ٥٢٣؛ أبوبكر بن أبي قحافه، علي الخليلي: ٣٢٩.

٢. انظر موسوعة التاريخ الاسلامي الدكتور هادي اليوسفي الغروي: ٥٨١/٧ ـ ٥٨٢؛ أحداث التاريخ الإسلامي، عبدالسلام الترمانيني الجزء الثاني من المجلّد الأوّل: ٤٤٢.

### المتمرّدون من الصحابة

هل هناك من ينكر أحاديث اللعن بشأن الحكم وابنه مروان وقصّة ابعاده إلى الطائف بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

وهل هناك من ينكر تمرّد العديد من كبار الصحابة وعدم التحاقهم بجيش أُسامة واجبارهم الأخير على التوقّف في ضواحي المدينة المنوّرة ومن ثمّ تسلّلهم وعودتهم إلى المدينة، والنبيّ صلى الله عليه وآله ما انفكّ يشدّد على تحرّك الجيش ويقول: «لعن الله من تخلّف عن جيش أُسامة».

وهل هناك من ينكر مجلس شرب الخمر الذي عقده عشرة من الصحابة وكيف كانوا يقرؤون الأشعار في رثاء قتلى معركة بدر من الوثنيّين أعداء الله ورسوله وشعور النبيّ صلى الله عليه وآله بالغضب من هذه التصرّفات.[1]

### مواصفات الصحابة الحقيقيّن

أورد الإمام السجّاد عليه السلام في دعائه:

**اَللَّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ وَالَّذِينَ أَبْلَوُا الْبَلاَءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ وَكَانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إِلَى وِفَادَتِهِ وَسَابَقُوا إِلَى دَعْوَتِهِ وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسَالاَتِهِ.**

**وَفَارَقُوا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ وَقَاتَلُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيتِ**

---

١. مسند أحمد بن حنبل: ٣/١٨١، ٢٢٧؛ تفسير ابن كثير: ٢/٩٣، ٩٤؛ الدرّ المنثور: ٢/٣٢١؛ تفسير الطبري: ٧/٢٤؛ الإصابة: ٤/٢٢؛ فتح الباري: ١٠/٢٤؛ عمدة القاري: ١٠/٨٤؛ السنن الكبرى، البيهقي: ٢٨٦ و ٢٩٠.

**نُبُوَّتِهِ وَانْتَصَرُوا بِهِ.**

للصحابة الحقيقيّين الأتقياء المنتجبين الميامين من أهل الايمان والفلاح توصيفات، في طليعتها:

ـ انهم احسنوا الصحبة لرسول الله ﷺ؛

ـ بذلوا قصارى جهودهم في نصرة الدين؛

ـ ساندوا رسول الله ﷺ في جميع المواطن والمواقع؛

ـ كانوا من المسارعين والمبادرين في الاستجابة لدعوته بعد الاستماع والاصغاء لحجّته؛

ـ مفارقة الأزواج والأبناء من أجل نشر كلمة الاسلام؛

ـ محاربة الآباء والأبناء من أجل تثبيت النبوّة وارساء دعائم الرسالة.

**مواصفات الصحابة الحقيقيّين للرسول ﷺ في ضوء الآيات والروايات**

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.[1]

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[2]

والآيتان تشيران إلى أنّ الصحابة الحقيقيّين كان رادة في اعتناق الاسلام

---

١. سورة الأعراف (٧): ١٥٧.
٢. سورة التوبه (٩): ١٠٠.

والهجرة وهؤلاء هاجروا من مكّة إلى المدينة فاستقبلهم اخوانهم من الرادة في الاسلام والنصرة.

فالمهاجرون آمنوا وهاجروا والأنصار آمنوا ونصروا وطائفة ثالثة تابعت المهاجرين المخلصين والانصار الميامين في طريقهم وهو طريق واحد وأحسنوا في السير على خطاهم، فحظي الجميع برضوان الله عزّوجلّ الذي أعدّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، وهذا هو الفوز العظيم.

## أوّل من أسلم

أجمع المفسّرون في بحث الآية أعلاه على أنّ أوّل من أسلم من النساء كانت السيّدة خديجة الكبرى، كما يجمع علماء الشيعة وطائفة كبيرة من علماء السنّة على أنّ أوّل من أسلم من الرجال كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهذه حقيقة كبرى لا يمكن التنكّر لها ما حدا ببعض علماء السنّة إلى ادّعاء الاجماع على ذلك.

## المسلم الأوّل لدى السنّة

قال الحاكم النيسابوري في المستدرك:

**لا أعْلَمُ خِلافاً بَيْنَ أصْحابِ التَّواريخِ أنَّ عَلِيَّ بْنَ أبى طالِبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أوَّلُهُمْ إسْلاماً، وَإنَّمَا اخْتَلَفُوا فى بُلُوغِهِ.**[1]

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب:

**اِتَّفَقُوا عَلىٰ أنَّ خَديجَةَ أوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَصَدَّقَهُ فيما جٰاءَ بِهِ، ثُمَّ**

---

١. الغدير: ٣/ ٢٣٨ نقلاً عن المستدرك على الصحيحين: ٢٢، كتاب المعرفة.

**عَلِيٌّ بَعْدَها.**[١]

وقال أبو جعفر الاسكافي المعتزلي:

**قَدْ رَوَى النّاسُ كافَّةً افْتِخارَ عَلِيٍّ بِالسَّبْقِ إلَى الْإسْلامِ.**[٢]

وقد أوردت كتب الحديث لديهم وإلى حدّ التواتر حديث النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وقوله:

**أوَّلُكُمْ وارِداً عَلَى الْحَوْضِ أوَّلُكُمْ إسْلاماً: عَلِيُّ بنُ أبى طالبٍ.**[٣]

وقد أثبتت موسوعة الغدير أسماء عدد من علماء أهل السنّة رووا بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ بيد عليّ عليه السلام وقال:

**إنَّ هٰذا أوَّلُ مَنْ آمَنَ بى، وَهُوَ أوَّلُ مَنْ يُصافِحُنى، وَهُوَ الصِّدّيقُ الْأكْبَرُ.**[٤]

وانّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام:

**يا عَلِيُّ لَكَ سَبْعُ خِصالٍ لايُحاجُّكَ فيهِنَّ أحَدٌ يَوْمَ القيامَة: أنْتَ أوَّلُ الْمؤمنينَ بِاللهِ إيماناً، وَأوْفاهُمْ بِعَهْدِ اللهِ، وَأقوَمُهُمْ بِأمْرِ الله...**

فأوردت موسوعة الغدير[٥] روايات العديد من علمائهم المثبتة في كتب التفسير والحديث والتاريخ.

وأمام هذا التواتر في أسبقيّة الامام علي عليه السلام للايمان برسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وتصديقه

---

١. الاستيعاب: ٣/١٠٩٢.

٢. الغدير: ٣/٢٣٧، نقلاً عن أبوجعفر الإسكافي فى كتاب العقد الفريد: ٣/٤٣.

٣. المستدرك على الصحيحين: ٣/١٣٦؛ الاستيعاب: ٢/٤٥٧؛ شرح ابن أبي الحديد: ٣/٢٥٨.

٤. الغدير: ٢/٣١٣؛ كنز العمّال: ١١/٦١٦.

٥. الغدير: ٣/٢٢٠ ـ ٢٤٠؛ إحقاق الحقّ: ٣/١١٤ ـ ١٢٠.

وأنّه أوّل من أسلم من الرجال، عمد البعض من المتعصّبين إلى اختراع مسألة جديدة لخطف هذا الامتياز وذلك بادّعائهم انّ الامام عليّ عليه السلام كان صبياً في العاشرة من عمره!

ولذا فانّه لا يقاس باسلام الرجل البالغ! وقد أورد هذا الكلام الفخر الرازي في تفسيره في ذيل الآية أعلاه مع العلم أنّ حادثة يوم الدار تعلن صراحة انّ النبيّ صلى الله عليه وآله طلب من عشيرته المؤازرة ووعد من يؤازره أن يكون وزيره في حياته ووصيّه وخليفته بعد وفاته، فلم ينهض أحد سوى عليّ عليه السلام.

وقد أورد «حديث الدار» العديد من حفاظ الحديث الشريف من أهل السنّة ومن الشيعة وتضمّنت كتب الصحاح وكتب التاريخ هذه الحقيقة.

ولذلك عمد بعض المفسّرين ومن أجل التوفيق بين الرأيين إلى اختراع مقولة جديدة تقول أنّ أوّل من أسلم من النساء السيّدة خديجة الكبرى ومن الرجال أبوبكر ومن الصبيان عليّ، وهذا ما أورده صاحب تفسير «المنار».

وهذه محاولة بائسة للتقليل من أهميّة إسلام الإمام عليّ عليه السلام بذريعة كونه صبيّاً ذلك انّ القرآن الكريم يصرّح قائلاً في نبوّة سيّدنا يحيى عليه السلام قائلاً:

﴿وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾.[1]

في نبوّة سيّدنا عيسى عليه السلام وهو في المهد وقوله كما ورد في القرآن الكريم:

﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾.[2]

يروي ابن أبي الحديد المعتزلي عن أبي جعفر الاسكافي المعتزلي قوله:

---

١. سورة مريم (١٩): ١٢.
٢. سورة مريم (١٩): ٣٠.

«فأمّا ما احتجّ به الجاحظ بإمامة أبي بكر بكونه أوّل الناس إسلاماً، فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً؛ لاحتجّ به أبوبكر يوم السقيفة وما رأيناه صنع ذلك... ولو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لادّعى واحد من الناس لأبي بكر الامامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الاسلام وما عرفنا أحداً ادّعى له ذلك؛ على أنّ جمهور المحدّثين لم يذكروا ابابكر أسلم إلّا بعد عدّة من الرجال منهم عليّ بن أبي طالب وجعفر أخوه، وزيد بن حارثة وأبوذرّ الغفاري وعمرو بن عنبسة السلمي وخالد بن سعيد بن العاص وخباب بن الأرت وإذا تأمّلنا الروايات الصحيحة والأسانيد القويّة الوثيقة وجدناها كلّها ناطقة بأنّ عليّاً عليه السلام أوّل من أسلم[1].

## عدالة الصحابة مرّة أُخرى

يستند العديد من علماء أهل السنّة في عدالة جميع الصحابة دون استثناء إلى مفاد الآية ١٠٠ من سورة التوبة حيث جعلها البعض دليلاً قاطعاً على هذا الادّعاء ولذا فانّنا نحلّل هنا هذا الموضوع المهمّ الذي يعتبر أساساً ومنبعاً لاختلاف كثيرة في قضايا اسلاميّة أُخرى.

إنّ كثيراً من مفسّري اهل السنّة نقلوا حديثاً في تفسير هذه الآية وهو أنّ حميد بن زياد قال: ذهبت إلى محمّد بن كعب القرظي وقلت له: ما تقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: جميع أصحاب رسول اللهِ صلى الله عليه وآله فى الجنة، محسنهم ومسيئهم.

فقلت له: من أين قلت هذا؟

فقال: اقرأ هذه الآية:

---

١. شرح نهج البلاغة، لأبن أبي الحديد: ١٣ / ٢٢٤.

﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.[1]

ثمّ قال: لكن قد اشترط في التابعين أن يتّبعوا الصحابة في أعمال الخير (ففي هذه الصورة فقط هم من الناجين، أمّا الصحابة فلم يشترط عليهم هذا الشرط).

**الردّ على عدالة الصحابة**

إلّا انّ هذا الادّعاء لا يمكن قبوله وهو مردود بأدلّة كثيرة:

أوّلاً: ان الحكم المذكور في الآية يشمل التابعين أيضاً والمقصود من التابعين كلّ الذين يتّبعون المهاجرين والأنصار السابقين في معتقداتهم وأهدافهم وبرامجهم، وعلى هذا فان كلّ الامّه بدون استثناء ناجية.

وأمّا ما ورد في حديث محمّد بن كعب من أنّ الله سبحانه وتعالى قد ذكر قيد الاحسان في التابعين، أي إتباع الصحابة في أعمالهم الحسنة لا في ذنوبهم فهو أعجب البحوث وأغربها لأن مفهوم ذلك اضافة الفرع إلى الأصل، فعندما يكون شرط نجاة التابعين أن يتّبعوا الصحابة في اعمالهم الحسنة، فاشتراط هذه الشرط على الصحابة أنفسهم يكون بطريق أولى.

وبتعبير آخر، فانّ الله تعالى يبيّن في الآية أن رضاه يشمل كلّ المهاجرين والأنصار السابقين الذين كانت لهم برامج وأهداف صالحة وكلّ التابعين لهم، لا انّه

---

١. سورة التوبة (٩): ١٠٠.

قد رضي عن المهاجرين والأنصار، الصالح منهم والطالح، أمّا التابعون فانّه يرضى عنهم بشرط.

ثانياً: ان هذا الموضوع لا يناسب الدليل العقلي بأيّ وجه من الوجوه لأنّ العقل لا يعطي أيّ امتياز لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله فما الفرق بين أبي جهل[1] وأمثاله وبين من آمنوا أوّلاً ثمّ انحرفوا عن الدين؟ ولماذا لا تشمل رحمة الباري والرضوان الالهي الأشخاص الذين جاءوا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بسنوات وقرون، ولم تكن تضحياتهم وجهادهم أقل ممّا عمله أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله بل قد امتازوا بأنّهم لم يروا نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله لكنّهم عرفوه وآمنوا به!

انّ القرآن الكريم الذي يقول:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللهِ أَتْقاكُمْ﴾.[2]

كيف يرضى هذا التمييز وهذه التفرقة غير المنطقيّة؟!

انّ القرآن الكريم الذي يلعن الظالمين والفاسقين في آياته المختلفة ويعدّهم ممّن استوجب العقاب والعذاب الالهي كيف يوافق ويقرّ هذه الحصانة غير المنطقيّة للصحابة مقابل الجزاء الالهي؟ هل أن هذه اللعنات والتهديدات القرآنيّة قابلة للاستثناء وأن يخرج من دائرتها قوم معيّنون؟ لماذا ولأجل أيّ شيء؟

---

١. يقول المورّخ العراقي وعالم الاجتماع الأُستاذ علي الوردي: لو لم يقتل ابو جهل في معركة بدر وبقي إلىٰ فتح مكّة لكان من أكبر الصحابة!!

يعني لتعامل معه التيار المناهض لأهل البيت عليهم السلام على هذا المستوى أي لاحبأ (بمعاوية) ولكن كرهاً لعليّ ـ المترجم.

٢. سورة الحجرات (٤٩): ١٣.

وإذا تجاوزنا كلّ ذلك ألا يعتبر مثل هذا الحكم بمثابة اعطاء الضوء الأخضر للصحابة ليرتكبوا من الذنوب والجرائم ما يحلو لهم؟

ثالثاً: انّ هذا الحكم لا يناسب المتون التاريخيّة والنصوص الاسلاميّة لأن كثيراً ممّن كان في صفوف المهاجرين والأنصار قد انحرف عن طريق الحقّ وتعرّض بعضهم لغضب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وفي قصّة ثعلبة بن حاطب الأنصاري مثال واضح وكيف انحرف وأصبح مورد لعنة وغضب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ونقول بصورة أوضح: إذا كان مقصود هؤلاء انّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله لم يرتكبوا أيّة معصية وكانوا معصومين فهذا من قبيل انكار البديهيّات.

وإن كان مقصودهم أن هؤلاء قد ارتكبوا المعاصي وعملوا المخالفات إلّا انّ الله تعالى راض عنهم رغم ذلك؛ فان معنى ذلك أنّ الله سبحانه قد رضي بالمعصية.

من يستطيع أن يبرئ ساحة طلحة والزبير اللذان كانا من خواص أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وكذلك السيّدة عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله من دماء سبعة عشر ألف مسلم اريقت دماؤهم في حرب الجمل؟

هل أنّ الله عزّوجلّ كان راضياً عن إراقة هذه الدماء، هل أن نكث بيعة أميرالمؤمنين خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ـ الذي إذا لم نقبل النصّ على خلافته فرضاً، فعلى الأقل كان قد انتخب باجماع الأُمّة ـ وشهر السلاح بوجه أصحابه الأوفياء يرضي الله؟

في الحقيقة انّ أصحاب نظريّة تنزيه الصحابة باصرارهم على موقفهم هذا قد شوهوا صورة الإسلام المشرقة؛ والذي جعل الايمان والعمل الصالح المعيار

والأساس الذي يستند عليه في تقييم الأشخاص في كلّ المجالات وفي كلّ الأحوال.

وأخيراً فانّ رضا الله سبحانه قد اتّخذ عنواناً عامّاً وهو الهجرة والنصرة والايمان والعمل الصالح وكلّ الصحابة والتابعين تشملهم رحمة الله ورضاه ماداموا داخلين تحت هذه العناوين فاذا خرجوا منها خرجوا بذلك عن رضا الله تعالى.

يتّضح ممّا قلنا بصورة جليّة أنّ قول المفسّر العالم ـ لكن المتعصّب ـ أي صاحب المنار الذي يشنّ هجوماً عنيفاً وتقريعاً لاذعاً على الشيعة لعدم اعتقادهم بنزاهة الصحابة جميعاً لا قيمة له، إذ الشيعة لا ذنب لهم إلّا انّهم أذعنوا لحكم العقل وشهادة التاريخ وشواهد القرآن وأدلّته في هذه المسألة، ولم يعترفوا بالامتيازات الواهية والأوسمة التي منحها المتعصّبون للصحابة بدون استحقاق.[1]

**معاوية... الجريمة والعقاب**

حياة معاوية سجّل أسود من الجرائم والموبقات والآثام، فقد كان معاوية يعاقر الخمر ويسكر ويتعاطى الربا ويقتل على مجرّد بعض الشكوك وفيما يلي تفصيل أكثر في جرائم معاوية:

١ ـ اعلانه الحرب على الامام عليّ عليه السلام الخليفة الشرعي وحدوث حرب صفّين التي راح ضحيّتها زهاء سبعين ألف انسان، رغم وجود عمّار بن ياسر في جبهة الامام عليه السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ عمّار: عمّار مع الحقّ والحقّ مع عمّار،

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٦، ص ١٩٠ ـ ١٩٢.

عمّار تقتله الفئة الباغية.[١]

٢ ـ اعلان الحرب على سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفة المسلمين الشرعي الحسن بن عليّ عليه السلام.

٣ ـ غدره بالعهد الذي وقّعه مع الامام الحسن المجتبى عليه السلام.

٤ ـ اغراء جعدة بنت الأشعث زوجة الامام الحسن واقناعها بدسّ السمّ للامام عليه السلام الذي استشهد إثر المؤامرة.

٥ ـ اظهاره الفرحة والسرور لدى سماعه وفاة الإمام الحسن عليه السلام.

٦ ـ شنّ الغارات على المدن الآمنة وقتل الأبرياء، فقد قتل أحد قادته وهو بسر بن ارطاة ثلاثين ألف انسان في غارته على الحجاز واليمن ولم يسلم الأطفال الصغار من سيفه حيث قتل طفلي عبيدالله بن عبّاس في أحضان أُمّهما التي هامت على وجهها بعد تلك الجريمة الشنعاء.

٧ ـ ارساله الضحّاك بن قيس الفهري لشنّ الغارة على المناطق الخاضعة لنفوذ الشرعيّة وارتكاب مجازر وقيامه بالسلب والنهب.

٨ ـ ارساله عبدالله بن مسعدة إلى الحجاز والإغارة على مكّة والمدينة واجباره السكّان على اعلان الولاء لمعاوية.

٩ ـ تفويضه زياد بن أبيه حكم العراق والتأكيد على اضطهاد شيعة الامام عليّ عليه السلام.

١٠ ـ قتله الصحابي الجليل حجر بن عدي لا لذنب سوى الولاء للإمام عليّ عليه السلام.

---

١. بحار الأنوار: ٣٣ / ٧، باب ١٣؛ العمدة: ٣٢٤.

١١ ـ مطاردة عمر بن الحمق الخزاعي واعتقال زوجته وسجنها في دمشق وبعد أن قبض على الصحابي تمّ قتله وقطع رأسه والقائه في حجر زوجته السجينة.

١٢ ـ قتله صيفي بن فسيل بسبب ولائه للإمام علي عليه السلام.

١٣ ـ اغتيال مالك بن الحارث الأشتر النخعي وكان شخصيّة على جانب كبير من السمو الأخلاقي والتقوى والورع.

١٤ ـ قتله محمّد بن أبي بكر على نحو فجيع حيث القي جسده في جوف حمار ميّت ثمّ أضرم النار فيه.

١٥ ـ تسليطه عمرو بن العاص على بلاد مصر وتفويضه الحكم المطلق.

١٦ ـ انتهاك حقوق الله.

١٧ ـ انتهاك حقوق الناس.

١٨ ـ تغييره نظام الخلافة إلى النظام الملكي.

١٩ ـ التضييق على الصحابة الأتقياء والتابعين لهم باحسان.

٢٠ ـ مضايقته لأهل البيت عليهم السلام والتضييق عليهم.

٢١ ـ معاقرة الخمر في مجالسه الخاصّة.

٢٢ ـ السماح لبيع الخمور وتعاطيها.

٢٣ ـ نشر الفساد والانحطاط الأخلاقي.

٢٤ ـ اباحته المعاملات الربويّة وتعاطيه الربا.

٢٥ ـ عدم القصر في صلاته في السفر.

٢٦ ـ افتاؤه بجواز الجمع بين الاختين في الزواج.

٢٧ ـ تغيير نظام الديات في الاسلام.

٢٨ ـ بدعته في أمر الأذان.

٢٩ ـ جعل الخطبة قبل الصلاة في العيدين.

٣٠ ـ تعطيله للحدود الشرعيّة.

٣١ ـ سنّه قانون سب أميرالمؤمنين عليه السلام فوق المنابر.

٣٢ ـ قتله للصحابة البدريّين وأصحاب بيعة الشجرة.

٣٣ ـ تشجيعه على تزوير الأحاديث ونسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومنح المزوّرين الهبات الماليّة الضخمة.

٣٤ ـ الطواف برأس الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي فوق رمح في المدن وهو أوّل رأس يطاف به في تاريخ الاسلام.

٣٥ ـ ارتكاب جرائم قتل النساء والأطفال.

٣٦ ـ قبوله شهادة الزور.

٣٧ ـ محاولته نقل منبر رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة إلى الشام.

٣٨ ـ ارتدائه الثياب والحلل الحريريّة وتناول الطعام في آنية الذهب والفضّة.

٣٩ ـ اقامة مجالس اللعب واللهو والطرب.

٤٠ ـ ادّعائه زياد بن أبيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله الولد للفراش وللعاهر الحجر.

٤١ ـ اتّخاذ التدابير والسياسيّة والتمهيد لتسليط ابنه يزيد على الدولة الاسلاميّة وما رافق ذلك من جرائم ومؤامرات انتهت بقلب نظام الحكم من الخلافة إلى نظام ملكي.

**العقوبات التي يجب انزالها بمعاوية على جرائمه**

لقد ارتكب معاوية مختلف الأعمال التي تجعل منه مجرم حرب وسفاحاً ومرابياً بل وملحداً في دين الله.

وفيما يلي نصوص قرآنيّة وحديثيّة بشأن العقوبات المقرّرة بشأن الجرائم التي ارتكبها معاوية:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾.[١]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً * وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾.[٢]

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.[٣]

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾.[٤]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَاحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾.[٥]

---

١. سورة النساء (٤): ٩٣.
٢. سورة الأحزاب (٣٣): ٥٧ ـ ٥٨.
٣. سورة التوبة (٩): ٦١.
٤. سورة البقرة (٢): ٢٧٥.
٥. سورة النور (٢٤): ١٩.

**لَعَنَ اللهُ الخَمْرَ وَشارِبَها وَ بايِعَها وَ مُبْتاٰعَها.**(١)

**لَعَنَ رَسول الله ﷺ آكِلَ الرِّبا وَمُوكِلَهُ.**(٢)

**مَنْ سَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ سَبَّنى، وَ مَنْ سَبَّنى فَقَدْ سَبَّ الله.**(٣)

**لا يُريدُ أَحَدُ أَهْلَ الْمَدينَةِ بِسُوءٍ إِلّا أذابَهُ اللهُ فِى النّارِ ذَوْبَ الرَّصاصِ أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِى الْماء.**(٤)

**مَنْ أخافَ أَهْلَ الْمَدينَةِ ظالِماً لَهُمْ أخافَهُ اللهُ وَكانَتْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ.**(٥)

ومن يريد تفاصيل أكثر ووثائق أوضح في مصادرها الأصليّة فانّه بامكانه أن يراجع: صحيح البخاري ووفاء الوفاء ومجمع الزوائد ومروج الذهب والمحاسن والمساوئ وشرح ابن أبي الحديد وصحيح مسلم وتاريخ ابن عساكر وانساب البلاذري ومعارف ابن قتيبة وطبقات ابن سعد والأغاني وتاريخ الطبري ومستدرك الحاكم ومسند أحمد بن حنبل والاستيعاب وأُسد الغابة وخاصّة موسوعة الغدير الجزء الحادي عشر.

### الهجرة في سبيل الله

ان من خصائص الصحابة الحقيقيّين التي وردت الاشارة إليها في الدعاء الرابع للامام السجّاد عليه السلام هي الهجرة وفراق الوطن والأحبّة من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا.

---

١. مستدرك الوسائل: ١٧ /٧٥؛ عوالى اللآلى: ١ /١٦٦.

٢. من لايحضره الفقيه: ٣ /٢٧٤؛ وسائل الشيعه: ١٨ /١٢٧؛ مستدرك الوسائل: ١٣ /٣٣٦.

٣. بحار الأنوار: ٢٧ /٢٢٧؛ جامع الأخبار: ١٦١.

٤. الغدير: ١١ /٣٤؛ مسند أحمد بن حنبل: ١ /١٨٥.

٥. الغدير: ١١ /٣٥؛ مسند أحمد بن حنبل: ٤ /٥٦.

وفي ضوء حديث النبيّ صلى الله عليه وآله:

**إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ وَ إنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ.**[1]

فانّه يبدو انّ هناك بعض المهاجرين لم تكن هجرتهم في سبيل الله وإنّما لأهداف دنيويّة لذلك انضمّوا إلى صفوف المنافقين.

ولذا فانّ الرضوان الالهي يشمل المهاجرين المخلصين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى آخر يوم في حياتهم.

### الهجرة في القرآن الكريم

**﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أُولٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللهِ وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.**[2]

**﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّآتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِندِ ٱللهِ وَٱللهُ عِندَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾.**[3]

### التعرّب بعد الهجرة

ثمّة موضوع مهم شغل مساحات واسعة في كتب الحديث والتفسير لدى

---

١. بحار الأنوار: ٦٧/ ٢١١.
٢. سورة البقرة (٢): ٢١٨.
٣. سورة آل عمران (٣): ١٩٥.

الفريقين وهو «التعرّب بعد الهجرة».

وقد جاء في الروايات ان من عرف الله ورسوله وآمن بالله ورسوله ثمّ خرج عن الصراط المستقيم وتلوّثت يداه بارتكاب الكبائر فقد حرم من رحمة الله تبارك وتعالى.

ووفقاً للمدوّنات التاريخيّة وكتب التفسير فان طائفة من الصحابة تورّطوا بارتكاب الكبائر ولم يحافظوا على استقامتهم في المنعطفات والتحديات والحوادث؛ وفي مقابل ذلك ثمّة طائفة أُخرى من الصحابة ظلّوا صامدين محافظين على استقامتهم رغم صخب الحوادث وعنف الصراع ودفعوا جرّاء ذلك الثمن باهظاً بل وقدّموا التضحيات عن طيب خاطر في سبيل الله من أجل أن تكون كلمة الاسلام هي العليا.

يقول الامام عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام في هذا المضمار:

**وَلَقَدْ كُنّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله نَقْتُلُ آباءَنا وَأَبْناءَنا وَإِخْوانَنا وَ أَعْمامَنا، ما يَزيدُنا ذٰلِكَ إِلّا إيماناً وَ تَسْليماً وَ مُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ وَ صَبْراً عَلىٰ مَضَضِ الْأَلم وَ جِدّاً فِي جِهادِ الْعَدُوِّ.**

**وَلَقَدْ كانَ الرَّجُلُ مِنّا وَالآخَرُ مِنْ عَدُوِّنا يَتَصاوَلانِ تَصاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخالَسانِ أَنْفُسَهُما أَيُّهُما يَسْقى صاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ، فَمَرَّةً لَنا مِنْ عَدُوِّنا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنا مِنّا.**

**فَلَمّا رَأَى اللهُ صِدْقَنا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلامُ مُلْقِياً جِرانَهُ وَمُتَبَوِّئاً أَوْطانَهُ. وَلَعَمْرى لَوْ كُنّا نَأتى ما أَتَيتُمْ ما قامَ**

**لِلدّينِ عَمُودٌ وَلا اخْضَرَّ لِلْإيمانِ عُودٌ. وَأيْمُ اللهِ لَـتَحْتَلِبُنَّها دَمـاً وَ لَـتُتْبِعُنَّها نَدَماً.**[1]

وفي هذه الخطبة يصف الامام عليّ عليه السلام الصحابة الحقيقيّين وهو في طـليعتهم والتفافهم حول الرسول القائد صلى الله عليه وآله وحماسهم واخـلاصهم وصـدقهم وإقـدامـهم وبسالتهم وشجاعتهم.

لم يكن لهم هم سوى إعلاء شأن الدين ورفـع رايـة التـوحيد فـاضطرّوا إلى مواجهة قبائلهم ومحاربة آبائهم وأبنائهم وأشقائهم.

يقول الامام عليّ عليه السلام: يصف أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله المتّقين المنتجبين:

**كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللهِ وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلا يَشْتَهِي مَا لا يَجِدُ وَلا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ وَكَـانَ ضَـعِيفاً مُسْتَضْعَفاً فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ وَصِلُّ وَادٍ لا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً وَكَانَ لا يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْـتِذَارَهُ وَكَانَ لا يَشْكُو وَجَعاً إِلّا عِنْدَ بُرْئِهِ وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلا يَقُولُ مَا لا يَـفْعَلُ وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَيُخَالِفُهُ فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلائِقِ فَالْزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ.**[2]

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٥٥.
٢. نهج البلاغة، صبحي الصالح، كلمة ٢٨٠.

**[﴿٥﴾ وَمَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ.**

**﴿٦﴾ وَالَّذِينَ هَجَرَتْهُمُ الْعَشَائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَرَابَاتُ إِذْ سَكَنُوا فِي ظِلِّ قَرَابَتِهِ.**

**﴿٧﴾ فَلاَ تَنْسَ لَهُمُ اللَّهُمَّ مَا تَرَكُوا لَكَ وَفِيكَ وَأَرْضِهِمْ مِنْ رِضْوَانِك وَبِمَا حَاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْك وَكَانُوا مَعَ رَسُولِك دُعَاةً لَك إِلَيْكَ.**

**﴿٨﴾ وَاشْكُرْهُمْ عَلَى هَجْرِهِمْ فِيك دِيَارَ قَوْمِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعَاشِ إِلَى ضِيقِهِ وَمَنْ كَثَّرْتَ فِي إِعْزَازِ دِينِك مِنْ مَظْلُومِهِمْ]**

## حقيقة المودّة

وفي هذا المقطع من الدعاء يشير الإمام السجّاد عليه السلام إلى حقيقتين هما:

١ ـ المودّة لأهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ هجرة أنصار الله من المسلمين الأوائل إلى الحبشة.

وترتبط مودّة أهل البيت عليهم السلام بقضيّة الولاية وقبول قيادة الأئمّة المعصومين عليهم السلام من آل الرسول صلى الله عليه وآله حيث تعتبر في الحقيقة استمراراً لقيادة النبيّ صلى الله عليه وآله واستمراراً للولاية الالهيّة وجليّ ان قبول هذه الولاية والقيادة كقبول نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله ستكون سبباً لسعادة البشريّة نفسها وستعود نتائجها إليها.

قال تعالى:

﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾.[١]

ومن هنا فان أجر الرسالة هو المودّة لأهل البيت عليهم السلام:

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللهِ ﴾.[٢]

وتؤكّد كتب الحديث لدى الفريقين على انّ ذوي القربى في الآية الكريمة هم أهل البيت عليهم السلام.

ولذا فان مودّتهم واجب على جميع المسلمين[٣].

والتي تعني ضمناً الولاء لله وحده وأولياء الله واتّخاذ موقف معادي لأعداء الله.

## العلاقة مع الأجنبيّ

انّ مودّة أهل البيت عليهم السلام التي تندرج ضمنها ومعها المودّة لله والأنبياء والرسل هي الباعث لازدهار الحياة الاجتماعيّة وهي السبب أيضاً في سعادة الانسان في الآخرة.

﴿ لاَ يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللهِ فِيْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى

---

١. سورة الشورى (٤٢): ٢٣.
٢. سورة سبأ (٣٤): ٤٧.
٣. يقول الشافعي:

يا راكبا قف بالمحصب من منى ... و اهتف بساكن خيفها و الناهض.
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضا كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

تفسير الفخر الرازي: ٢٧/ ١١٦. ـ المترجم.

﴿ ٱللهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾.[١]

وتحذّر هذه الآية المؤمنين من اقامة علاقات صداقة مع الكافرين سعياً وراء العزّة والقدرة والثروة لأن كلّ هذه الاُمور جميعاً بيد الله عزّوجلّ.

وفي هذه الآية درس سياسي واجتماعي للمسلمين، فتحذرهم من اتّخاذ الأجنبي صديقاً أو حامياً.

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَاأَنْتُمْ أُوْلاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ ٱلأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.[٢]

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعاً ﴾.[٣]

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾.[٤]

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾.[٥]

لقد أفضى القيام بمدّ الجسور مع الدول الاستعماريّة واقامة العلاقات معها إلى

---

١. سورة آل عمران (٣): ٢٨.
٢. سورة آل عمران (٣): ١١٨ ـ ١١٩.
٣. سورة النساء (٤): ١٣٩.
٤. سورة النساء (٤): ١٤٤.
٥. سورة المائدة (٥): ٥١.

قيام دولة إسرائيل في قلب العالم الاسلامي.

وما انفكت الدول الاستعماريّة تتآمر على اذلال المسلمين ونهب ثرواتهم.

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَٱتَّقُوا ٱللهَ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾.[١]

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَتَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾.[٢]

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللهُ بِأَمْرِهِ وَٱللهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾.[٣]

﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولٰئِكَ حِزْبُ ٱللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ ٱللهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.[٤]

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾.[٥]

---

١. سورة المائدة (٥): ٥٧.
٢. سورة التوبة (٩): ٢٣.
٣. سورة التوبة (٩): ٢٤.
٤. سورة المجادلة (٥٨): ٢٢.
٥. سورة الفتح (٤٨): ٢٩.

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوْا بِمَا جَاءَكُم مِنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُم خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.[1]

## وجوب اقامة العلاقات الودّية مع أنصار الحقّ

كما انّ اتّخاذ موقف عدائي ضد أعداء الحقّ واجب على المسلمين فانّه بالمقابل تجب اقامة علاقات ودّيّة متينة مع أنصار الحقّ وأوليائه لأن من شأن ذلك تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

انّ التمسّك بنهج الأنبياء والأئمّة الأوصياء يعني في الحقيقة التمسّك بقيم الحقّ والخير والجمال ذلك انّهم يمثلون مصادر هذه القيم الخالدة وأنّ السير في نهجهم يعني بناء الحضارة الانسانيّة المثلى في الدنيا وتحقيق السعادة الخالدة في عالم الآخرة.

١ ـ انّهم يحبّون الله عزّوجلّ بكلّ وجودهم.

٢ ـ ويؤمنون بالحقّ والآخرة ذروة الايمان.

٣ ـ يعيشون اعلى درجات الوعي الانساني فيما يخصّ العلاقات مع الغيب

---

١. الممتحنة (٦٠): ١ ـ ٣.

والطبيعة والمجتمع الانساني.

٤ ـ تفوق قدراتهم العقليّة العقول جميعاً.

٥ ـ يمثلون أعلى درجات السخاء الانساني.

٦ ـ يمثلون أسمى مواقع الشجاعة.

٧ ـ انهم عبارة عن بحر واسع من العفّة والخصال الحسنة.

٨ ـ يتمتّعون بارادة عالية جدّاً.

٩ ـ في قمّة اللطف الانساني في تعاملهم مع الناس.

١٠ ـ يمثلون أرقى درجات الحلم.

١١ ـ يمتلكون طاقة فريدة من العفو.

١٢ ـ يتحلّون بكلّ الفضائل الانسانيّة والأخلاق النبيلة.

١٣ ـ في قمّة الايثار.

١٤ ـ في غاية الكرم.

١٥ ـ يتوكّلون على الله وحده في جميع أُمورهم.

١٦ ـ منقادون مستسلمون لله سبحانه.

١٧ ـ راضون بقضاء الله وقدره.

١٨ ـ في غاية الوقار والأدب.

١٩ ـ يمثلون أرقى درجات الفروسية.

٢٠ ـ سائرون في طريق الحقّ بثبات واستقامة وصمود.

**قصّة الهجرة إلى الحبشة**

رأى رسول الله ﷺ كيف يصبّ الوثنيّون العذاب على المسلمين المستضعفين ويضطهدونهم دون رحمة وشفقة؛ فطلب من ابن عمّه جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه أن يقودهم ويهاجر إلى أرض الحبشة وأخبرهم ان بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد.

وتنامت أعداد المهاجرين الذين وجدوا في بلاد الحبشة الحريّة في ممارسة طقوسهم الدينيّة وشعر زعماء قريش بالخطر؛ فاجتمعوا يتداولون بشأن المهاجرين وانهم يشكلون تهديداً خطيراً لأنّهم يمثّلون امتداداً عالمياً للاسلام.

لذلك اتّفقوا على ارسال وفد يحمل بعض الهدايا للنجاشي والبطارقة من أركان بلاطه واقناعه باعادة الفارين من أبناء مكّة؛ فاختاروا عمرو بن العاص وشخصاً آخر مساعداً له.

والتقى عمرو بن العاص امبراطور الحبشة وكان قد مهّد للقاء النجاشي بمقابلة البطارقة وتقديم الهدايا لهم فوعدوه بالمساندة والعمل على اعادة المهاجرين.

وفي اللقاء اتّهم عمرو بن العاص المسلمين المهاجرين بأنّهم سفهاء تركوا دين الآباء والأجداد ولم يدخلو في دين النجاشي وجاءوا بدين جديد لا يعرفه أحد وأنّه موفد من زعماء مكّة لاسترادادهم.

وكان النجاشي رجلاً بعيد النظر فرفض تسليمهم قبل الاستماع إليهم من ثمّ يتّخذ القرار المناسب بشأنهم.

لذلك أمر باحضارهم في البلاط.

وحضر المسلمون وكان جعفر بن أبي طالب هو الشخصيّة الأولى والمتحدّث باسمهم.

وجّه النجاشي السؤال لهم من خلال المترجم:

ـ ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ودين أحد من هذه الملل؟!

وهنا تقدّم جعفر بن أبي طالب فأجاب قائلاً:

ـ أيّها الملك! كنّا قوماً أهل جاهليّة، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منّا الضعيف!

فكنّا على ذلك حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.

وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء.

ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات.

وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً.

وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدّقناه واتّبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحلّ لنا!

فعدا علينا قومنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان.

فلمّا قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك

ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك!

وهنا أدرك عمرو بن العاص أنّ النجاشي لن يسلمهم فقال محرّضاً:

ـ انّهم يقولون في المسيح قولاً عظيماً!

التفت النجاشي إلى جعفر وقال:

ـ وماذا تقولون في المسيح؟

قال جعفر:

ـ لا نقول فيه إلّا ما جاء به نبيّنا، هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، ثمّ تلا عليه آيات من سورة مريم وفيها:

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللهَ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلٰوةِ وَٱلزَّكٰوةِ مَادُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَٱلسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾.[1]

وهنا شعر النجاشي بالخشوع لآيات القرآن الكريم ودمعت عيناه وقال:

ـ هذه كلمات تصدر من النبع الذي صدرت منه كلمات سيّدنا يسوع المسيح!

انّ هذا والذي جاء به عيسىٰ ليخرج من مشكاة واحدة.

ثمّ نظر إلى المسلمين بمحبّة وقال:

ـ اذهبوا فأنتم آمنون بأرضي.

---

١. سورة مريم (١٩): ٢٩ ـ ٣٣.

والتفت إلى عمرو بن العاص وقال له:

ـ لن أسلمهم أبداً حتّى لو اعطيتني جبلاً من ذهب!

أجل لقد عانى المسلمون أنواع العذاب وقاسوا الآلام حتّى اضطرّوا للـهجرة عن أرض الوطن وديار الأحبّة وقدموا التضحيات الكبيرة في سبيل الله وإعلاء كلمته، فأثابهم الله عزّوجلّ الحياة الخالدة والنعيم الأبدي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ ٱللهِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.[1]

١. سورة الفاطر (٣٥): ٢٩ ـ ٣٠.

**[﴿٩﴾ اَللَّهُمَّ وَأَوْصِلْ إِلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[1] خَيْرَ جَزَائِكَ.**

**﴿١٠﴾ اَلَّذِينَ قَصَدُوا سَمْتَهُمْ وَتَحَرَّوْا وِجْهَتَهُمْ وَمَضَوْا عَلَى شَاكِلَتِهِمْ.**

**﴿١١﴾ لَمْ يَثْنِهِمْ رَيْبٌ فِي بَصِيرَتِهِمْ وَلَمْ يَخْتَلِجْهُمْ شَكٌّ فِي قَفْوِ آثَارِهِمْ وَالِائْتِمَامِ بِهِدَايَةِ مَنَارِهِمْ مُكَانِفِينَ.**

**﴿١٣﴾ وَمُوَازِرِينَ لَهُمْ يَدِينُونَ بِدِينِهِمْ وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِمْ يَتَّقُفُونَ عَلَيْهِمْ وَلاَ يَتَّهِمُونَهُمْ فِيمَا أَدَّوْا إِلَيْهِمْ]**

وصلوات على اولئك الذين تابعوا الصحابة الاتقياء وساروا في طريقهم المضيء وهو طريق النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله وطريق الوصيّ المرتضى عليه السلام.

اللهمّ فصلّ على التابعين الذين ترسّموا خطى الصحابة المنتجبين.

وفي هذا المقطع من الدعاء يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «**وَأَوْصِلْ إِلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ**».

وهو انعكاس واقتباس من آيات القرآن الكريم من قبيل قوله تبارك وتعالى:

---

١ ـ حشر (٥٩): ١٠.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

وكذا قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.[2]

والتابعون رجال لم يروا النبيّ ﷺ إلّا أنّهم اتّصلوا ببعض أصحابه ﷺ وأخذوا عنهم وكانت لهم علاقات وثيقة معهم وأدركوا اخلاصهم ووفاءهم وتقواهم فانقطعوا إليهم وساروا في طريقهم، وكان معيارهم في اكتشاف الصحابي الحقيقي يكمن في مدى قربه من الحقّ وتمسّكه بالحقّ.

يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

**إنّ الحَقّ لايُعْرَفُ بِالرِّجالِ؛ إعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ.**[3]

وهذا هوالمعيار الصادق في معرفة أهل الحقّ ولكن كيف يمكن معرفة الحقّ؟ انّ أفضل أداة ووسيلة لمعرفة الحقّ هو من خلال التمسّك بسنّة الرسول ﷺ وتحديداً في قوله الشريف: إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وفي هذا الحديث ندرك عصمة أهل البيت عليهم السلام وأنّهم عدل القرآن الكريم ومن يفسّر آياته.

---

١. سورة الحشر (٥٩): ١٠. ٢. سورة التوبة (٩): ١٠٠.

٣. روضة الواعظين: ٣١؛ فيض القدير: ١/٢٧٢.

ولقد أمر القرآن الكريم بمودّتهم وجعل ذلك أجل الرسالة.

قال تعالى:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.[١]

ومودّة ذوي القربى ومحبّتهم ترتبط بقضيّة الولاية وقبول قيادة الأئمّة المعصومين عليهم السلام من آل الرسول صلى الله عليه وآله حيث تعتبر في الحقيقة استمراراً لقيادة النبيّ صلى الله عليه وآله واستمراراً للولاية الالهيّة.

وجليّ أن قبول هذه الولاية والقيادة كقبول نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله ستكون سبباً لسعادة البشريّة نفسها وستعود نتائجها إليها.

انّ المقصود من ذوي القربى هم أقرباء الرسول صلى الله عليه وآله وحبّهم يعتبر وسيلة لقبول امامة وقيادة الأئمّة المعصومين عليهم السلام من نسل الرسول صلى الله عليه وآله ودعماً لتطبيق الرسالة ومن الضروري الاشارة إلى هذه الملاحظة وهي أنّه ورد في آخر الآية.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْناً إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.[٢]

وهل هناك حسنة أفضل من أن يكون الانسان دائماً تحت راية القادة الالهيّين، يحبّهم بقلبه ويستمرّ على خطّهم، يطلب منهم التوضيح للقضايا المبهمة في كلام الخالق، يعتبرهم القدوة والأُسوة وسيرتهم وعملهم هو المعيار.

ومن أجل ذلك روى الزمخشري حديثاً شريفاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله أدرجه في تفسير الآية أعلاه وهي قوله صلى الله عليه وآله:

---

١. سورة الشورى (٤٢): ٢٣.
٢. سورة الشورى (٤٢): ٢٣.

من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً...

ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً.[١]

**من هم التابعون ؟**

التابعون هم اللاحقون بالسابقين من المهاجرين والأنصار، ولذا فانّ المراد من التابعين قد يشمل التابعين لهم بالايمان والطاعة إلى يوم القيامة.

ويبقى للتابعين من الرعيل الأوّل مجد السبقة فهم الرادة والقادة وهم الأوائل في السير على خطى الصحابة السابقين الأوائل.

جاء في الفسير لقوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَـٰنِ وَ لَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.[٢]

انّه بالرغم من ان بعض المفسّرين قد حدّد مفهوم هذه الآية بمجموعة من الأشخاص الذين التحقوا بالمسلمين بعد انتصار الاسلام وفتح مكّة، الّا أنّه لا يوجد دليل على هذه المحدوديّة الخاصّة بل تشمل جميع المسلمين إلى يوم القيامة.

وبهذا تشمل جميع مسلمي العالم الذين ينضوون إلى واحدة من هذه الطوائف الثلاث وهم «المهاجرون والأنصار والتابعون».

---

١. انظر تفسير الامثل: ١٥/ ٥١٢ ـ ٥١٤، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى.

٢. سورة الحشر (٥٩): ١٠.

والملاحظ ان الآية تذكر ثلاث صفات للتابعين:

الأُولى: انّهم يفكّرون في اصلاح أنفسهم وطلب العفو والمغفرة والتوبة من الله تعالى.

الثانية: النظرة المقترنة بالاكبار والاجلال والاحترام إلى من سبقهم بالايمان ويطلبون لهم أيضاً العفو والمغفرة من الله تعالى.

الثالثة: انّهم يسعون بكلّ وسيلة إلى تهذيب أنفسهم وتطهيرها من الحقد والحسد والبغض والعداء، ويطلبون العون من الله الرؤوف الرحيم لمساعدتهم في هذا الطريق.

ومع ذلك يصرّ بعض المفسّرين ـ بدون الالتفات إلى الصفات لكلّ من المهاجرين والأنصار والتابعين ـ على اعتبار جميع الصحابة بدون استثناء متّصفين بجميع الصفات الايجابيّة وانّهم نماذج يقتدى بهم من حيث نزاهتهم وطهرهم والتسامح فيما بينهم وكلّ خلاف صدر منهم أحياناً في زمن الرسول ﷺ أو من بعده؛ فانّهم يغضّون النظر عنه.

وبهذا اعتبروا كلّ مهاجر وأنصاري وتابعي شخصاً محترماً ومقدّساً دون الالتفات إلى أعمالهم وتقييمها حسب الموازين الشرعيّة؛ إلّا ان الملاحظ أن في الآية رفض واضح ازاء هذا الفهم، حيث تحدّد الآية التقييم وفق ضوابط وموازين دقيقة للمهاجرين الحقيقيّين والأنصار والتابعين.

ففي المهاجرين: الاخلاص والجهاد والصدق.

وفي الأنصار: المحبّة للمهاجرين والايثار والابتعاد عن كلّ حرص وبخل.

وفي التابعين: بناء أنفسهم والاحترام للسابقين في الايمان والابتعاد عن كلّ بغض وحسد.

ومع كلّ هذا كيف يمكن أن يحترم الأشخاص الذين قاتلوا الإمام عليّ عليه السلام في معركة الجمل وشهروا سيوفهم عليه؟ ولم يراعوا أخوّته في الله ولم يطهّروا قلوبهم من البغض والحسد تجاهه ولا احترموا أسبقيّته في الإيمان وبعد كلّ ذلك لا يجوز لنا انتقادهم، بل يجب علينا التسليم وبدون نقاش لأحاديث هذا وذاك دون تمحيص وتثبّت.[1]

انّ الله سبحانه وتعالى في سورة التوبة عدّ التابعين باحسان من أهل الجنّة والمعروف انّه في كلّ ثورة اجتماعيّة كبرى تحدث لمواجهة الأوضاع الاجتماعيّة الشاذّة فانّه يوجد رادة يحملون على عواتقهم فكرها وأهدافها وهم في الواقع أكثر العناصر الثوريّة وفاءً، ذلك انّهم كانوا السبّاقين للالتفاف حول القائد والامام وتحمّلوا في سبيل ذلك أنواع المشاق وواجهوا الأخطار المحدقة بهم.

وفي تاريخ صدر الاسلام نشاهد ان السابقين من المسلمين الأوائل كيف ضحّوا من أجل الرسالة والدعوة الاسلاميّة، وكيف تعرّضوا للاضطهاد والتعذيب والبطش، غير ان ارادتهم الفولاذيّة وايمانهم العميق بعدالة قضيّتهم مدّهم بالقوّة والصمود والثبات.

ولهذا فانّ المهاجرين من مكّة المكرّمة ينفردون بقصب السبق ثمّ يليهم الأنصار في المدينة المنوّرة الذين فتحوا قلوبهم وصدروهم ودورهم واستقبلوا

---

١. تفسير الأمثل: ١٨ /١٩٣ ـ ١٩٦.

اخوانهم المهاجرين بالاحضان بل وآثروهم بما يملكون وعاهدوهم على الدفاع عنهم وحمايتهم.

ثمّ يليهم التابعون لهؤلاء السابقين من المهاجرين والأنصار باحسان والتابعون لا ينحصرون بصدر الاسلام وإنّما يمتدّ وجودهم إلى الأزمنة اللاحقة.

وهكذا فانّ الآية الكريمة قد تشمل كلّ المسلمين الذين يتعرّضون للاضطهاد والقهر ويهاجريون وكلّ المسلمين الذين يستقبلون اخوانهم المهاجرين ويفتحون لهم قلوبهم ودورهم ويدعمونهم بالامكانات، فكلّ هؤلاء لهم أجر عظيم.

**التعبديّة للاحسان**

يقول العلّامة محمّد حسين الطباطبائي في تفسيره:

وإذ ذكر الله سبحانه ثالث الأصناف بقوله: ﴿**الّذين اتّبعُوهم بإحسان**﴾ ولم يقيّده بتابعي عصر دون عصر ولا وصفهم بتقدّم وأولية ونحوهما وكان شاملاً لجميع من يتبع السابقين الأولين، كان لازم ذلك أن يُصنّف المؤمنون غير المنافقين من يوم البعثة إلى يوم البعث في الآية ثلاث أصناف: السابقون الأوّلون من المهاجرين والسابقون الأوّلون من الأنصار والذين اتبعوهم باحسان.

ثمّ انّ قوله: «والذين اتّبعوهم باحسان» قيد فيه اتباعهم بإحسان ولم يرد الاتباع في الاحسان بأن يكون المتبوعون محسنين ثمّ يتبعهم التابعون في احسانهم ويقتدوا بهم فيه ـ على أن يكون الباء بمعنى في ـ ولم يرد الاتباع بواسطة الاحسان ـ على أن يكون الباء للسببيّة أو الآلية ـ بل جيء بالاحسان منكراً (نكرة) والأنسب له كون الباء بمعنى المصاحبة؛ فالمراد أن يكون الاتباع مقارناً

لنوع ما من الاحسان مصاحباً له؛ وبعبارة أُخرى يكون الاحسان وصفاً للاتباع.

وإنّا نجده تعالى في كتابه لا يذمّ من الاتباع إلّا ما كان عن جهل وهوى كاتباع المشركين آبائهم، واتباع أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم وأسلافهم عن هوى واتباع الهوى واتباع الشيطان.

فمن اتّبع شيئاً من هؤلاء فقد أساء في الاتباع، ومن اتّبع الحقّ لا لهوىٰ متعلّق بالأشخاص وغيرهم فقد أحسن في الاتباع.

قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾.[1]

ومن الاحسان في أتباع كمال مطابقة عمل التابع لعمل المتبوع ويقابله الاساءة فيه.

فالظاهر أنّ المراد بالذين اتّبعوهم باحسان أن يتّبعونهم بنوع من الاحسان في الاتباع وهو أن يكون الاتباع بالحقّ ـ وهو اتباعهم لكون الحق معهم ـ ويرجع إلى اتباع الحقّ بالحقيقة بخلاف اتباعهم لهوى فيهم أو في اتباعهم وكذا مراقبة التطابق.

هذا ما يظهر من معنى الاتباع باحسان وأمّا ما ذكروه من أنّ المراد كون الاتباع مقارناً لاحسان في المتبع عملاً، بأن يأتي بالأعمال الصالحة والأفعال الحسنة فهو لا يلائم كلّ الملائمة التنكير الدالّ على النوع في الاحسان، وعلى تقدير التسليم لا مفرّ فيه من التقييد بما ذكرنا، فان الاتباع للحق وفي الحق يستلزم الاتيان

---

١. سورة الزمر (٣٩): ١٨.

بالأعمال الحسنة الصالحة دون العكس وهو ظاهر.[١]

### السبب في تكريم الصحابة

ان ما يرد في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام من التكريم والتمجيد والاشادة والتعبير عن حبّهم للصحابة الميامين المنتجبين الأتقياء إنّما يعود إلى ايمانهم الراسخ برسالة الاسلام وحبّهم العميق لرسول الله صلى الله عليه وآله.

يقول الامام الصادق عليه السلام في هذا المضمار:

**وَ اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ اخْتارَ لِنَبيّهِ عَنْ أَصْحابِهِ طائِفَةً أَكْرَمَهُمْ بِاَجَلِّ الْكَرامَةِ وَ حَلاّهُمْ بِحُلِيّة التأييد وَالنَّصْرِ وَالْاِسْتِقامَةِ لِصُحْبَتِهِ عَلَى الْمَحْبُوبِ وَالْمَكْرُوهِ وَاَنْطَقَ لِسانَ نَبيه مُحَمَّد صلى الله عليه وآله بِفَضائِلِهم وَ مَناقِبِهِم و كِراماتِهِم وَ اَعْتَقِدْ مَحَبَّتَهُمْ وَ اذْكُرْ فَضْلَهُمْ.**[٢]

أجل انّ الله سبحانه شاء أن يكرم هذه الطليعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لجهادهم واخلاصهم واحسانهم صحبة رسوله ونبيّه صلى الله عليه وآله.

### حقيقة السباق في الروايات

يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في توضيح مسألة السباق:

**اَلْمِضْمارُ اَلْيَومَ وَ السِّباقُ غَداً فَاِنَّكُمْ لاتَدْرُونَ إلىٰ جَنَّةٍ اَوْ إلى النّارِ وَ اَسْتَغْفِرُ**

---

١. الميزان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤.
٢. مصباح الشريعة: ٦٨، باب ٢٩، فى معرفة الصحابة.

**اللهَ لي وَ لَكُم.**[١]

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

**السّابِقُونَ إلىٰ ظِلِّ العَرْشِ طُوبىٰ لَهُمْ، قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ وَ مَنْ هُمْ؟ فَقالَ: الذَّينَ يَقْبَلُونَ الحَقَّ إذا سَمِعُوهُ وَ يَبْذُلُونَهُ إذا سُئِلُوهُ وَ يَحْكُمُونَ لِلنّاسِ كَحُكْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِم هُمُ السّابِقُونَ إلَى ظِلِّ الْعَرْشِ.**[٢]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

**كُنْتُ مَعَ أَبِي حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَ الْمِنْبَرِ فَإِذَا أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَ قَالَ وَ اللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكُمْ وَ أُحِبُّ رِيحَكُمْ وَ أَرْوَاحَكُمْ فَأَعِينُونَا عَلَى ذَلِكَ بِوَرَعٍ وَ اجْتِهَادٍ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا وَلَايَتَنَا إِلّا بِالْوَرَعِ وَالإِجْتِهَادِ مَنِ ائْتَمَّ بِإِمَامٍ فَلْيَعْمَلْ بِعَمَلِهِ ثُمَّ قَالَ أَنْتُمْ شُرْطَةُ اللهِ وَ أَنْتُمْ شِيعَةُ اللهِ وَ أَنْتُمُ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ وَ السَّابِقُونَ الْآخِرُونَ أَنْتُمُ السَّابِقُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَحَبَّتِنَا وَ السَّابِقُونَ فِي الْآخِرَةِ إِلَى الْجَنَّةِ ضَمِنَّا لَكُمُ الْجَنَّةَ بِضَمَانِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ ضَمَانِ رَسُولِهِ أَنْتُمُ الطَّيِّبُونَ وَ نِسَاؤُكُمُ الطَّيِّبَاتُ كُلُّ مُؤْمِنٍ صِدِّيقٌ وَ كُلُّ مُؤْمِنَةٍ حَوْرَاء.**[٣]

---

١. بحار الأنوار: ٧٤/ ٣٧٨؛ الأمالي، شيخ طوسي: ٦٨٦.
٢. بحار الأنوار: ٧٢/ ٢٩؛ مستدرك الوسائل: ١١/ ٣٠٨.
٣. بحار الأنوار: ٦٥/ ١٤٦.

**[اَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى التَّابِعِينَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَلَى أَزْوَاجِهِمْ وَعَلَى ذُرِّيَّاتِهِمْ وَعَلَى مَنْ أَطَاعَك مِنْهُمْ.**

**﴿١٤﴾ صَلاَةً تَعْصِمُهُمْ بِهَا مِنْ مَعْصِيَتِك وَتَفْسَحُ لَهُمْ فِي رِيَاضِ جَنَّتِك وَتَمْنَعُهُمْ بِهَا مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَتُعِينُهُمْ بِهَا عَلَى مَا اسْتَعَانُوك عَلَيْهِ مِنْ بِرِّ وَتَقِيهِمْ طَوَارِقَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ.**

**﴿١٥﴾ وَتَبْعَثُهُمْ بِهَا عَلَى اعْتِقَادِ حُسْنِ الرَّجَاءِ لَك وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَك وَتَرْكِ التُّهْمَةِ فِيمَا تَحْوِيهِ أَيْدِي الْعِبَادِ]**

### القلب مركز الايمان

أجل انّ القلب هو مركز الايمان بالله وباليوم الآخر وهو الجزء النابض الذي يتلقّى الفيض الالهي وعندما يسطع نور الايمان في القلب وتنفذ أشعّته فانّ النفس الانسانيّة تزدان بالفضائل والخصال الكريمة؛ فينطلق الروح إلى فضاء الملكوت وتكتسب جوارح الانسان ملكة القيام بالعمل الصالح؛ ذلك أنّ الرحمة الالهيّة قد غمرتها بفيضها ويشملها اللطف الربّاني بأنواره.

ويبقى الانسان المؤمن في مأمن من مكر الشيطان وحيله ومصائده، منصوراً من لدن الله مؤيّداً بقدرته مصوناً من الانحراف والزيغ سائراً إلى غايته في لقاء ربّه

ورضوانه؛ فاذا بلغ العبد هذا المقام في الايمان والتسليم والرضا والتوكّل والحبّ انفتحت بصيرته ورأى العالم كلّه لوحة متناسقة الألوان والاشكال منسجمة في أواصرها محكمة في بنائها؛ أو يراها مروجاً ورياضاً مزدانة بأزهارها وشقائقها وزنابقها ورأى الخالق بصيراً خبيراً حكيماً عليماً كريماً ودوداً غفوراً رحيماً لطيفاً عزيزاً له الأسماء الحسنى والمثل الأعلى.

**إلهنا ما أعدّ لك ... مليك كلّ من ملك**
**لبّيك قد لبّيت لك ... لبّيك أنّ الحمد لك**
**والملك لا شريك لك ... والليل لمّا أن حلك**
**والسابحات في الفلك ... على مجاري المنسلك**
**ما خاب عبد أمّلك ... أنت له حيث سلك**
**لولاك يا ربّ هلك ... كلّ نبيّ ومَلَك**
**وكلّ من أهلّ لك ... سبّح أو لبّى فلك**
**يا مخطئاً ما أغفلك ... عجّل وبادر أجلك**
**واختم بخير عملك ... لبّيك ان الملك لك**
**والحمد والنعمة لك ... والعزّ لا شريك لك**

### درجة عين اليقين أو بلوغ مرحلة العيان

ان السالك إلى الله يطوي الطريق المستقيم بقدم الصدق مستعيناً بالقرآن والقواعد الشرعيّة في ظلال نبوّة النبيّ وولاية الولي، فيبلغ رحمة الله؛ وبها يحلّ

مشكلاته الباطنيّة والخارجيّة ويرتفع ما يراه من الاشكالات ويكون قد بلغ درجة عين اليقين وبلوغ مرحلة العيان.

**أنواع البلوغ لدى العرفاء**

يقول العرفاء انّ للبلوغ أربعة أنواع:

الأوّل: بلوغ الاسلام الذي هو مقام التقليد والانقياد وفي هذا المقام يوحد السالك الرب بلسانه.

الثاني: بلوغ الايمان الذي هو مقام الاستدلال والعلم، وفي هذا المقام يوحد السالك الرب بقلبه.

الثالث: بلوغ اليقين وهو مقام الاطمئنان والسكينة وفي هذا المقام يرى السالك الرب كأنّه واحداً.

الرابع: بلوغ العيان وهو مقام كشف الغطاء وفي هذا المقام يرى السالك الرب واحداً.

فقد ولّت فترة الفراق وحلّ زمن الوصال وانقضى ليل الهجران وأشرق يوم اللقاء.

﴿**لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾.[1]

---

١. سورة ق (٥٠): ٢٢.

**كمال البلوغ**

اعلم انّ لكلّ بلوغ كمال وكمال بلوغ الاسلام هو أن:

**اَلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ ويَدِه.**[١]

وكمال بلوغ الايمان هو:

﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً** ﴾.[٢]

وكمال بلوغ اليقين هو:

**لَوْ كُشِفَ الْغِطاءُ مَا ازْدَدْتُ يقيناً.**[٣]

وكمال بلوغ العيان هو:

**مُعْتِقُ الْعِبادِ وَمُقَطِّعُ التَّعَلُّقاتِ.**[٤]

يعني انّ بلوغ مرحلة العيان هو الحريّة والخلاص من كلّ الحبال التي تشدّ الانسان إلى الدنيا فيتحرّر تماماً ويصل إلى مرحلة الشهود.

---

١. الكافي: ٢ / ٢٣٤؛ من لايحضره الفقيه: ٤ / ٣٦٢؛ وسائل الشيعة: ١٢ / ٢٧٨.
٢. سورة الأنفال (٨): ٢ ـ ٤.
٣. بحار الأنوار: ٦٦ / ٢٠٩؛ غرر الحكم: ١١٩.
٤. كشف الحقايق: ١٢٥.

[﴿١٦﴾ لِتَرُدَّهُمْ إِلَى الرَّغْبَةِ إِلَيْك وَالرَّهْبَةِ مِنْك وَتُزَهِّدَهُمْ فِي سَعَةِ الْعَاجِلِ وَتُحَبِّبَ إِلَيْهِمُ الْعَمَلَ لِلآجِلِ وَالاِسْتِعْدَادَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

﴿١٧﴾ وَتُهَوِّنَ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَرْبٍ يَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ خُرُوجِ الأَنْفُسِ مِنْ أَبْدَانِهَا.

﴿١٨﴾ وَتُعَافِيَهُمْ مِمَّا تَقَعُ بِهِ الْفِتْنَةُ مِنْ مَحْذُورَاتِهَا وَكَبَّةِ النَّارِ وَطُولِ الْخُلُودِ فِيهَا.

﴿١٩﴾ وَتُصَيِّرَهُمْ إِلَى أَمْنٍ مِنْ مَقِيلِ الْمُتَّقِينَ.]

وفي هذا المقطع من الدعاء يسأل الامام السجّاد عليه السلام للسائرين في طريق الأنبياء وعلى خط الأوصياء ما يلي:

١ ـ الرغبة إلى الحقّ تعالى؛

٢ ـ الخشية منه سبحانه؛

٣ ـ الزهد في الدنيا؛

٤ ـ الاستعداد لوقائع ما بعد الموت؛

٥ ـ تهوين الكروب والبلايا التي تحلّ بهم؛

٦ ـ اجتياز الاختبارات والامتحانات والخروج منها بسلام؛

٧ ـ النجاة من الجحيم والسكنى في دار النعيم إلى أبد الآبدين.

### ١ ـ الرغبة إلى الحقّ تعالى

الرغبة إلى الحقّ أو بتعبير أوضح الشوق إلى المحبوب وحبّ المحبوب من لدن أشخاص عرفوه، وكلّما زادت المعرفة به زادت نار المحبّة ضراماً وزادت شعلة الشوق إليه اتقاداً.

وحبّ الأنبياء والرسل والأوصياء والأئمّة والأولياء له سبحانه فوق ما يتصوّره الانس والجان، ذلك انّ الأنبياء والرسل والأئمّة والأولياء عرفوا الله، فالهبت هذه المعرفة الالهيّة ضمائرهم وأوقدت شموع الحبّ الالهي في نفوسهم واستحال وجودهم إلى حبّ خالص لله سبحانه وحده.

إنّ رأس المال الحقيقي للانسان هو هذا الحبّ والشوق إلى الله تبارك وتعالى.

انّ حبّ الله سبحانه والشوق إليه جناحان يحلّق بهما الانسان المؤمن فيبلغ بهما الغاية العليا والهدف الأسمى والمقصد الأسنى في الوجود، بل انه يمكن القول انّ الانسان لا يملك شيئاً في هذا الوجود سوى الحبّ.

**كَيْفَ يُنْكَرُ الْعِشْقُ و ما فِي الْوُجُودِ إلّا هُوَ، وَلَولاهُ ما ظَهَرَ ما ظَهَر و ما ظَهَرَ فَمِنَ الْحُبِّ ظَهَرَ وَبِالْحُبِّ ظَهَرَ وَالْحُبُّ سارٍ فيهِ، بَلْ هُوَ الْحُبُّ كُلُّهُ.**

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

**عَرَفْتُ اللهَ بِاللهِ وَعَرَفْتُ ما دُونَ اللهِ بِنُورِ اللهِ.**[1]

وهنا تلتقي جميع الفضائل ويتحقّق الكمال في مرآة الأسماء والصفات فيقول عليه السلام:

---

١. حلية الأولياء: ١٠/ ٣٣.

**عَرَفْتُ رَبّى بِرَبّى.**[١]

**معرفة أسماء الحقّ تعالى وصفاته**

لقد بيّن الأنبياء والرسل والأوصياء والأئمّة الأطهار والأولياء وكتب السماء خاصّة كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الطريق إلى معرفة الحقّ عزّوجلّ التي الأساس في الحبّ والشوق إليه سبحانه، فلم يتركوا لأحد حجّة في ذلك.

انّ الطريق إلى معرفة الله سبحانه هو في التأمّل في صفات الحقّ وأسمائه وعمق مفاهيم الأسماء والصفات الالهيّة.

وهذه الأسماء والصفات يجدها الانسان في آيات القرآن الكريم وفي نصوص الأدعية الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وفي طليعتها دعاء الجوشن الكبير.

وتزخر الأدعية وتموج بالمعارف الالهيّة وهنا يتولّد الحبّ الالهي الذي يقدح شعلة الشوق إلى لقاء الربّ تبارك وتعالى فيطوي العبد السالك إلى الله مراحل الرشد والكمال حتّى يصل مرحلة الفناء في ذات المحبوب ويتحقّق للانسان البقاء بالله.

وقد يسّر الله سبحانه لعباده جميعاً طي هذا الطريق، فلم يحرم أحداً منهم إلّا أن يحرم نفسه بكثرة الذنوب.

يقول العارف الشيخ البهائي:

انّ الحق تعالى لمّا خلق الانسان وهبه القابليّة على معرفته فأودع فيه من

---

١. الحكمة المتعالية: ٨ / ٧؛ شرح الأسماء الحسنىٰ: ١ / ٣٦.

صفاته المطلقة اللانهائيّة قليلاً قليلاً ليدرك من خلال هذا القليل الكثير واللانهائي، مثلما يدرك من خلال قبضة القمح المخزون منه ومن جرّة الماء الساقية.

فوهبه القليل من البصر ليدرك ماذا تعني حدّة البصر، وكذلك السمع والعلم والقدرة إلى ما لا نهاية.

كما العطّار يعرض في دكّانه القليل ويحتفظ في مخازنه بالكثير الوفير، فترى في دكانه شيئاً من الحنّاء وقليلاً من عيدان البخور وقدراً من السكّر والعبير وغير ذلك ممّا نراه معروضاً في قناني وقوارير صغيرة هي نماذج ممّا يوجد من هذه المواد في مخازنه الكثيرة ومن هنا ندرك معنى قوله تعالى:

﴿ وَما اُوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلّا قَليلاً ﴾.[1]

وليس المقصود العلم وحده وإنّما جميع الصفات أي من العلم قليلاً وكلّ الصفات قليلاً قليلاً ليدرك الانسان من خلال هذا القليل اللانهائي.

**احصاء الأسماء الالهيّة**

لا يتّسع المجال هنا لبيان جميع أوصاف وأسماء الحقّ، لذا نكتفي بمثال واحد ورواية واحدة فائقة الأهميّة وردت في كتب الحديث المعتبرة لتكون باباً إلى معرفته عزّوجلّ والرغبة إليه سبحانه:

روى الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد: عن مولانا الصادقِ عليه السلام، عَن أبيه محمَّدِ بنِ عليٍّ، عن أبيهِ عليِّ بنِ الحسين، عن أبيهِ الحسينِ بنِ عليٍّ، عن أبيه عليِّ بن أبى طالبٍ عليه السلام قال:

---

١. سورة الاسراء (١٧): ٨٥.

**قال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ لِلّهِ تبارَكَ وتَعالىٰ تِسْعَةً وَتِسْعينَ اسْماً، مِائَةً إلّا واحِداً، مَنْ أحصاها دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهِيَ:**

**اَللهُ، الْواحِدُ، الْأحدُ، الصَّمَدُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، السَّميعُ، الْبَصيرُ، القَديرُ، الْقاهِرُ، الْعَلِيُّ، الْأَعْلىٰ، الباقي، الْبَديعُ، البارى، الْأَكْرَمُ، الظّاهِرُ، الْباطِنُ، الْحَيُّ، الْحَكيمُ، الْعَليمُ، الْحَليمُ، الْحَفيظُ، الْحَقُّ، الْحَسيبُ، الْحَميدُ، الْحَفِيُّ، الْرَّبُّ، الْرَّحْمٰنُ، الْرَّحيمُ، الْذّارى، الْرّزّاقُ، الْرَّقيبُ، الْرَّؤُوفُ، الْرّائى، الْسَّلامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزيزُ، الْجَبّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، السَّيِّدُ، الْسُّبُّوحُ، الْشَّهيدُ، الْصادِقُ، الْصانِعُ، الْطاهِرُ، الْعَدْلُ، العَفُوُّ، الْغَفُورُ، الْغَنيُّ، الْغِياثُ، الْفاطِرُ، الْفَرْدُ، الْفَتّاحُ، الْفالِقُ، الْقَديمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، القَوِيُّ، القَريبُ، القَيُّومُ، القابِضُ، الباسِطُ، قاضِي الْحاجاتِ، المجيدُ، المَوْلىٰ، المَنّانُ، المُحيطُ، الْمُبينُ، الْمُقيتُ، الْمُصَوِّرُ، الْكَريمُ، الْكَبيرُ، الْكافي، كاشِفُ الضُّرِّ، الْوَتْرُ، النُّورُ، الْوهّابُ، الْناصِرُ، الْواسِعُ، الْوَدُودُ، الْهادي، الْوَفِيُّ، الْوَكيلُ، الْوارِثُ، الْبَرُّ، الْباعِثُ، التَّوّابُ، الْجَليلُ، الْجَوادُ، الْخَبيرُ، الْخالِقُ، خَيرُالنّاصِرينَ، الدَّيّانُ، الْشَّكُورُ، الْعَظيمُ، اللَّطيفُ، الشّافي.**[1]

احصاء الأسماء الالهيّة في كلام الشيخ الصدوق

قال محمّد بن عليّ بن الحسين (الشيخ الصدوق) مؤلّف هذا الكتاب (التوحيد): معنى قول النبيّ ﷺ: انّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً من احصاها دخل الجنّة: إحصاؤها هو الاحاطة بها والوقوف على معانيها وليس معنى الاحصاء عدّها وبالله التوفيق.[2]

---

١. التوحيد: ١٩٤؛ مستدرك الوسائل: ٥ / ٢٦٤؛ علم اليقين: ٩٩؛ صحيح مسلم، كتاب الذكر: ١٧ / ٥؛؛ الدرّ المنثور: ٣ / ١٤٨.

٢. التوحيد: ١٩٥.

فعلى سبيل المثال وعي معنى «الرب» الذي يعبّر عن المالكيّة الحقيقيّة للحقّ والحاكميّة على الوجود فهو سبحانه المربّي بجميع الكائنات ووعي هذا المعنى لدى الانسان يحرّره من أسر الطواغيت في الباطن والظاهر ويصونه من السقوط في فخ العقائد والأفكار المعاية للدين الحقّ.

وقد ورد في كتاب «شرح الشهاب» للفيض الكاشاني راوياً عن سيّد فضل الله الراوندي: انّ الاحصاء يعني التحمّل وأداء العمل بحسب القدرة والطاقة، وعليه فان معنى حديث رسول الله ﷺ: ان كلّ من تحمّل معاني هذه الأسماء على قدر طاقته في العقيدة والأخلاق والعمل واستقام على ذلك دخل الجنّة.

وهكذا ورد أيضاً في كتاب «علم اليقين».[1]

الاحصاء يعني أن تتحلّى النفس بمعاني هذه الأسماء على قدر طاقتها وهذا هو معنى قول رسول الله ﷺ:

**تَخَلَّقُوا بِأَخْلاقِ الله.**[2]

وإلّا فلا قيمة لعدّ الأسماء الالهيّة لقلقة على اللسان من دون وعي لمعانيها ونفوذها إلى قلبه، فلو قام باحصائها وعدّها ملايين المرّات فانّه سيكون بمنزلة الببغاء يردّد كلمات لا يدرك معانيها فهي ليست سوى أصوات تصدر عن طبل أجوف.

قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز:

---

١. علم اليقين: ١/١٠٢.

٢. بحار الأنوار: ٥٨/١٢٩؛ شرح الأسماء الحسنىٰ: ٢/٤١؛ التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٧/٧٢، ذيل آية ٣١ من سورة البقرة.

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾.[1]

**احصاء الأسماء الالهيّة في كلام الفيض**

يقول الفيض رضوان الله عليه في هذا المضمار في كتابه «المقصد الأسنى»:

ان من لا يعرف من هذه الألفاظ سوى سماعها وفهم معانيها اللغوية والاقرار بها قلبيّاً بأن هذه الأسماء هي من مختصّات الله عزّوجلّ فانّه لا ينال من ذلك نصيباً.

عليه أن يعلم ان حظّه من ذلك شيئاً ضئيلاً ورأسماله من ذلك لا شيء، فحاله ودرجته العلميّة متدنّية وليس في حوزته شيء يتباهى به.

فسماع الألفاظ لا يستلزم إلّا سلامة سمعه وهذا ما يتمتّع به كلّ حيوان.

وفهم المعنى اللغوي ومعرفة ان هذا المفهوم وضع لهذا اللفظ لا يستلزم إلّا معرفة بقواعد اللغة العربيّة.

فحتى الأعراب في البوادي يعرفون ويفهمون ذلك.

أمّا الاعتقاد بثبوت هذه المعاني للحقّ تعالى من دون كشف وشهود يحصل لهذه الحقائق في باطن الانسان، فانّه لا يدعو إلّا العلم بالمعنى والمصداق وهذا حاصل لدى العوّام بل حتّى الأطفال ليسوا بعاجزين عن ادراك هذا العلم، ذلك ان تلقين العوام أو الأطفال بأن هذا اللفظ يعني هذا المفهوم فانّهم يدركون ذلك ويتعلّمونه.

---

١. سورة البقرة (٢): ١٧١.

ومع الأسف فان أكثر أهل العلم لا يتجاوز هذه الدرجة.

ويجب القول ان كلّ من يراوح في مكانه في هذا الطريق ولم يلتحق بالسائرين إلى قمّة الكمال فانّه يعاني من نقص وخلل يؤدّي به إلى الحرمان من ذلك الكنز العظيم.

**مراتب المعرفة بالأسماء**

اولئك الذين هاموا بحبّ المحبوب من الذين أسلموا قلوبهم إليه سبحانه يتمتّعون بتقوى عظيمة فهم كما الأسماك يسبحون في أعماق بحور العلم والعمل والأخلاق والصفاء والوفاء والكرامة والعبادة وخدمة خلق الله سبحانه وتعالى، وهؤلاء على ثلاث مراتب:

١ ـ معرفة هذه المعاني (الأسماء الالهيّة) على أساس المكاشفة والشهود، نتيجة صفاء الباطن الذي يحصل أثر العلم والعبادة والتقوى.

تنهض معرفتهم على البرهان القاطع والدليل الساطع فتتجلّى لهم تلك المعاني كسطوع الشمس في رابعة النهار، فهم يدركونها بصفات الباطن لا باحساس الظاهر ويرونها ببصيرتهم لا ببصرهم، وفرق كبير بين وعي معاني هذه الأسماء وتلقيها عن طريق تقليد الآباء.

٢ ـ ادراك عظمة صفات الجلالة بحيث يتشرّبونها؛ فيحدث ذلك شوقاً وحبّاً في قلوبهم، فيحرّكهم هذا الشوق ويدفعهم هذا الحبّ إلى الاتّصاف بتلك الصفات إلى أن يصل بهم هذا الطريق إلى ذروة القرب المعنوي ويصبحون كالملائكة المقرّبين.

٣ ـ اكتساب الاتّصاف بعمق معاني الصفات والتحلّي بجمال أسماء المحبوب

حتّى يصل الأمر بمن يسلك هذا الطريق أن يوصف بالعبد الربّاني والانسان الالهي ويصبح رفيقاً للملأ الأعلى ويكون له مكان أبدي على بساط القرب من المحبوب وهذا المقام الثالث حصيلة المقام الثاني الذي هو ادراك عظمة الصفات الالهيّة وانبعاث الشوق والحبّ إلى المحبوب.

**لك الحمد ياذا الجود والمجد والعلى تباركت تعطي من تشاء وتمنع**
**إلهي وخلّاقي وحرزي وموئلي إليك لدى الإعسار واليسر أفزع**
**إلهي لئن جلت وجمت خطيئتي فعفوك عن ذنبي أجل وأوسع**
**إلهي لئن أعطيت نفسي سؤلها فها أنا في روض الندامة أرتع**
**إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي وأنت مناجاتي الخفية تسمع**
**إلهي فلا تقطع رجائي و لا تزغ فؤادي فلي في سيب جودك مطمع**
**إلهي أجرني من عذابك إنني أسير ذليل خائف لك أخضع**
**إلهي فآنسني بتلقين حجتي إذا كان لي في القبر مثوى ومضجع**
**إلهي لئن عذبتني ألف حجة فحبل رجائي منك لا يتقطع**
**إلهي أذقني طعم عفوك يوم لا بنون ولا مال هنالك ينفع**
**إلهي إذا لم ترعني كنت ضائعا وإن كنت ترعاني فلست أضيع**
**إلهي إذا لم تعف عن غير محسن فمن لمسيئ بالهوى يتمتع**
**إلهي لئن فرطت في طلب التقى فها أنا إثر العفو أقفو وأتبع**
**إلهي ذنوبي بذت الطود واعتلت وصفحك عن ذنبي أجل وأرفع**
**إلهي لئن أخطأت جهلا فطال ما رجوتك حتى قيل ما هو يجزع**

إلهي ينحي ذكر طولك لوعتي وذكر الخطايا العين مني يدمع
إلهي أقلني عثرتي وامح حوبتي فإني مقر خائف متضرع
إلهي أنلني منك روحا ورحمة فلست سوى أبواب فضلك أقرع
إلهي لئن أقصيتني أو أهنتني فمن ذا الذي أرجو ومن ذا يشفع
إلهي لئن خيبتني أو طردتني فما حيلتي يا رب أم كيف أصنع
إلهي حليف الحب بالليل ساهر يناجي ويدعو والمغفل يهجع
وكلهم يرجو نوالك راجيا برحمتك العظمى وفي الخلديطمع
إلهي يمنيني رجائي سلامة وقبح خطيئاتي علي يشنع
إلهي فإن تعفو فعفوك منقذي وإلّا فبالذنب المدمر أصرع
إلهي بحقّ الهاشميّ وآله وحرمة أبرار هم لك خشع
إلهي فأنشرني على دين أحمد منيبا تقيا قانتا لك أخضع
ولا تحرمني يا إلهي وسيدي شفاعته الكبرى فذاك المشفع
وصل عليه ما دعاك موحد وناجاك أخيار ببابك ركّع

١٩ /رمضان /١٤٣٦

# المحتويات


**تتمّة الدعاء الثاني** ..... ٥
في الصلاة على رسول الله وبيان صفاته ﷺ ..... ٥
منزلة النبوّة ومقامها في الآيات ..... ٧
مقام النبوّة في الروايات ..... ٩
دور الأُسرة في الدين ..... ١١
أُسرة النبيّ ﷺ في نهج البلاغة ..... ١٤
النبيّ ﷺ يباهل بأهل بيته ..... ١٥
العصر الجاهلي ..... ١٦
المعارك والحروب ..... ١٧
الزواج في العصر الجاهلي ..... ١٨
الوثنيّة ..... ١٩
التقاليد الجاهليّة ..... ٢١
فرض الحصار الشامل ..... ٢٤
الرحيل إلى الطائف ..... ٢٦
صعوبات الطريق ..... ٣٠
تحمّل العذاب البدني والروحي ..... ٣٧
الاعراض عن حياة الدعة ..... ٣٩

الاعداد النفسي ..... ٤٠
مصاعب الطريق..... ٤١
تأثير الموعظة في الهداية ونشر الوعي ..... ٤٤
الهداية وصول وإيصال..... ٤٥
الهداية في الروايات..... ٤٥
الاستنصار بالله..... ٤٧
النصر الإلهي في معركة بدر ..... ٤٨
عفوه عند القدرة..... ٥٢
منزلة النبيّ صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة ..... ٥٣
درجات الانسان في القرآن الكريم ..... ٥٣
درجات الانسان في الروايات..... ٥٥

**الدعاء الثالث..... ٥٧**
الصلاة علىٰ الملائكة..... ٥٧
حقيقة الملائكة..... ٦٢
الملائكة في القرآن الكريم..... ٦٢
١ ـ عناصر الايمان الخمسة ..... ٦٢
الكفر بالملائكة ..... ٦٣
الايمان بالملائكة ..... ٦٤
٢ ـ الملائكة والشهادة بالتوحيد ..... ٦٤
التوحيد لدى علماء الطبيعة ..... ٦٥
٣ ـ شهادة الملائكة..... ٦٧
٤ ـ عبادة الملائكة ..... ٦٨

٥ ـ دعاء الملائكة ..... ٦٩
٦ ـ المدد الملائكي ..... ٧٠
٧ ـ الملائكة والوحي ..... ٧١
٨ ـ الملائكة تستقبل الانسان المؤمن ..... ٧١
٩ ـ الملائكة تستقبل الظالمين أيضاً ..... ٧٢
١٠ ـ المهام الملائكية في عالم الوجود ..... ٧٣
خصائص الملائكة في الآيات والروايات ..... ٧٤
ادوار الملائكة في ضوء الروايات ..... ٧٧
صفوف الملائكة ..... ٨٠
الملائكة في كلام الإمام علي عليه السلام ..... ٨٣
الملائكة في حديث الإمام الصادق عليه السلام ..... ٨٦
حقيقة وعظمة الملائكة في نهج البلاغة ..... ٨٨
حقيقة الملائكة في شرح الحكيم العلّامة محمّد تقي الجعفري ..... ٩١
حملة العرش ..... ٩٤
معنى ومفهوم العرش ..... ٩٦
معاني العرش والكرسي في بحار العلّامة المجلسي ..... ١٠١
العرش وحملته في كلام العلّامة الطباطبائي ..... ١٠٤
حقيقة صور إسرافيل ..... ١٠٦
الصور في القرآن الكريم ..... ١٠٦
الصيحة في القرآن الكريم ..... ١٠٨
صور إسرافيل لدى المفسّرين والمحدّثين ..... ١٠٩
حقائق العالم الآخر ..... ١١١
منزلة الملكين ميكائيل وجبرائيل ..... ١١٣

توصيفات جبرئيل في القرآن الكريم ..... ١١٤
ملائكة الحجب ..... ١١٥
ملائكة الحجب في كلام العلّامة المجلسي ..... ١١٧
الموانع في طريق الكمال ..... ١٢١
نافذة الخلاص ..... ١٢٣
سعادة الدنيا والآخرة ..... ١٢٤
موقع الجنّة والنار ..... ١٢٦
الشهوات وآثارها ..... ١٢٦
مفهوم الهوى ..... ١٢٧
الأهواء النفسيّة في الآيات والروايات ..... ١٢٩
نسيان الآخرة ..... ١٣٠
اتباع الأهواء سبب الفناء ..... ١٣٠
مدْيَن ..... ١٣١
بروق ورعود ومطر ..... ١٣٧
الماء رمز الحياة ..... ١٤٠
تفسير (نبات كلّ شيء) ..... ١٤١
السحب في القرآن الكريم ..... ١٤٣
البرد في القرآن الكريم ..... ١٤٣
البروق والرعود في القرآن الكريم ..... ١٤٤
فوائد البروق والرعود ..... ١٤٥
١ ـ السقي ..... ١٤٦
٢ ـ التعقيم ..... ١٤٦
٣ ـ الخصوبة والتسميد ..... ١٤٧

الرياح في القرآن الكريم ..... ١٤٩
آية وتفسير ..... ١٥٠
الجبال في القرآن الكريم ..... ١٥٣
دور الجبال في حماية الأرض ..... ١٥٥
صنوف الملائكة في القرآن الكريم ..... ١٥٨
١ ـ ملائكة البلاء والعذاب ..... ١٥٨
٢ ـ ملائكة الرحمة ..... ١٦٠
٣ ـ الملائكة السفراء ..... ١٦٠
٤ ـ الملائكة الكتاب والحرس ..... ١٦٠
٥ ـ ملائكة الموت ..... ١٦١
٦ ـ ملائكة المساءلة ..... ١٦٣
٧ ـ خزنة النيران وسدنة الجنان ..... ١٦٦
أين يقع البيت المعمور؟ ..... ١٦٨
علّة الطواف بالبيت المعمور ..... ١٦٩
عظمة البيت المعمور ..... ١٧٠
الملائكة وسائط في التدبير ..... ١٧١
مالك وخزنة النيران ..... ١٧٤
رضوان وسدنة الجنان ..... ١٧٥

**الدعاء الرابع ..... ١٨٣**
الصلاة علىٰ أتباع الرسل والأنبياء ..... ١٨٣
الهداة إلى طريق الحق ..... ١٨٧
حقيقتان في هداية الانسان ..... ١٨٨

دعوة الأنبياء ..... ١٩٠
اصول دعوة الأنبياء ..... ١٩٠
الاقتداء بالأنبياء ..... ١٩٤
من أجل التكامل ..... ١٩٧
التقسيم القرآني للبشر ..... ١٩٩
المقرّبون ..... ١٩٩
أصحاب اليمين ..... ١٩٩
أصحاب الشمال ..... ٢٠٠
العقل والحبّ ..... ٢٠٠
أصحاب المشئمة ..... ٢٠٢
تفوق الصفات الملائكيّة على الحيوانيّة ..... ٢٠٢
أصحاب الميمنة ..... ٢٠٤
المقرّبون ..... ٢٠٥
حقيقة العشق ..... ٢٠٦
الحياة بعيداً عن الأنبياء ..... ٢١١
تقسيم الحياة ..... ٢١٢
دعوة الأنبياء ..... ٢١٣
الحياة الحقيقيّة في ضوء الروايات ..... ٢١٧
أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله ..... ٢٢٠
أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم ..... ٢٢١
الصحابة متساوون مع سائر المسلمين في الالتزام والعمل ..... ٢٢٤
المساواة في ضوء القرآن الكريم ..... ٢٢٥
مفهوم الصحابة ..... ٢٢٦

الصفات السلبيّة لبعض الصحابة ..... ٢٣٢
المتمرّدون من الصحابة ..... ٢٣٦
مواصفات الصحابة الحقيقيّين ..... ٢٣٦
مواصفات الصحابة الحقيقيّين للرسول صلى الله عليه وآله في ضوء الآيات والروايات . ٢٣٧
أوّل من أسلم ..... ٢٣٨
المسلم الأوّل لدى السنّة ..... ٢٣٨
عدالة الصحابة مرّة أُخرى ..... ٢٤١
الردّ على عدالة الصحابة ..... ٢٤٢
معاوية... الجريمة والعقاب ..... ٢٤٥
العقوبات التي يجب انزالها بمعاوية على جرائمه ..... ٢٤٩
الهجرة في سبيل الله ..... ٢٥٠
الهجرة في القرآن الكريم ..... ٢٥١
التعرّب بعد الهجرة ..... ٢٥١
حقيقة المودّة ..... ٢٥٤
العلاقة مع الأجنبيّ ..... ٢٥٥
وجوب اقامة العلاقات الودّية مع أنصار الحقّ ..... ٢٥٨
قصّة الهجرة إلى الحبشة ..... ٢٦٠
من هم التابعون؟ ..... ٢٦٧
التعبديّة للاحسان ..... ٢٧٠
السبب في تكريم الصحابة ..... ٢٧٢
حقيقة السباق في الروايات ..... ٢٧٢
القلب مركز الايمان ..... ٢٧٤
درجة عين اليقين أو بلوغ مرحلة العيان ..... ٢٧٥

أنواع البلوغ لدى العرفاء ..... ٢٧٦
كمال البلوغ ..... ٢٧٧
١ ـ الرغبة إلى الحقّ تعالى ..... ٢٧٩
معرفة أسماء الحقّ تعالى وصفاته ..... ٢٨٠
احصاء الأسماء الالهيّة ..... ٢٨١
احصاء الأسماء الالهيّة في كلام الفيض ..... ٢٨٤
مراتب المعرفة بالأسماء ..... ٢٨٥

**المحتويات ..... ٢٨٩**